بسم الله الرحمن الرحيم

سليمان سامي الجوخدار

خواطر وأفكار

سليمان سامي الجوخدار

خواطر وأفكار

كريم زين

كريم زين

* من أبٍ لبناني وأُمٍّ ألمانية، ولد كريم زين في لبنان ، مدينة بيروت عام 1965م.
* في عام 1975، اضطر إلى الهجرة مع عائلته، أولاً إلى دمشق لوجود فرع من العائلة هناك، ثم هاجر مع عائلته إلى سويسرا حيث استقرت هناك.
* أنهى في سويسرا دراسته الجامعية ونال درجة الماجستير في إدارة الأعمال من جامعة جنيف، ثم من مدرسة البوليتكنيك الفيدرالية في لوزان نال درجة الماجستير في الإدارة البيئية.
* عمل كخبير للإدارة البيئية في مشاريع التعاون في الشرق الأوسط والمغرب العربي وإفريقيا لمدة 25 عامًا.
* يعمل حالياً على ترجمة أعمال سليمان سامي الجوخدار من العربية إلى الفرنسية والإنكليزية، وبذات الوقت يقيم في المغرب العربي، حيث يدير مركز يوغا وبيتاً للضيافة.

قصة لقائي الأول
مع سليمان سامي الجوخدار

كان لدي بشكل دائم شغف للفلسفة واللغة العربية لذا قمت في عام 1991 بنشر الترجمة الفرنسية لرسالة في «عيوب النفس ومداواتها» للشيخ الصوفي أبو عبد الرحمن السلمي (325 – 412 هـ نيسابور).

وكنت كطالب شاب في سويسرا، أرغب في إعادة التواصل مع جذوري العربية والإسلامية. لذا كنت أحرص على حضور المناسبات العائلية بدمشق لوجود فرع من العائلة هناك، وبمناسبة حفل زفاف عائلي أقيم في دمشق، اجتمعت بعد غياب طويل مع ابنة عم لي، وعندما علمت بشغفي للفلسفة واللغة العربية قالت لي: لا بد أن أدلّك على من تجد عنده ضالتك، وهكذا كان لقائي الأول مع سليمان سامي الجوخدار.

هذا اللقاء كان بداية صداقة طويلة وصادقة استمرت لأكثر من 30 عامًا. ومن خلال ما وجدته عند سليمان من علم جمع بين الغرب والشرق، وثقافة هائلة ورؤية فلسفية للحياة وكذلك من خلال ما وجدته عنده من تراث تقليدي كان يحمله من عائلته أصبح منذ اللقاء الأول أستاذي وسيدي سليمان لأنه فتح عيوني على حياة جديدة متكاملة من خلال طريقة تفكير متطورة وحياة جديدة بدون أي سبب للتقليد الذي لا معنى له.

في وقت لاحق، سافرنا معاً إلى العديد من البلدان الأوروبية، وكانت سعادة لا توصف حين نزل ضيفا عزيزاً عندي في سويسرا.

ثم بقي اللقاء بيننا متواصل حتى السنوات الأخيرة من حياته حيث كنت أزوره بانتظام في منزله بدمشق.

لقد كان أستاذي وسيدي سليمان شخصاً متواضعاً منكراً جداً لذاته، وكان حسه فائقاً تجاه كل من حوله، لذا كان اهتمامه بالآخرين هو ذاته مهما اختلف موقعهم الاجتماعي.

وقد سمح تعليمه الذي تلقاه من عائلته بالإضافة إلى الإلهام الصادق والمبادرات الأصيلة التي قام بها بتطوير معرفة عميقة في مواضيع متنوعة مثل العلوم الإسلامية المقدسة، وعلم النفس البشري، والسياسة، والرياضيات، والفن، والهندسة المعمارية، وعلم الآثار وغيرها من علوم لا تحصى.

هنا كتاب «**سليمان سامي الجوخدار خواطر وأفكار**» هي بعض ما سمعته أنا وأصدقائي من أفكاره المبتكرة، وبعد وفاته رحمه الله قام بجمعها أحد أحبابه الذي سمعوا وكتبوا عنه هذه الأفكار، وأنا أحببت أن أضعها بين يدي القراء ليعم نفعها، وهي مجموعة واسعة من المواضيع ذات الصلة بالأسس والمبادئ التي أرادها لنا سيدي سليمان .

لقد أراد لنا سيدي سليمان أن نستقل بروئيتنا عن الآراء الجاهزة والأحكام المسبقة ليكون لدينا معايير التطوير والتمييز الخاصة بنا، وذلك من خلال ثقافة فكرية رفيعة المستوى، وأفكار مبتكرة لا تزال أسسها متأصلة في الإسلام الحقيقي، وهذا ما سوف نجده في هذا الكتاب.

كريم زين

من هو سليمان سامي الجوخدار

لا يمكن أن نضع البحر في حفرة على شاطئه.. كذلك سيرة سليمان سامي الجوخدار لم يكن لأحدٍ من معاصريه وفي مثل عمره ذاك العلم وتلك المعرفة الشاسعة من علوم للحقيقة وعلوم للشريعة وعلوم كونية.

في بيت علم وفضل نشأ، ومن أبٍ يحمل في دمائه نسب النبي ﷺ، وأمٍّ تحمل في دمائها أنبل عائلات أوروبا. ولد سليمان سامي في دمشق الشام في الأسحار من يوم الخميس العشرين من كانون الأول عام ألف وتسع مئة وست وخمسين.

وعند مولده كان جده الشيخ سليمان الجوخدار بانتظاره، وبين يديه لبث الأيام والساعات الطوال وهو يملي عليه من الدعاء والبركة ما لازمه طوال حياته.

وقبل رحيل جده إلى جوار ربه أوصى بعلمه وكتبه إلى حفيده الأصغر سليمان سامي؛ علماً أن له أخوين يكبرانه بسبع سنين، وأختاً وحيدة تكبره بعشر سنين.

في هذه العائلة الدمشقية الأصيلة التي جمعت بين العلم والفضل ولد وترعرع سليمان سامي، هذه العائلة التي بدأت مع الشيخ محمد الجوخدار والد الشيخ سليمان الجوخدار؛ ذاك العالم الفاضل الذي ترك بيتاً له إلى جانب الجامع الأموي، من أفخر وأكبر بيوتات دمشق، ليمضي أربعين عاماً من عمره معتكفاً في الجامع الأموي، وهو الذي أخذ وحَدَّث عن الإمام البخاري بالسند، وكان قاضياً ومفتياً في بلاد الشام.

ثم خلفه من بعده ابنه الوحيد الشيخ سليمان الجوخدار؛ الذي نال أعلى شهادة في القانون أيام زمانه، وهو من أسس معهد الحقوق في دمشق، وكان قاضياً للحرمين الشريفين، ونال أعلى المناصب أيام الحكم العثماني.

ثم من بعده ابنه الوحيد إحسان الله الجوخدار، والد سليمان سامي؛ الذي نال مرتبة الدكتوراه الدولية من جامعة السوربون في فرنسا، وكان من الذين وضعوا قوانين لدول عربية عدة بعد نيل الاستقلال.

الطفولة والنشأة

مع أنّ سليمان سامي كان أصغر إخوته، إلّا أنّ والده ـ وفي سنّ مبكّرة جدّاً ـ لمس منه ذكاءً نادراً وصل إلى حد العبقرية؛ وهذا ما جعله يمارس وبشكل مفرط تمارين التركيز الذهني والذاكرة والعمليات الحسابية معه، وذلك بهدف تطوير حَدْسِه وتأسيسه بمجالات المنطق وعلم الفلك والرياضيات. وقد عمل أيضاً على تدريبه ليحقق مستوى متقدماً في الجدل والتفكير النقدي.

ومن ناحية أخرى؛ فقد أدرك والده أن ابنه سليمان سامي يملك حسّاً مفرطاً للفن والجمال، وله اهتمامه الشديد بعلم الآثار والفن وتاريخ الفن.

وفي السابعة من عمره لُقّبَ سليمان سامي بالمتحف المتنقل، و لم يكن يسعده شيء أكثر من قضاء ساعات بالتجول في المعارض والمتاحف بحثاً عن اللوحات والتحف المفضّلة لديه.

كذلك أثناء مرافقته لوالدَيْه في أسفارهما العديدة كان سليمان سامي يراقب ويُخَزّن كل شيء في ذاكرته من روائع اللوحات الفنيّة والمعالم المعماريّة والحرف اليدويّة وغيرها، ومنذ ذلك الحين، لم يعد يفوته تحليل وتقييم ونقد أيّ عمل فني. كما أصبحت الموسيقى الكلاسيكيّة إحدى اهتماماته الأساسيّة، وبقيت جزءًا لا يتجزّأ من تفكيره.

كذلك كان شغفه الشديد بتحصيل المعرفة بكل أشكالها من علوم الرياضيات والفلك وعلوم اللسانيات وغيرها.

ومنذ طفولته المبكرة أوتي معرفة وعلوماً هُيئ لتلقّيها بطريقة مرهفة، وفي الرابعة عشرة من عمره كانت عنده المفاتيح الأساسية لبعض علوم الخواص، وبدأتْ خطواته الأولى بتحصيل معرفة تلقاها لسلوكه في الطريق إلى الله سبحانه بطرق ومن مصادر مباشرة وغاية في الخصوصية.

وكانت تلك العلوم هي اهتمامه الأول وكانت شغله الشاغل، والأهم في حياته حيث عكف على دراسة وتسجيل علوم كادت أن تندثر، هذه العلوم هي في مجال المعرفة العليا للقرآن الكريم والتصوف الحقيقي، وعلوم خاصة مثل: علم الرقم والحرف وغيرها.

تحصيله العلمي

حصل سليمان سامي على شهاداته الجامعية في تاريخ الفن وعلم الآثار من جامعة السوربون في باريس، وأصبح خبيراً في مجالات متنوعة مثل الهندسة والفن الإسلامي، والعمارة الأيوبية وعصر النهضة.

ومنذ عام 1972 حتى عام 1985 أبدع سليمان سامي أكثر من 600 عمل فني من أعمال واقعية، وفن الحبر والألوان المائية والباستيل واللوحات الرمزية والتجريدية، وأعمالاً أحادية اللون أنيقة إلى أقصى حد.

وبذات الوقت تحصل لدى سليمان سامي معلومات نادرة لبعض علوم الخواص سجلها على آلاف من الصفحات بطريقة بصرية وغاية في الخصوصية.

ومع بداية عام 1980 بدأ يُطلع على هذه العلوم الخاصة عدداً من أساتذةِ الجامعات في بريطانيا وفرنسا وألمانيا والولايات المتحدة ومصر ولبنان وسورية، وكذلك عدداً من الشخصيات الدينية و الفكرية.

علمه ومعرفته

كان لإلمام سليمان سامي بعلوم الشريعة أولاً، ثم الفن والفلك والرياضيات والهندسة وغيرها من علوم ومعارف الأثر الأكبر لإبداعه رؤية متميزة في كل مجالات الحياة، وخاصة في مجال الفكر الصوفي والروحي الذي كان عمله الأول.

حيث ميّز في عمله ودراسته إلى وضع معرفته ضمن مستويات ثلاث؛ أولها: المعرفة المطروحة لكل من يبحث عن الحقيقة وهي للجميع، ثم المعرفة الخاصة لمن قطع أشواطاً في تحصيل المستوى الأول وهي لمجموعة محددة، وأخيراً: المعرفة في المستوى الثالث لمن تمكن من المستوى الأول والثاني؛ وهي خاصة لمن أراد الخلافة في الأرض.

هذه المعرفة التي طرحها سليمان سامي هي عبارة عن تدرج في طلب العلم والمعرفة الحقيقة وهي ذات مصدر إلهي لذا سمَّاها المعرفة المقدَّسة وهي كذلك لأنها جاءت من خالق الوجود سبحانه وتعالى من خلال القرآن الكريم المنزَّه عن أيّ نقص أو عيب أو خلل.

المعرفة الحقيقية التي طرحها سليمان سامي لا غنى للعوام عنها، ولا غنى عنها أبداً للخواص؛ إذ بها تتحقق خلافة الإنسان على الأرض كما أرادها خالق الأرض والإنسان سبحانه وتعالى.

وهي معرفة أساسها القرآن الكريم الذي فيه الأسس والقوانين والضوابط المطلقة لسائر العلوم، وهو ما يبحث عنه أي طالب للعلم.

المعرفة التي طرحها سليمان سامي أساسها مصدر خارجيّ غير بشري؛ هذا المصدر يُعَلِّمُ الإنسان كيف يرى الأمور من منظار غير منظاره، والحال كذلك، فما أعظمَ قيمة هذا المصدر الذي جاءنا به القرآن الكريم.

وتبدأ المعرفة عند سليمان سامي بإعادة نظر باتجاهين تتجلى فيهما الحقيقة: إلى الخارج؛ أي: إلى الكون الذي يحيطُ بنا، وإلى الداخل؛ أي: إلى أنفسنا وإعادة النظر. هذه تكمنُ في حقيقة أنَّ الإنسان لا يرى إلا ما يَعْلم. إذن، لا بدَّ من القرآن الكريم فهو مصدر خارج عن حدود الكون وبعيد كل البعد عن محدودية أنفسنا وأهوائنا.

حياته الخاصة - وفاته

لم يكن أحدٌ يعرف أن سليمان سامي له من العلم والمعرفة ما له وما أعطاه الله سبحانه له؛ لِما كان عليه من تواضع وإنكار للذات.

فهو في بيته كما هو حال كل الناس؛ قائم عليه بكل ما يحتاج، وعلى أعلى مستوى، وقد عهد أمه وقام على خدمتها أتم قيام حتى آخر حياتها.

وهو في عمله مع طلابه وأصدقائه وكل من حوله قلب يتسع للجميع، والكل يضعون ثقتهم وخصوصياتهم عنده؛ لِما له من غَيْريَّة متميزة يجد صاحب أي حاجة عنده نصحاً وبُعْد نظر، قَلَّ مثله مع تواضع وتجرد تام عن أية حاجة مادية.

ولم يمنعه مرض عُضال ألَمَّ به منذ طفولته من القيام بعمله؛ أو التواني عن أي عملٍ يستطيع القيام به.

والأهم من كل ذلك عمله الدؤوب بالدعوة إلى الله، والعمل من أجله سبحانه وتعالى؛ لذا كان بيته قِبْلَةً لكلِّ باحث عن الحقيقة من كل أصقاع الأرض.

وكان لعلمه بالثقافة الغربية خصوصاً والعالمية عموماً، وتمكنه من اللغة الفرنسية والإنكليزية الأثر الأكبر في هداية الكثيرين من الباحثين الصادقين عن الله سبحانه من غير الناطقين بالعربية؛ وهم الذين قصدوا بابه فوجدوا ضالتهم عنده.

وهكذا أمضى عمره علماً وعملاً ودعوة إلى الله سبحانه حتى آخر لحظة من حياته، ورحل عن هذه الدنيا ليكون ضيفاً على جدِّه الأكبر الشيخ محمد الجوخدار وإلى جانبه في مقبرة باب الصغير مع الراحة والطمأنينة وسكينة حياة برزخية في دمشق الشام يوم السبت الثامن من شهر آب لعام ألفان وخمسة عشر.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾

[فصلت]

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ». [سنن الترمذي: 2609].

سليمان سامي البوخدار

خواطر وأفكار

كريم زين

1 طريق الملائكة عليهم السلام

الله سبحانه مَنَّ علينا في كتابه الكريم وسُنَّة نبيّه عليه الصلاة والسلام بكنوز من المعلومات لنا نحن البشر عن العالم الخفي وغير المرئي، وهي مهملة إهمالاً تاماً من قِبَلِ كثير من الناس؛ بل وهناك فجوة في التربية الإسلامية حولها؛ ومنها: مسألة الملائكة الكرام عليهم السلام والعلاقة معهم، فهي تغيب عن أذهان الناس جذرياً وليست جزءًا من معادلات تفكيرهم؛ لأن المفهوم السائد عن الملائكة ـ وبأحسن أحواله ـ يأخذ طابعاً محدوداً جداً غير متطور، وليس هناك تركيز عليه؛ بل وأصبح مفهوم الملائكة كأنه خيال وليس واقعاً وحقيقة.

أما مَنْ ينظر من منظار الحقيقة ليفهم الأمور فلا بدَّ له من إدخال الملائكة في حساباته، فهُمْ شيء أساسي في كل ما حولنا، وكل شيء موكَّل فيه ملائكة عليهم السلام، ولهم وجود وحضور في حياة الإنسان، وذلك بترتيب إلهي، والأمر كله أولاً وأخيراً يعود إليه سبحانه.

وقد بدأت العلاقة وثيقة بين الإنسان والملائكة قَبْلَ خلق آدم عليه السلام حين أخبر سبحانه ملائكته: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

وكان جواب الملائكة: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ البقرة: [2/ 30].

ثم عند خلق آدم أمر سبحانه الملائكةَ أن يسجدوا لآدم.

وعند خلق الإنسان هناك ملائكة موكلة فيه أيضاً؛ فإن النطفة تقع بيد الملك ويسأل ربه سبحانه: هل هي مخلقة أم غير مخلقة؟.

وتستمر المسألة إلى نفخ الروح، ثم الولادة وعلاقة وثيقة مع الإنسان؛ فقد وَكَّل سبحانه ملائكة يحفظونه طوال حياته ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: 13/ 11] (أي: بأمر الله).

وعند الموت، ثم في القبر سؤال الملائكة، وتستمر إلى يوم القيامة ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: 50/ 21].

ثم في الجنة ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: 39/ 73].

بل حتى في النار ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: 66/ 6].

والملائكة الكرام لهم مهام، وهم موكلون دائماً بأمر من الله سبحانه بكلِّ شيء.

فهناك مَلَكٌ للجبال والسحاب، وهناك ملائكة للقرآن الكريم موكَّلة بالسُّور وبالأحرف، وملائكة ترفع الأعمال في يومي الإثنين والخميس،... وغيرهم مما لا يحصى في حياة الإنسان

وما حوله من الأرض حتى السموات وتصل إلى حملة العرش عليهم السلام، مما حمل كثيراً من الكُتَّاب والعلماء إلى إفراد مصنفات وكتب عما جاء في الكتاب والسنة من آيات وأحاديث عنهم.

فهم عليهم السلام مخلوقون من النور؛ والنور غير الضوء، النور: لا مادي وهو بشكل متواصل مرتبط بالعلم ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾ والهداية .

﴿... نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ...﴾ [النور: 24/ 35]؛ وبالتالي الهداية مرتبطة بالنور.

ولكي نعي حقيقة الملائكة الكرام لا بد أن نتجرد عن أنفسنا، وألَّا نسقط عليهم أحوال البشر، حالنا نحن البشر يختلف جذرياً عن حالهم عليهم السلام، ليس عندهم ولادة وطفولة، أو شباب وشيخوخة، هم مختلفون؛ لذا لا ينطبق عليهم أحوال البشر.

فهُم عليهم السلام جديّون وتبعيتهم لله سبحانه مطلقة، رضا الله رضاهم والعكس من ذلك، لا يفهمون المزاح ولا يتذوقونه، ولا يحبون الكلام الذي لا معنى له، والكلمة عندهم لها وزنها، حتى نبرة الصوت لها دورها الأساسي معهم، وحين لا يكون ما يليق بهم ينصرفون ويحضرون عند ذكر الله سبحانه.

لا يحبون من ينظر إليهم ويهتم بهم؛ بل يحبون من يهتم بالله سبحانه، عندهم ذكاء خارق يفوق التصور ولا يمكن أن نقارنه بما عند البشر، ولا يوجد حدود لفهمهم وأي معلومات مهما كانت عالية يفهمونها بسرعة الضوء. وهم عليهم السلام أنماط مدربون ألَّا يتأثروا بشيءٍ، ولا يرون شيئاً إلا من خلال تجليات الإرادة الإلهية.

يتعلمون ويزدادون علماً بشكل متواصل، وكلما ازدادوا علماً زاد وعيهم لله سبحانه.

أول من تعلم القرآن هم الملائكة ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾ [الرحمن: 55/ 1-2] ولو لم يكن الرحمن الذي علم القرآن لكانت الملائكة عند إساءة الأدب مع القرآن الكريم تقع كارثة، لكنه سبحانه بالرحمن علم القرآن ونفهم استغفار حملة العرش:

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: 40/ 7].

وبالإجمال: الملائكة موكلون بكل شيءٍ، وبأسرار الصلاة تحضر الملائكة:

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ...﴾ [آل عمران: 3/ 39].

جاءت الملائكة عند الصلاة :

والطريق المختصر هو طريق الملائكة عليهم السلام، والصلاة هي الطريق المختصر لحضورهم.

2 العبرة في الوعي و الإشكال في الغفلة

يوم القيامة يعطي معنىً لكلِّ حَدَثٍ في حياتنا الدنيا، ويأخذ هذا الحدث معناه ويكتمل في ذلك اليوم؛ حيث يصل الإنسان فيه إلى مرحلة عالية من الوعي؛ ليفهم هناك الأمور على حقيقتها.

يوم القيامة هو ذروة وعي الإنسان حيث يبعث مباشرة بلحظة واحدة بكامل وعيه، دون المرور بالولادة والطفولة، ثم الشباب والشيخوخة، كما هو الحال في الحياة الدنيا.

ولا يكتمل أي حدث يحدث مع الإنسان في هذه الدنيا إلا هناك؛ حيث يعي ويفهم تماماً العبرة منه.

سبحانه القادر المقتدر الذي خلق الكون في ستة أيام جعل يوم القيامة يوماً واحداً، وهذا للتأمل؛ وهي فلسفة عليا.

يوم الحساب يعلم الإنسان لماذا تتلاشى كل الخلائق وتنتهي ثم تعود ثانية، ولماذا انتهى كل شيء ليعود من جديد، وحكمته سبحانه من الإيجاد والعدم؟

﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الروم: 30/ 11].

الوعي هو علم لذا أهم شيء في الحياة الدنيا: أن يكون الإنسان واعياً؛ لأن الوعي هو شرط التكليف أي الحساب يوم القيامة، وكل عاقل مكلف مثل الإنس والجن. أما الذي يفقد وعيه فيسقط تكليفه ولا يحاسب.

قال تعالى: ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحاقة: 69/ 12].

المهم أن نعي هنا في حياتنا الدنيا يوم الوعيد قبل فوات الأوان، ونتحرر من الغفلة التي نعيشها قال تعالى:

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ق: 50/ 20-22].

3 عبور الحياة الدنيا

عبور الحياة الدنيا وما يترتب عليها من تحول وتغير بشكل متواصل من أساسيات القرآن الكريم وذلك لمخالفة صفات أساسية من صفات الله فهو الكمال المطلق الذي لا يتبدل ولا يتغير وليس كمثله شيء سبحانه وتعالى جل وعلا.

أما الحياة الدنيا وبكل أشكالها فهي دار عبور وتحول والإنسان فيها قال عنه تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ
ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ
ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ
ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا
ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ
ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا
وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ
وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: 40/ 67].

عبور الحياة الدنيا لا بدَّ وأن يكون معه تحوُّل من مخلوق في الرحم، ثم طفل إلى شباب وشيخوخة، ثم خروج إلى عالم الحقيقة الأبدية.

وهذا يشمل نفس الإنسان وجسده وكل مكوناته؛ بل وكل الخلائق على هذه الأرض لها إيقاع بداية ونهاية، وبينهما تحول لما شاءه سبحانه وتعالى لها.

قناعة الإنسان إن بُنيت على أن الحياة الدنيا هي دار عبور عندها يكون حاله ورؤيته لأي حدث يحدث معه أنه حدث عابر، ويعلم تمام العلم أن إلى الله مآله وعودته قائلاً: ﴿...إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: 2/ 156].

والنتيجة أنه تعالى يتولى أمر هذا الإنسان:

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ...﴾ [فصلت: 41/ 31].

عندما يكون عبور الحياة الدنيا والانتماء إلى العالم الآخر جزءاً أساسياً من قناعة الإنسان، وقد وظف ذلك وبشكل ملموس، جاعلاً منه معياراً لتفكيره ومنظاراً دائماً له في جزئيات حياته اليومية، وكل ما يراه عندها يكون إيمانه في أعلى مستوى.

عبور الحياة الدنيا وما يترتب عليه من تحول وتغير دائم للإنسان ليس شيئاً نظرياً ولا حادثاً عابراً؛ بل هو خاصية جعلها الله سبحانه في كل الخلائق؛ لذا كان هذا العبور له أسبابه ونظامه وضوابطه التي تجعل منه تحولاً صحيحاً، وجعل سبحانه أداة فعالة لهذا التحول الصحيح هي الصلاة؛ والتي بدورها تُحوِّل المؤمن بشكل إيجابي وملموس إلى إعادة جدولة وتنظيم وصياغة حياته برمتها، هذا التنظيم بحاجة إلى مرجع، والمرجع المطلق هو الصلاة.

كل الكائنات على هذه الأرض في تحوُّل دائم، والخلق كلهم بتغيّر وتبّدل؛ لذا كل منهم كان له صلاته وتسبيحه كما قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور: 24/ 31].

حتى الملائكة تتطور وتتحسن بوعيهم الدائم لله من خلال ذكرهم وتسبيحهم له سبحانه وتعالى.

الصلاة: هي حركات وأذكار ضمن أوقات معينة مرتبطة بحركة كونية محددة، وميزة الصلاة الصحيحة أنها لا تتم إلا بوقوف مع قراءة القرآن، وحركات مع ذِكرٍ معيّن مخصوص.

وكما أن ذرات أي مادة يمكن إعادة تنظيمها بعدة أشكال من خلال طاقة مناسبة، كذلك تحوّل الإنسان يحتاج إلى تنظيم ومرجع مطلق وفعال ضمن برنامج خاص، ليس روحياً فحسب؛ بل يشمل كل أجزاء جسده ونفسه.

تسارع الزمان وكثرة الملوثات الروحية تختلف كثيراً عمّا سبق، ونفس الإنسان لا بدَّ لها من طاقة إيجابية، ليكون تحوّلها نحو السموِّ والرفعة، ولتمام هذا السمو كانت قراءة القرآن والذكر ضمن نظام الصلاة هو خير طاقة لنفس تسمو؛ لتكون مطمئنة راضية ومرضية.

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ [الفجر: 89/ 27-28].

القرآن شامل ونهائي ولا بدَّ منه لكل صلاة، والعبادات في الإسلام فعَّالة ولا غنى عنها لعبور وتحوّل هذا العالم المرتبط بالزمان المتسرع والمكان المتغير، وعندما يعي الإنسان مفهوم التحوّل والعبور تصبح الصلاة وما فيها من أسرار ذات معنى أوسع وأشمل، وتنقل الإنسان إلى عالم الحقيقة الأبدية، وتشعره بعدم انتمائه إلى عالم العبور والتحوّل على أرض قال عنها سبحانه:

﴿... وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة: 2 / 36] .

هذه الصلاة تبدأ من دائرة صغيرة لإنسان يقف وحده في صلاته، باحثاً عن سموٍّ ورفعة نفسه، ولتلتقي مع دوائر لنفس أخرى تسمو وتطلب الشيء نفسه، ثم تلتقي بأخرى وهكذا لتجتمع مع دائرة أوسع وأشمل دائرة النفس الواحدة ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ...﴾ [الزمر: 39/ 6].

وهذا ما يفسر أهمية صلاة الجماعة، والأهم الصلاة التي لا تصح إلا مع الجماعة صلاة الجمعة.

وبالتالي: الصلاة الجماعية فرصة لتجتمع أنفس المصلين في نفس واحدة، وترتقي سوية لأخذ طاقة إيجابية وتحول نحو رفعة وتسامي صلاة تبدأ بـ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ وتختم بذكر الله سبحانه ضمن نظام لمصلين مجتمعين صادقين يتوجهون بصدق للخالق جل وعلا بقولهم: (التَّحِيَّاتُ للهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ) وكم في تلك التحية من خير لتجتمع هذه الأنفس سوية نحو طاقة سموٍ ورفعةٍ وتكون مطمئنة راضية ومرضية وليعم خيرها بدائرة أوسع تصل إلى بشرية أوجدها سبحانه أصلاً من نفس واحدة .

صلاة الجماعة هي المجال الأمثل لتغذية أفكار هدفها محدد، حيث من خلالها يمكن تغذية أفكار فيها كل الخير للآخرين؛ لأن أنفس المصلين عندما تجتمع في نفس واحدة وزمان ومكان مخصص وهدف محدد، يكون فيها من القوة والأثر ما يكفي لتصل إلى أبعد وأوسع دوائر البشرية، وكم يكسب المؤمن إن ركَّز، وكم هو أكثر قوة وفعالية إن كان ضمن مجموعة تتوجه بصدق وتركيز على الفكرة نفسها والهدف نفسه، عندما تتوجه لله سبحانه طالبة لها ولغيرها أن يكون عبورها وتحوّلها في هذا العالم ضمن ومن خلال الطريق الذي أنعم الله به على عباده:

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: 1/ 7].

4 المجردات والأمور الحسية

أي فكرة مجردة يحاول الإنسان التعبير عنها بأشكال هندسية ورقمية، والتجرد والمجردات فكرياً أرقى بكثير من الأمور الحسية؛ لأن العقل البشري هو الوحيد بين كل الكائنات الذي يفهم شكلاً مجرداً، ومثالها أشكال الخطوط لوجه (الكاريكاتير مثلاً) لا يمكن إلا لإنسان عاقل أن يعرف صاحب هذا الوجه، بينما الوجه ذاته إن كان صورة ثلاثية الأبعاد يمكن أن يتعرف عليه كائن غير بشري.

الإسلام ذروة تقدم الفكر البشري وهو المستوى الأخير للحضارة البشرية، وذلك من خلال المجردات وهي السمة الأساسية فيه.

الإسلام هو دين يرفع الفكر باتجاه المجردات، ومسألة التجرد مسألة مركزية فيه؛ لأن محور هذا الدين هو الذات الإلهية، وهي أقصى ما يمكن أن تسمو إليه النفس البشرية من التجرد؛ ذلك لأن الذات الإلهية هي الفكرة المركزية التي يقوم عليها الإسلام، ولا يمكن التعبير عنها بأي شكل بياني أو رمزي، ومفهوم الذات الإلهية في الإسلام هو أقصى ما يمكن للعقل البشري أن ينظر إليه بالتجرد دون تجسيده بصورة أو شكل ما، ولا يمكن التعبير عن هذه الفكرة بأي شيء كائناً ما كان.

وترى المسلمين جميعهم يتوجهون إلى الله سبحانه بتجرد تام وإيمان عميق بأنه سبحانه :

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: 59/ 23 – 24].

5 البحث عن بيت القصيد

من المميِّزِ للإسلام ـ والقرآن الكريم خاصة ـ هو تسليط الأضواء على المركزي وليس على التفاصيل الجزئية.

عموماً كل التفاصيل تشترك بأنها لا تحتاج إلى عمل دماغي، ويمكن التعبير عنها بشكل بسيط؛ وهي ما يبحث عنه العامّة من المسلمين.

بينما البحث عن الجوهر وعن روح الإسلام يتطلب قدرة على المقارنة والاستنتاج؛ وبالتالي يصعب ذلك على العامة.

البحث عن الجوهر أساسي لتطبيق الإسلام؛ وهذا أولاً، ثم لحسن تقديم الإسلام علينا أن نقدم الإسلام من خلال الجوهر؛ وهذا ثانياً، أما تقديم الإسلام من خلال التفاصيل فهو عدم أمانة فكرية، وليس تقديماً للإسلام بل إساءة له.

والقدوة هو سيدنا النبي ﷺ كان إن سأله أحدهم عن الإسلام أعطاه الجوهر وليس التفاصيل.

مثلاً: فكرة الذنب يمكن تقديمها على أن كرامة الإنسان في الإسلام هي شيء أساسي والذنوب في نهايتها، تشترك بعامل واحد هو الذل.

وعلى المدى البعيد كل شيء ينافي كرامة الإنسان محرَّم وينافي عزة وكرامة الإنسان؛ بالتالي حين يفهم الإنسان ذلك يطبق تعاليم الإسلام على أنها عزَّة ورفعة، لا على أنها أوامر تأسره وتعرقل حياته.

والإنسان في الإسلام عزيز فكيف يدخل مادة خسيسة تسيء إلى صحته على جسم عزيز خلقه سبحانه وكرمه على جميع المخلوقات.

إن عرفنا جوهر الإسلام أصبح لدينا معيار مطلق لكل الأمور، وليس هناك شيء غير واضح؛ لذا كانت أسئلة صحابة النبي ﷺ أسئلة جوهرية أساسية وليس تفصيلية، وعندهم معيار وأصل يقيسون عليه وكان همهم دائماً الوصول إلى الجوهر وبيت القصيد.

6 وهو معكم أينما كنتم

الناسُ المهمون يراقبون أنفسهم بكل حركة يقومون بها ومن المهم عندهم مراقبة الآخرين؛ كي يتعلموا منهم حتى أصبح هناك علم قائم بذاته اسمه لغة الجسد، وآخر هو علم اليوغا؛ أي: التدرب على الانضباط وغيرها من علوم لضبط حركات الإنسان وردود فعله بشكل عام.

في الإسلام العبادات من صلاة وكم فيها ضبط لحركات الجسد، ثم الصوم للتدرّب على ضبط الطعام، ثم الزكاة، ولا بدّ من ضبط المال لمعرفة الزكاة وكذلك الحج، وما فيه من ضبط وانتظام ضمن مجموعات بشرية كبيرة.

ثم من أهم الأمور في الإسلام، وأولها: أن نراقب أنفسنا وتصرفاتنا مع الله سبحانه في كل حياتنا؛ لأنه سبحانه وتعالى:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: 57/ 4].

ويصل الأمر إلى مراقبة الأفكار والخواطر قال تعالى:

﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: 2/ 284].

وكم في هذا من رفع للياقات الإنسان الجسدية والفكرية وبذات الوقت الروحية.

7 الحمد لله

من الأمور التي تحتاج إلى إعادة هيبتها وأهميتها في القلوب كل فترة وأخرى هي الأذكار المشهورة، مثلاً: (**الحمد لله**). كم نحن بحاجة إلى هذا الحمد لله بصدق، وليست عبارة مثل مومياء موضوعة داخل قلوبنا.

هام: ثمرة أي عمل إن يسَّره الله للإنسان هو أن يقول: الحمد لله، فإن لم يقلها فإنه يصل إلى ذاك العمل ولا يقطف ثمرته. وقمة العطاء الإلهي: أن يعطيك حتى تحمده، وتنال مقام الرضا عنده سبحانه.

كذلك: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**» لها أهمية كبيرة ومتى وضعها الإنسان نصب عينيه ارتاح من أعباء الناس الذين يلقون عليه همومهم، ولا يتخلص من ذلك إلا بقوله: (**الملك لله**) وكل شيءٍ فانٍ ولا يدوم إلا الله جل جلاله.

كذلك يجب إعادة هيبة وأهمية كل ما جاء عن النبي ﷺ من الأذكار؛ مثل: (**بسم الله، الحمد لله، لا حول ولا قوة إلا بالله**) ثم كم هي مشرقة (**ما شاء الله**).

8 أرقى حالة لقراءة القرآن

إن أراد الإنسان أن يرتقي بفهم كلام الله تعالى فعليه أن يعيد النظر بمفاهيمه القديمة، وأهمها: النسبة بينه وبين الله سبحانه ـ إن صح التعبير ـ لأن الناس في حياتهم اليومية ينسون هذا الشيء ويتعاملون معه جل جلاله وكأنه أب لهم وهم أطفال عنده، ويغيب عنهم عظمة وجلال الخالق سبحانه القائل:

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾ [البقرة: 2/ 117].

أليس شيئاً يدعو إلى العجب أن سمى الله تعالى كلامه آيات ومفردها آية؟ ولماذا بصريح القرآن سماها سبحانه آية؟

﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ٩٩﴾ [البقرة: 2/ 99].

أليس الذي خلق الشمس والقمر وخلق الكون بأسره هو سبحانه الذي أنزل القرآن، إذاً لا فرق بين الكون والقرآن فالمصدر واحد.

لذا؛ فإن قراءة القرآن يجب أن تكون بتعطش وفقر إلى الله سبحانه وفي كل مرة على الإنسان أن يَطَّلِعُ على كلام الله سبحانه وكأنه يقرؤه لأول مرة، وعندما يكون الإنسان متحرراً من أيِّ تصوُّرٍ سابق، ومتجرداً عن نفسه وطالباً الفهم من الله سبحانه، عندها يفتح الله له ويمدُّه من مدده، ويفهمه معاني كلامه.

وعلى العكس من ذلك يضع الإنسان حدّاً على نفسه، ويغلق أبواب الفتوح الإلهية إن مَرَّ على آيةٍ وظنَّ أنه يعرف معناها، أو مر على النص القرآني وآياته بشكل سريع وكان قلبه لاهياً. ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [النساء: 4/ 82]. وبمجرد عدم إحساس الإنسان بالآية أنها حقاً آية فقد غاب عنه عظمة القرآن الكريم.

9 المعرفة المقدسة

المعرفة المقدسة: هي العلوم التي يمنُّ بها الله سبحانه على العبدِ، ومصدرها المَدَدُ أو الإلهامُ الإلهي (أي مصدرها إلهي) والقرآن الكريم هو أعلى وأمثل مرجع عن العلوم المقدسة، إنْ بحثنا فيه عن هذه المعرفة فسوف نجدها في قصة عجيبة هي قصة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام، وهي المثال الوحيد لمنهجية تعليم شخص مختار علوماً من المعرفة المقدسة. هذه القصة هي الشاهد الوحيد في القرآن حيث نجدُ عالماً على موعدٍ مرتّب مع عالِـم آخر يبحث عنه ليتّبعه على أن يعلمه ممّا عُلِّم رشداً، عِلْمٌ من لَدُنِ العليم الحكيم، وهي المثال في القرآن الكريم لتعليم إنسانٍ لآخرَ هذه العلوم:

فإن عرفنا أن سيدنا موسى نَبيّ ـ وهو بلا شك أعلم أهل زمانه بالشريعة والأحكام ـ عرفنا أنه لن يتعلم ما يعرفه من سيدنا الخضر؛ بل سوف يطلب عِلْماً خاصاً لا عامّاً. هذا العِلْمُ يُشَكِّل رأسَ الهرم في العلوم الإسلامية؛ كونه علماً خاصّاً نجده في هذه القصة وهي المثال لتعليم مثل هذه العلوم وبشكل مسلكي، وهي نموذجية بالنسبة للمعرفة المقدسة لأن المعرفة واحدة عبر تاريخ البشرية، والإسلام خير ما يُمثِّل هذه المعرفة بشكل واضح نقي وجلي.

هذه المعرفة ذات المصدر الإلهي هي المعرفة المقدَّسة؛ أي المنزَّهة عن أيّ نقصٍ أو عيبٍ أو خللٍ، وهي المعرفة الحقيقية، ونهاية هذه المعرفة هي خلافة الإنسان في الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 2/ 30]. وهذه الخلافة هي منتهى العبودية لله سبحانه وتعالى.

10 طلب المعرفة المقدسة[1]

لا عبثية في القرآن الكريم والاختيار الإلهي، حاشاه أن يكون عبثياً؛ لذلك يجب أن نتساءل ما هو سر اختيار سيدنا موسى عليه السلام لتكون له قصة مع الخضر مثلاً؟ لماذا سيدنا يونس عليه السلام ابتلعه الحوت؟... الشخصية المختارة مع الشخص تلقي أضواءً على تفسير القصة، وهو أمر يغيب عن الأذهان، ويمكن أن نفهم من قصة سيدنا موسى والخضر أنها لتعليم كيفية طلب المعرفة المقدسة.

المعرفة المقدسة هي المعرفة الحقيقية وهي موجودة أصلاً، ويبقى على الإنسان أن ترفع الحجب حتى يأخذ من المنهل الأصلي لهذه المعرفة، ويحتاج الإنسان إلى هداية لكي يصل إليها، وفتوح وكشف من الله سبحانه، ودون ذلك لا يمكن أن يصل وتُشْكِلُ الأمورُ عليه.

ليس طلب هذه المعرفة شيئاً إضافياً أو ترفاً في حياة الإنسان، وليس معناه إضاعة للوقت أو غيره؛ بل هو الشيء المهم والأساسي في حياة طالبها، لذلك على طالب هذه المعرفة أن يتهيأ لها نفساً وجسداً وروحاً، ولا يمكن له السير في طلب هذه المعرفة إن لم يحضر لها هذه الثلاثة سوية (ولولا ذلك لما كانت ليلة القدر في العشر الأخير؛ لأن الجسد والروح والنفس قد تهيأت، كذلك حركات الصلاة والحج والطواف والسعي.. كل ذلك تهيؤٌ جسدي من أجل عبادة معينة) والله أعلم.

هذه المعرفة تحتاج في طلبها إلى ميتافيزيقية عالية جداً؛ لأنها مجردة وتفكير رقمي بصري وليس كلاماً عادياً؛ لأن المعلومة فيها ليست ضمن الكلمات؛ بل الكلمات هي محرض لتنظيم الأفكار لا غير؛ بحيث تريك العلاقة بين هذه الأمور المجردة، لذا تحتاج إلى تجرد، وأن ينظر طالبها إلى الأمر من خارج نفسه وبتجرد تام، ثم ينتظر حتى يأتيه اليقين عندها، ومع الوقت يميز بين الحق والباطل، والحق دائماً بَيِّن.

(1) المعرفة المقدسة: هي العلوم التي يمنُّ بها الله سبحانه على العبدِ، ومصدرها المَدَدُ أو الإلهامُ الإلهي (أي مصدرها إلهي) والقرآن الكريم هو أعلى وأمثل مرجع عن العلوم المقدسة.

11 الدخول إلى المعرفة المقدسة

هذه المعرفة تبدأ بتجميع أفكار، وعندما يريد سبحانه تجد بلحظة واحدة أن مجموعة من هذه الأفكار اجتمعت لتصبح عِلْماً، ثم مجموعة أخرى لتصبح علماً آخرَ... وهكذا. مثل بناء أو أي شيء يصنع على مدار طويل قطعة تلو أخرى، ثم بفترة قصيرة تجتمع القطع بشكلها الكامل، وهذا بحاجة إلى لياقات أشبه ما تكون بمن يمارس رياضة، يبدأ بتمارين مبسطة وينمي لياقاته أولاً بأول.

ثم الدخول إلى المعرفة المقدسة له نمطه الخاص به، وهو مثل نقطة يجب أن نسير إليها بشكل حلزوني؛ لأننا إذا أردنا السير بخط مستقيم يمكن أن نقترب ولكن لا نلبث أن نخرج؛ لذا لا بد للداخل إلى هذه المعرفة أن يغيِّر من تفكيره ويعدله بما اكتسبه من علم، وعندما يحصل أي علم عليه أن يتمثل هذا العلم حتى لا يخرج؛ لأنه كلما عرفنا أكثر اقتربنا وانتقلنا إلى دائرة أقرب.

وكل دوائر هذه المعرفة هي علوم تُقرِّب إلى الله تعالى وأول دائرة لها هي الثقة بالله؛ أنه هو المعطي لكل شيءٍ جل جلاله.

وبداية طريقها أن يصلي ويسأل الله تعالى أن يعلِّمه مع القناعة التامة أن:

«**ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن**» وشعار الداخل إليها دائماً:

«**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع**» والعلم الذي ينفع هو الذي يزيد اليقين بالله سبحانه.

وكم هو ادِّعاء وغرور وجهل وسوء أدب أن يطلب إنسان هذه المعرفة والله سبحانه وتعالى لا يريده لها، لأن الادِّعاء والغرور دائماً يخرج الإنسان خارج دائرة هذه المعرفة، وعندها لا يدري الإنسان المدعي لهذه المعرفة كيف يُطرح عليه أمرٌ يوماً من الأيام فيفتن؛ لأن يقينه ضعيف وليس أهلاً لهذه المعرفة، وعندها يتسلل الشيطان إلى قلبه، خاصة أن الزمن الذي نعيشه الآن زمن فتن. والأسئلة المطروحة لهذه المعرفة كثيرة، وهناك حكمة الله تعالى في ذلك ليتم فرز الناس كل منهم حسب مقامه.

12 القرآن الكريم جزء من الحقيقة

القرآن الكريم هو جزء من الحقيقة الكونية؛ لذا لا يمكن أن يكون غير ذلك، و لا يمكن أن يكون إلا كما هو عليه الآن، ولا يمكن استبدال أو نقص أو تغيير أي شيءٍ فيه مطلقاً؛ وذلك لأن الحقيقة واحدة.

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [هود: 11/ 1].

لا يمكن أن يقوم الكون بحدِّ ذاته دونَ القرآن الكريم، وهو جزء من الحقيقة، وذلك لأنه كلام الله تعالى لا عبثية فيه إطلاقاً، ولا يمكن أن يكون فيه أي شيءٍ لا معنى له، فهو سبحانه وتعالى المقسط..

﴿.. وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ [فصلت: 41-42].

وكما أن الكون هو كُلٌّ متكاملٌ كذلك القرآن الكريم؛ لذا يجب قراءته بشكل كليٍّ ومتكاملٍ، وهذا الشيء من الأمور الأساسية في فهم كلامه سبحانه، وعندما تكون قناعة أي إنسان في تطابق مع القرآن، عندها يكون إنساناً سويّاً يسير مع الحقيقة، ويتبوأ تماماً مكانه الصحيح في هذا الكون.

13 مفهوم الفرح

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦﴾ [القصص: 28/ 76] تُرى لماذا يبين لنا الله سبحانه أنه لا يحب الفرحين؟

لأن الفرح هو الأمر الذي يأخذ مشاعرك ويسيطر عليك ويخرجك من ضبط نفسك ويعميك، بينما الفرح الممدوح هو الذي ينفعك في أخرتك.

كما جاء على لسان الشهداء: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠﴾ [آل عمران: 3/ 170].

أو عندما يكون نصراً من عند الله: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥﴾ [الروم: 30/ 4-5].

أو عندما يكون عطاء وفضلاً من الله: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [الروم: 30/ 4-5].

وأما الممدوح في القرآن فهي السعادة ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [هود: 11/ 108] والقلب السليم: ﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ [الشعراء: 26/ 89].

14 صراط الذين أنعمت عليهم

تعني هذه الآية فيما تعني أن المسلمين موصولون بعلوم القدماء وهم استمرار لما سبقهم من التراث الكوني.

و نظام الفروض الـ 5 و الـ 17 ركعة في اليوم والليلة[1]، هو أكبر دليل على اتصال المسلمين بالأمم السابقة وبالنظام الكوني.

والحضارة الإسلامية هي عريقة وأصيلة وتتمة وإكمال للحضارة الكونية ولا تتم إلا بها، وهي أساسية لفهم الحضارة الكونية بأسرها وفهم علومها لأنها متصلة منذ خلق الإنسان وتعليمه سبحانه لأدم الأول وحتى يومنا.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: 21/ 92].

المعرفة الموجودة في الإسلام هي معرفة عالمية وأساسية، وهي المعرفة التي انتقلت عبر أنبياء الله ورسله، بينما أكثر الحضارات لا نَسَبَ لها لذا قال عليه الصلاة والسلام:

«مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ» [صحيح مسلم: 4239].

15 حدوث أمر ما بشكل دائم

من أخطر أمراض النفس هو السعي لضمان حدوث أمر ما وبشكل دائم؛ لأن النفس تشعر بالراحة والطمأنينة عند غياب الحاجة في إعادة الطلب لأي أمر، وتضمن أن هذا الأمر دائم الحدوث ولا ينقطع مع الزمن، مثلاً أن يقول: ضمنت مستقبلي ومستقبل أولادي، وهذا أمر خطير لأن الله سبحانه وتعالى هو المعطي والمانع وبيده استمرارية الأمور كلها، ولأنه عندما يغيب ذكر الله جل جلاله تكبر النفس والإحساس بها. وعندما يكون القلب حاضراً بالذكر تصغر النفس وتتلاشى، لذا يجب تطوير النفس وتوسيع دائرة اهتمامها بحيث لا تبقى هذه النفس ضمن السعي إلى احتياجاتها فقط.

(1) ولمن أحب أن يتوسع في هذه الفكرة يجدها في كتاب مجال المعرفة المركزي.

16 العلم الحقيقي

كل شيءٍ في حياة الإنسان يجب أن يكون من أجل بلوغنا الغاية الحقيقية وهي الله جل جلاله، وهذا هو العلم الحقيقي، وكل شيء خارج عن ذلك هو إضاعة للوقت؛ وهو موضوع قابل للتأمل والدراسة.

العلم هو الشيء الحقيقي المهم في حياة الأنبياء كلهم؛ والهدف الذي يسعون إليه واضح في أذهانهم أن الله سبحانه وتعالى هو غاية ونهاية كل علم وكل شيء يصب في هذه البوتقة.

هذا العلم الذي سعى إليه كل الأنبياء يجب أن يكون جزءاً متحركاً في الإنسان لا كامداً، كما كان النبي ﷺ بكل حركة من حركاته علماً حقيقياً ينتفع الناس به؛ لذا أمرنا الله سبحانه أن نتعلم من النبي ﷺ حين قال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: 33/ 21]. وقال عن سيدنا إبراهيم: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: 60/ 4].

أي: يكفي أن تلازم إنساناً مثل الأنبياء أو أصحابه؛ كي تتعلم من حركاتهم وأفعالهم، وليس كما يفعل عامة الناس؛ إذ المعرفة عندهم موضوعة في كتاب يعودون إليه إن لزم الأمر، وجُلُّ حركاتهم وأفعالهم لا تمت إلى ذلك العلم بأي صلة.

والخلاصة: العلم الحقيقي هو الذي يكون جزءاً متحركاً من الإنسان، ويظهر دائماً بكل حركاته وأفعاله؛ كما هو حال الأنبياء ومن بعدهم أصحابهم الذين نقلوا لنا علوم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

17 فهم الذكر

يجب أن يطلب الإنسان من الله سبحانه وتعالى أن يفهمه الذكر وهو جل جلاله كريم، مثلاً: أن يفهمه الصلاة على النبي، أو أي ذكر آخر.

وأولاً وأخيراً: هو سبحانه من يُفهم الإنسان معنى أي ذكر كان.

مثلاً: كم هو شيء عظيم أن يُفهم سبحانه إنساناً معنى الصلاة على النبي؛ لأنه عندها يدرك كم هي عظيمة، لأنها صلة وبركة وتساعد الإنسان إلى الوصول إلى الله سبحانه وتعالى.

وعموماً: عند البدء بأي ذكر يمر الإنسان بمراحل يكون فيها معنى الذكر غامضاً، ثم إن استعان بالله لا يلبث أن يفهمه.

18 علم آدم أصل ونهاية العلوم لدى البشر

العلم موجود أصلاً، والمعلومة خارجة عن الزمان والمكان[1]، وكل ما هنالك أن الإنسان حين يحصل علماً فهو يتذكره. وبمجرد ما ترفع الحُجب عن الإنسان يرى كل شيء.

والأصل عند العارفين: النظر إلى أصل العلم، ولا يُؤخذ العلم الذي لا أصل له، وعندهم الله سبحانه هو أصل العلم، ودليل ذلك الآيات الكثيرة، ومنها:

﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ...﴾ [البقرة: 2/ 32] وغيرها، وهو جل جلاله أصل العلم الحقيقي وباقي الأمور وَهْم؛ لذا فإذا أردتَ طلب العلم فاطلبه منه سبحانه بواسطة أنبيائه وملائكته، وهذا هو العِلْمُ الصحيح.

العالم المطلق هو الله جل جلاله؛ لأن من أسمائه تعالى: (العليم). وفي أحسن الأحوال يعطي الله سبحانه عِلْمَ آدم؛ وهو أصل ونهاية العلوم لدى البشر، ودليله أن أول ما يرد عن سيدنا آدم هو العلم ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 2/ 31]. (مثلاً: لِـمَ لَـمْ يَقُل الله سبحانه وتعالى: عَلَّم آدمَ الحِكْمَة؟)؛ وبالتالي كم هو واضحٌ الترابط بين العلم وآدم، والعلم هنا للأسماء، والأسماء تحتاج إلى لغة، واللغة هي أول ما فُطِرَ عليه الإنسان ووُضع في عقله، والله أعلم.

لذلك الأحرف والأسماء واللغة: هي محور علم سيدنا آدم، وهي مُلْفِتَةٌ للنظر، وكم تستدعي الوقوف والتأمل.

علم سيدنا آدم هو أصل ونهاية العلوم لدى البشر؛ لذا فمن أخطر المنزلقات في ظن الإنسان أنه تعلم كلّ شيءٍ.

19 الخروج من نظام إلى نظام آخر

من إشكالات الفكر البشري أنه لا يمكن أن يكون الشيء هو وضده. بينما في الطرف المقابل ممكن. فسبحانه وتعالى مثلاً هو بالوقت نفسه رؤوف ومنتقم، معزٌّ ومُذِلٌّ، أولٌ وآخرٌ... وهذا قد يظهر أنه تناقض، وهو ليس كذلك؛ لأنه سبحانه و تعالى خارج عن كل الأنظمة الضابطة للبشر.

ومثاله: سيدنا النبي ﷺ في الإسراء والمعراج رأى أحوال أهل الجنة، وأحوال أهل النار كيف ذلك.. خرج من نظام إلى نظام آخر، كذلك قضية التسيير والتخيير تندرج أمام هذا الأمر.

---

(1) رأي الأستاذ سليمان أن أفلاطون قال ذلك لذا هناك كثيرٌ من الفلاسفة المسلمين ميالون إلى أفكاره.

20 أتجعل فيها من يفسد فيها

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ...﴾؟ [البقرة: 2/ 30].

من أين للملائكة أن يعلموا؟

* إن النص القرآني لا عبثية فيه إطلاقاً ويجب إدراك ذلك تماماً، لذا يجب الانتباه لكل كلمة وما بعدها.
* المسائل الدقيقة كهذه المسألة لا نبحث عن الجواب قبل أن نقف ونناقش السؤال أولاً، ثم نضع الأسس التي يأتي الجواب عليها.

مثلاً: لماذا ورد هذا النص؟ ... وهذه الكلمات... وفي هذا التسلسل.

وإذ ← قال ← ربك ← للملائكة ← إني جاعل في الأرض خليفة.

وهل يمكن لخليفة الله أن يسفك الدماء والأرض هي الأرض التي نعيش عليها؟ ثم كيف للملائكة أن يقولوا ذلك عن علم وهو تعالى يقول: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ...﴾ [البقرة: 2/ 30].

* يجب الانتباه عند نقاش مسائل ميتافيزيقية عالية كخلق آدم والملائكة أن المنطق والبديهيات والمحاكمة يختلف جذرياً، ودخول الإنسان بقناعاته اليومية ومنطقه الجاهز هو خطأ فادح؛ لأنه بذلك كأنه يدخل في متاهة، ولعل ذلك هو سبب ضلال الفلاسفة. ويجب الانتباه جداً إلى هذا الأمر.
* يجب الانتباه جيداً أن أسلوب معالجة معلومة في القرآن الكريم؛ وخاصة الأمور الميتافيزيقية والمغيبة يكون بأن يصل الإنسان جسوراً عبر هذه المسألة، لا أن يجد لها جواباً معيناً واحداً وبشكل نهائي وقاطع؛ لأنه بذلك يكون قد أغلق باب العطاء الإلهي ووضع الآية ضمن إطار معين ومحدد. أما إن وضع بينه وبينها اتصالاً يستلهم منها المعلومة، يكون قد اقترب من الآية أكثر، وقراءة القرآن لها أكثر من طبقة واحدة، وكلما اقترب الإنسان من الحقيقة ظهرت له أفكار بشكل أوضح وأكثر جلاءً.
* عند الدخول في أمور جداً دقيقة كبداية الخلق والملائكة... أو خارج عالمنا، يجب أن يكون الإنسان يقظاً ودقيقاً إلى الآلية التي يفكر بها. مثلاً: أن يتصور الكون ويكشفه بكامله هو أمر مستحيل؛ ذلك لأنه لا يمكن للإنسان أن يتصور شيئاً بلا بداية ولا نهاية، وبمجرد أن يقول داخل الكون وخارجه يبدأ الخطأ، لأن الكون غير محدود.

* تحتاج مثل هذه الأمور الميتافيزيقية بالذات إلى فتوح من الله سبحانه وتعالى، ولا يتم ذلك إلا حين يكون الطلب لإتمام القرب منه جل جلاله، وليس بحب الفضول أو الاطِّلاع، وإلا فلا يحصل الأمر. ويمنُّ الله سبحانه بهذا الفتوح على العبد ويريه (ما كان وما سيكون) لرفع كفاءته وزيادة قربه من الله سبحانه تعالى.

21 كن فيكون

لم يَرِدْ في القرآن الكريم أن الله سبحانه خلق بغير «كن فيكون» سوى الإنسان. وهذه مزية تَفَضَّلَ بها سبحانه على بني آدم، وهي ناحية جداً مهمة، وعدم إدراكها جهل محض، وهذا الذي لم يفهمه إبليس حين قال له تعالى: ﴿... مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ..﴾ [ص: 38/ 75] وكم هو جهل فاضح من إبليس.

الإنسان حين يرى آية من آيات الله تعالى أو منظراً رائعاً يكاد يغيب لُبُّهُ، فكيف لم يرَ إبليس بديع صنع الله عز وجل في خلق الإنسان الذي قال عنه سبحانه:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: 95/ 4]. وقال عنه جل وعلا:

﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: 96/ 5] ولم يرى إبليس من خلق الإنسان سوى الطين؟!!. حين قال: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾[ص: 38/ 76]. وأيّ حجاب و أيّ عُمي أن يتطاول إبليس على خالقه و هو يعترف به خالقاً له! ﴿خَلَقْتَنِى﴾ وأيّ حماقة هذه أن يقدّمَ حجة يريد أن يبيّن بها لخالقه أنّه أخطأ في أمره سبحانه ! إذ فحوى حجته و كأنه يريد أن ينبه خالق النار و الطين: «كيف غاب عنك فضل النار على الطين؟». في هذه الحجة يتجسّدُ جهلُ إبليس.

22 نظرة إلى ما قبل بلوغ سن الرشد

يجب أن يستغفر الإنسان من خواطر وأعمال لا تليق بحق الله سبحانه حتى قبل سن الرشد؛ ودليل ذلك: أن الله سبحانه حفظ هذه الخواطر والأعمال في ذاكرة الإنسان بعد سن الرشد؛ وخاصة خواطر من أسئلة طرحها عن الله سبحانه ولا تليق به جل جلاله، وبقيت في عقله الواعي بعد البلوغ، وذلك حتى يستغفر منها ويرتب إيمانه وتوجهه إلى الله سبحانه.

23 كلمات من سورة الكهف

كلمة «مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ»:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [الكهف: 18/ 60] نلاحظ أن مجمع البحرين بالنسبة لسيدنا موسى شيء مهم ومن تجاربه، كما سبق في الموعد حين قال تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ... ﴾ [البقرة: 2/ 50] وكيف انشق البحر إلى قسمين وعَبَر سيدنا موسى وقومه ﴿... فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الشعراء: 26/ 63].

كلمة «نَسِيَا حُوتَهُمَا»:

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ ﴾ [الكهف: 18/ 61] لم يجد سيدنا موسى التعب والنصب إلا بعد النسيان:

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الكهف: 18/ 62] ودليلها أيضاً من الحديث (المتفق عليه من فضائل الخضر).

كما يجب أن نلاحظ: أن اللقاء مع سيدنا الخضر كان بعد حياة الحوت ونزوله بالماء، ولم يكن مباشرة حين لحظة حياة الحوت، بل هناك فارق زمني وهناك قصة خلفها، والله أعلم.

كلمة «ٱلصَّخْرَةِ»:

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ ﴾ [الكهف: 18/ 63] كما في مجمع البحرين شيء من حياة سيدنا موسى في قوله تعالى:

﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ... ﴾ [البقرة: 2/ 60]، وهناك في حديث النبي ﷺ عن سيدنا موسى عليه السلام كيف أن الحجر فر بثوبه فضربه... وغيرها. ثم تتمة القصة مع سيدنا الخضر وكل حادثة من الحوادث الثلاثة التي مرت مع سيدنا موسى لها ارتباط بحياته كذلك الموعد للقاء سيدنا الخضر يجب أن يستدعي في ذهن سيدنا موسى عليه السلام أهم موعد في حياته ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ... ﴾ [البقرة: 2/ 51].

وعلى العموم الآيات التي يجب أن تحضر في ذهن القارئ لهذه القصة حول كلمة موعد وبالذات في حياة سيدنا موسى. وذلك لأن آخر آية قبل بداية قصة سيدنا موسى والخضر تنتهي بكلمة «موعداً».

كلمة «صبر»:

نلاحظ في قصة سيدنا موسى عليه السلام: أن أول الآيات أتت بفكرة الصبر ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾ [الكهف: 18/ 67] والصبر هو محور هذه الآية، وهو أهم كلمة فيها، كما نلاحظ أن الأنبياء أولي العزم هم خمسة وهم الذين أُمروا بالصبر.

كلمة « فَٱنطَلَقَا»:

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ ...﴾ [الكهف: 18/ 71].

كلمة فانطلقا وردت في سورة الكهف ثلاث مرات في المرة الثانية ليست كالأولى في المعنى؛ وذلك لأنه ثمة معلومة جديدة قد أضيفت كذلك فانطلقا الثالثة ليست كالثانية؛ لأن ثمة معلومة جديدة قد أضيفت عليها.

كلمة «ٱلسَّفِينَةِ »:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ ...﴾ [الكهف: 18/ 71].

من المهم جداً ملاحظة أل التعريف في كلمة «السفينة» لأنها توضح هذا المعنى بحيث أنها مخصوصة، وليست أي سفينة، بينما الغلام دون أل التعريف «غلام» كذلك الكنز «كنزاً».

كلمة «لَوْ شِئْتَ »:

في سورة الكهف قوله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾ [الكهف: 18/ 77].

كلمة «**لو شئت**» الثالثة: دليل أن سيدنا موسى اختلفت لهجته من سؤال استنكاري في الأولى والثانية، بينما في الثالثة: كان اقتراحاً حيث قال: «لو شئت» والأمر بحاجة إلى تأمل؛ لأن كلام الله سبحانه لا عبثية فيه.

كلمة «سَأُنَبِّئُكَ »:

من الأشياء اللطيفة في قصة سيدنا موسى والخضر: أن سيدنا موسى حين وَدَّع الخضر قال له الخضر: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾ [الكهف: 18/ 78]، ولم يقل له: سأعلمك. وبالتالي نفهم من ذلك أن هذا النص من قصة سيدنا موسى بحد ذاته بحاجة إلى تأويل حتى يُفهم، وهذه الآلية في معالجة النص القرآني هي مهمة جداً؛ وذلك لأنه كلام رب العالمين الذي لا زيادة فيه ولا نقص .

24 الحرب النفسية

أخطر الحروب هي الحرب النفسية، وذلك عن طريق تحطيم الذات؛ وبالتالي ينهار الإنسان ويفقد ثقته بنفسه واعتزازه بها Self esteem واحترامه لذاته وعندما يصبح الإنسان منهاراً فلا يمكن الاعتماد عليه وليس له ثقة بنفسه. ومن أهم أهداف أعداء المسلمين هي كسر هذا التقييم الذاتي Self esteem وهي الغاية المطلقة لهم؛ ولذلك ترى الإنسان المنهار يلجأ إلى تقييم خاطئ بأشياء تافهة: كأثاثٍ أو فرشٍ أو مالٍ من أجل إعادة الثقة بنفسه.

أسلوب التعليم وعرض الأفكار من الأمور الخطيرة وهذا هام جداً لأنه يمكن عند طرح الأفكار التأثير على الآخرين وذلك بأن تعطي للعقل الواعي الرضا، وتضع السم في العقل الباطن، وهي من آفات الإعلام الحديث، والغربيون يتبعون هذا النوع عند التعبير عن أمور السياسة بل هي أحد أهم الأساليب التي تدرس عندهم لرجال السياسة.

25 الاستعاذة هي عطاء من الله سبحانه

عند الاستعاذة من الشيطان الرجيم يجب أن نستحضر عظمة الله سبحانه وتعالى، لا الخوف من الشيطان ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء: 4/ 76].

وأن نطلبها بصدق حتى يمنَّ الله سبحانه بها علينا؛ لأننا بحاجة ماسة لها. وكم هو عظيم أن يعيذنا الله سبحانه من الشيطان.

لأن سريان مفعول الاستعاذة من الشيطان هو فضل يتفضّل به سبحانه على خاصَّةِ عباده، و ذلك بدليل الحديث القدسي الشهير[1] حين يقول عليه الصلاة والسلام على لسان ربه:

«فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ...»! فأي مقام، وأي عطاء منه سبحانه إن أعاذنا من الشيطان.

فالأمر ليس تحصيلاً حاصلاً بل يستوجب حضورَ قلبٍ و افتقاراً شديداً لله حتى يمن بها علينا.

---

(1) قال رسول الله ﷺ: إنَّ الله قَالَ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ». [صحيح البخاري: 6021].

26 تداول العلوم الخاصة عند المسلمين[1]

أعطِ أيَّ شخص علماً معيناً ترَ نفسه ميالة إلى الشر ومثالها تطبيقات الذرة.

وعلى العموم نجد إساءة الاستعمال للعلوم الحديثة بشكل عام، ومن الملاحظ أن العلوم في القديم والحديث لا تواكب بين تقدمها التقني مع تقدمها الفكري، ذلك لأن النضج الفكري عند أصحاب هذه العلوم لم يتواكب مع النضج العلمي لديهم.

بينما نجد أبواب العلوم مفتوحة أمام المسلمين أكثر من غيرهم وبالذات العلوم الخاصة لأن الخُلق الموجود لدى المسلمين لا يوجد عند غيرهم.

من هنا كان حرص المسلمين أن تنتقل هذه العلوم الخاصة ضمن سلسلة محدودة حال كونها قد تستعمل للضرر، ولا تُعطى إلا لمن عُرِف عنه مراقبة الله سبحانه بما بين يديه من الإمكانيات والطاقات، واستخدامه لهذه القوى في مكانها المناسب.

ومن حسن التصرف لمن يحمل هذه العلوم أن لا يُرىَ ما بداخله ذلك لأن الحقيقة الناصعة لا توضع خارجاً على قارعة الطريق مثل الجواهر؛ والمهم أن يكون صادقاً ويتصرف بما يقتضي الموقف الذي هو فيه، بحيث لا يكون خارجاً عن المألوف لأن أيَّ عِلْم بلا خُلُقٍ خطر رهيب.

وأهم شيء لصاحب هذه العلوم أن يكون متصلاً بالله؛ بحيث إذا أراد التصرف فإنه يسأل الله أولاً بالاستخارة أو طُرُق أخرى: (مثل رؤية سيدنا النبي ﷺ ويأمره بالفعل) وعندما يكون لديه الإذن يكون بذلك ممتثلاً للأمر الإلهي، وعندها يتصرف على بينة لأن القضاء على الناس يعني ببساطة قطع فرصة الحياة الدنيا عليهم، وإن حقق شيئاً فهو بِإِذْنِ الله ومثال ذلك سيدنا عيسى عليه السلام كانت تحصل على يديه المعجزات إلا أنه لا يعمل شيئاً إلا بِإِذْنِ اللهِ؛ ودليلها قوله تعالى:

﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 3/ 49].

(1) العلوم الخاصة: هي تسمية للعلوم التطبيقية التي يتأتى عنها نفع كبير وبذات الوقت يمكن عند إساءة استخدامها جلب ضرٍّ أكبر، ومثالها: علوم الذرة وكل العلوم الخطرة على البشر وعلى الخلائق بشكل عام.

27 الشيخ الناصح المربي

من فضل الله تعالى وكرمه أن يجمع المريد[1] بشيخ ناصح؛ لأن الحياة الدنيا قصيرة إن اعتمد المريد على نفسه فقط، وكم يُختصر له الطريق وهو في بداية عمره إن استفاد من خبرة متراكمة طويلة مع عمر مديد لشيخ أخذ عنه.

الاجتماع بشيخ عارف حقيقي بحد ذاته هو بترتيب من الله سبحانه وتعالى، وهو للمريد فرصة للطاعة و الامتثال لأمر الله سبحانه لأن الشيخ يساعد المريد في طلب العلم إلى أن يصل إلى مستوى المعرفة المناسبة التي توصله إلى الله سبحانه.

والشيخ المربي هو الذي بإمكانه أن يُحَلِّق فوق المسألة ويحيط بها، ويمكن له أن يميز تماماً بين الغاية والوسيلة، وأن يضع كل شيءٍ بمكانه الصحيح بنظرة شاملة ويوجه طاقة المريد إلى مكانها الحقيقي والمناسب، وهو أمر دقيق جداً، فإن اجتمعت الهِمَّة والصدق من المريد مع الشيخ فإنه يحصل التوفيق من الاجتماع بإذن الله تعالى.

وعمل الشيخ الحقيقي هو دائماً إصلاح أي أمر يعرقل صلة المريد بالله سبحانه؛ لذا فإن الشيخ يتابع أخطاء المريد ويسعى إلى إصلاحها، ولا يعطي الشيخ قراراً بإصلاح أي خطأ إلا حين تظهر البيّنة أن هناك خطأً معيناً، عندها يؤخذ القرار المناسب ويكون هذا القرار دائماً لصالح المريد الذي يسعى إلى زيادة صلته بالله سبحانه.

وخطأ جسيم أن يحاول المريد إثبات نفسه وتميّزه أمام الشيخ الحقيقي، وهذا خطأ لأن الشيخ الحقيقي لا ينخدع بل ينظر إلى نفس المريد ويدعو له، والمهم عنده نفس المريد ، ولا تسره حركة يظهر فيها المريد نفسه، فليس مقصد الشيخ الظاهر بل نفس المريد هي المقصد وعلى المريد أن يتجاوز هذه الأمور ومثيلاتها حتى يستطيع الصعود والترقي؛ لأنها أعباء تَحولُ دون صعودِه وتطوّرِه نحو الله سبحانه.

(1) المريد أو السالك: هي تسمية للإنسان الذي يطلب العلم والمعرفة عند شيخ ناصح.

28 من مواضع السر في القرآن الكريم

لا يوجد كتاب على الأغلب في كل العلوم يبدأ من الألف باء ويفهم مباشرة، كل الكتب تحتاج إلى تهيُّؤ وتحقيق أمور عدة وكثيرة قبل البدء بها، حتى يستطيع الإنسان قراءة هذه الكتب. أما الكتاب الوحيد الذي يمكن أن يُفْهِمَكَ الأمور دون مقدمات فهو القرآن الكريم، وهذا من أول مواضع السرِّ فيه، ومثالها: قصة بداية الوحي التي يمكن فهمها مباشرة ولأيٍّ كان، ويمكن فهمها بطبقة أعلى حين النظر إلى السورة الكريمة من خلال ما حدث مع النبي ﷺ، والانتباه أن أول ما أُنزل من الوحي الإلهي على النبي ﷺ: ﴿اَقْرَأْ﴾ ثم: ﴿بِاسْمِ﴾ وقصة بداية الوحي لا بد وأن هناك حكمة من ورائها ولها ما يبررها.

مثلاً: لماذا ضم سيدنا جبريل عليه السلام النبي ﷺ ثلاثاً، وثلاثاً قال له: ﴿اَقْرَأْ﴾. والله سبحانه لا لغو عنده ولا أعمال لا معنى لها، تنزه سبحانه عن ذلك. إذاً لا بد من حكمة وراء ذلك. وهنا الباب مفتوح لتتبع أسرار هذا القرآن الكريم الذي قال عنه النبي ﷺ:

«هُوَ حَبْلُ اللهِ المَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ» [سنن الترمذي: 2831].

29 التهيؤ الشامل

كل شيء يجب أن يكون جاهزاً: القلب، التوجه، الاهتمام، العِلْم... وكل خفايا النفس يجب أن تكون جاهزة، حتى تتلقى النفحات الإلهية في هذه الدنيا، وللقاء الله في اليوم الآخر، وهذا يحتاج إلى وقت وجهد، ومثاله: الأنبياء بأسرهم مروا بهذه المرحلة، حتى النبي ﷺ هُيئ ولم تأتي النبوة إلا بعد مرور أربعين عاماً، وليس بشكل مباشر.

وخلاصة القول: ما المانع أن يكون الإنسان مهيأً وجاهزاً لتلقي نفحات الله سبحانه ومن كرمه أن يختاره الله سبحانه لنفحاته كما اختار سبحانه وتعالى أنبيائه والصالحين من خلقه، وبالتالي ما المانع أن أكون مهيأً؟.

30 الجسد شيء والنفس شيء آخر

(**أنا لست جسدي**) هي قاعدة ذهبية في السلوك إلى الله سبحانه.

وبالسلوك يجب على الإنسان أن يتيقن أن هويته ليست مرتبطة بجسده، وعند استيعاب هذه الفكرة يحلق الإنسان ويطير ولا يبقى أسيراً في داخل جسده لأن الجسد ليس سوى أداة لا غير لرحلة الحياة الدنيا.

الناس تخاف الموت وتكره الهرم؛ لأن هويتها مرتبطة مع جسدها، هذا الارتباط يدبُّ الذُّعر والخوف في الإنسان، وعندما تكون قناعة الإنسان أنه ليس جسداً فحسب بل نفس، عندها لا يبقى لديه مشكلة إن فَقَدَ شبابه وأصبح هرماً، أو إن تقدَّم في السنِّ، وغيرها من إشكالات تنتهي بهذه القناعة.

والقاعدة: الجسد الذي نحن فيه هو منحة وعطاء من الله تعالى لرحلة الحياة الدنيا، ونفس الإنسان هي شيء وجسده شيء آخر، والمعاقب يوم القيامة هو النفس؛ ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [النحل: 16/ 111].

بل وأكثر من ذلك: فسوف يشهد الجسد على الإنسان يوم القيامة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت: 41/ 20-21].

ومن هنا جاءت حرمة التمثيل بالجسد أو الإساءة إليه؛ لأنه ملكٌ لله سبحانه.

31 مرض الأفكار السلبية

أخطر أمراض النفس هو الأفكار السلبية والمتشائمة، هذه الأفكار تفعل فعلها في النفس وتعرقل حياة الإنسان بشكل عام.

والحل لهذه الأفكار السلبية: الانتباه إلى أن أي فكرة لتكون واضحة مفهومة تحتاج إلى طاقة ومدد من الإنسان ذاته، لتصبح مفهومة في عقله.

لذا: عند ورودها بشكل غير مباشر لا تبالِ بها، وعليك الاهتمام بشيء آخر وبأمر بَنَّاء إيجابي، وبدلاً من أن تبدد طاقاتك في الأفكار السلبية ضعها في أمور كلها خير وبركة، وتجد عندها أن تلك الأفكار قد تلاشت دون عودة.

32 لا تساهل مع النفس

لا يمكن التساهل أبداً في موضوع النفس، وذلك لأن نفس الإنسان إن تركت تترهل وتتخلخل، لذا يجب على الإنسان ألَّا يهمل شيئاً في نفسه.

ولتكون نفس الإنسان على أحسن حال يجب ألَّا يغيب ذكر الله سبحانه منذ الاستيقاظ ومنذ وضع القدمين على الأرض وحتى ساعة النوم ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: 91/ 7-10].

33 لمن أراد أن يسعى إلى العلوم الخاصة[1]

من أراد أن يسعى إلى هذه العلوم فعليه أن يطرح على نفسه أسئلة أهمها:

تُرى ما هو دوري؟ ما هو واجبي؟

وقبل أن يسير إلى أيٍّ من هذه العلوم عليه أن يفكر ما هي أبعاد العلم الذي يسعى إليه.

ثم عليه أن يتهيأ وينتظر إلى أن يصبح في مكان معين، وبوقت معين، وحين يريد الله سبحانه وتعالى أن يستعمله لهذه العلوم أن يكون جاهزاً لها.

من أهم المواضيع في علوم كهذه هو ضبط النفس والصمت؛ لأنها خارجة عن المألوف وكل ما هو خارج عن المألوف لا يُتكلم به إلى أي أحد؛ بل إلى أهله، ومثالها ودليلها: كيف أُمر كل من سيدنا زكريا وسيدتنا مريم عليهما السلام بالصمت، كذلك في قصة سيدنا زكريا كيف أُمر بالصمت حين استجيب لدعوته.

وأمثلة كثيرة جداً ومعروفة: كيف فتح الله سبحانه على أناسٍ وحين تكلموا في غير المكان المناسب رُفعت عنهم وبقوا طوال عمرهم نادمين.

ومن أولى أمور هذه العلوم: هو ضبط النفس، وأن يحسب كل كلمة يقولها، والكلمة مسؤولية؛ لذا كان الأنبياء عليهم السلام قليلي الكلام كثيري الصمت. فهذه العلوم لا يمكن أن يتكلم بها أحد إلا إن كان شيخاً عارفاً ويحسب تماماً أبعاد كل كلمة يقولها، لأن الجواهر دائماً تخطف الأبصار، وإن وقعت الجواهر على الأرض فإنها تلفت الأنظار أكثر من قطعة فخار أو طين وهذا هو حال هذه العلوم.

---

(1) العلوم الخاصة: هي تسمية للعلوم التطبيقية التي يتأتى عنها نفع كبير وبذات الوقت يمكن عند إساءة استخدامها جلب ضرٍّ أكبر، ومثالها: علوم الذرة وكل العلوم الخطرة على البشر وعلى الخلائق بشكل عام.

34 طلب علوم الخلافة أو علوم التصريف أو علوم الخواص[1]

أول شيء في طلب هذه العلوم: هو العمل على النفس وإن كانت النفس موجودة، فليس هناك علم لأن الإنسان حين ترفع عنه حجب نفسه، يرى كل شيء بإذن الله، وعندها يفكر الإنسان تماماً خاصة بالآخرة.

وإجمالاً: العلم معناه تكليف، والإنسان إن لم يكن مهيأً فإنه لا يطيق هذا التكليف؛ لذا الحجاب موجود.

وهذا الحجاب موجود دائماً ليس على الأشياء؛ بل على البصيرة ومتى استطاع الإنسان أن يضبط نفسه ويسيطر عليها؛ بحيث مثلاً لا يتأثر بمشاكل الحياة اليومية وعنده وضوح بالرؤية، وأن يميز أن هذا الأمر صغير، وليس مهماً، وهذا أمر هام يجب أن يهتم به عندها تبدأ رؤية البصيرة عنده.

ومن المفيد لطلب هذه العلوم: أن يعود الإنسان إلى آدميته الأولى، وإلى الشيء الذي جبله الله تعالى عليه؛ لأنه في طلب الإنسان لهذه العلوم هناك تصرفات ممكنة في الأحوال العادية. أما عند الدخول في رحاب هذه العلوم فمهما كانت الأحوال صعبة لا يمكن أن تقبل تصرفات لا تليق بهذه العلوم، لذا يجب الانتباه أن كل الأخطاء من حوله هي من نزغ الشيطان..

طالب هذه العلوم يجب أن يكون بمستوى معين ومهيأً حتى يستطيع الدخول فيها، ويكون ذلك بأن يرفع من مستواه ويهيئ نفسه؛ لأن أبواب هذه العلوم مفتوحة، والإشكال ليس بالأبواب المغلقة؛ بل بالإنسان وجاهزيته النفسية فطالب هذه العلوم يجب أن يكون جاهزاً، وهذا يحتاج إلى صبر وقدرة تحمل عالية وأعصاب فولاذية.

ولنتصور أن جيشاً مجهزاً بأحسن الأسلحة، وعند الحاجة لم يكن عند أفراده الصبر اللازم والمقدرة على التحمل! فما الفائدة من تجهيز ذلك الجيش؟ لذا يجب أن يكون الإنسان في هذه العلوم نفسه مثل الجبل وعندما يصبح جاذباً لقوى الخير قد يأتي إليه من يخبره ما هي مهمته.

والخلاصة: على الإنسان المسلم وبشكل عام أن يرفع من جاهزيته ويطور نفسه لهذه العلوم وبكل الأحوال إن فعل ذلك فهو المستفيد وإن لم يقدر له أ ن يكون من أهلها لأن الله سبحانه هو

(1) علوم الخلافة أو علوم التصريف أو علوم الخواص: هي تسمية عند المسلمين للعلوم التطبيقية التي يتأتى عنها نفع كبير وبذات الوقت يمكن عند إساءة استخدامها جلب ضرٍّ أكبر، ومثالها: علوم الذرة ويندرج تحتها كل العلوم الماورائية والخارجة عن المألوف، وهي التي يمكن من خلالها التواصل مع العوالم غير المرئية.

ذاته يرانا الآن ويرى الصحابة في زمانهم والأقوام السابقين وكذلك الملائكة، وكم هناك أناس قبلنا كانوا على أعلى مستوى، ولأن المسلم هو خليفة الله تعالى في الأرض؛ وبالتالي يجب أن يكون مهيأً دائماً لهذه العلوم، وحين يضع سبحانه المسلمين كلهم في محنة ولا يستطع أحد منهم أن يتصرف بهذه العلوم ويكون التصرف بها بيد غير المسلمين ـ كما هو واقع المسلمين الحالي ـ فهذا دليل على تركهم لها وهي علوم موجودة ودليلها القرآن الكريم وفيه: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ...﴾ [النمل: 27/ 40]

ونحن المسلمين يكفينا شرفاً أننا حين أخذنا بهذه العلوم كنا أصحاب التصرف الحقيقي بها وحسن استخدامها.

35 الطاعة والعبادة لله لها نمطها الخاص من التفكير

ليعرف الإنسان وظيفته وعمله الموكل به في هذه الدنيا، يجب أن يكون حاضرَ الذهن والقلب مع الله سبحانه، ويكون ذلك بالطاعة والعبادة أولاً؛ لذا يجب أن يعبد الله تعالى وهو يعلم أنه سبحانه غني عن العالمين، وهذا أمر مهم؛ لأن الإنسان على الأغلب يطبق مع الله سبحانه فكر وشعور ابن تجاه أب، ولله المثل الأعلى ، تعالى عن كل الشركاء.

الله سبحانه أعطانا عقلاً استثنائياً، وبهذا العقل لا يمكن أن نقيس علاقتنا به جل وعلا بعلاقتنا مع إنسان أو بيع وشراء، هل يمكن أن نطبق الأفكار نفسها مع الله عز وجل؟!.

بل يجب أن نفكر أثناء الطاعات أن الله تعالى غنيٌّ وليس بحاجة لنا، وأن نفكر بأسلوب يختلف جذرياً عن أسلوب الحياة اليومية ـ وهذا هام جداً ـ لأنه من الصعب جداً أن يعرف الإنسان وظيفته تماماً في هذا الكون قبل الأوان وقبل أن يصل إلى الدرجة المناسبة من الطاعة التامة لله سبحانه.

وعندما يصل إلى مكانه المناسب ويعلم أحدنا تماماً ما هي مهمته، هل يمكن له أن يبقى على حاله وعلى حياته اليومية؟ وهل يبقى له عذرٌ في التقاعس عن عمله الموكل به؟ لأن القاعدة في مثل هذه الحالات أنه بقدر ما تمنح تسأل.

عندما يصبح الإنسان من أهل علوم الخلافة أو التصريف أو الخواص[1] 36

عندما يُحَصل الإنسان أحد هذه العلوم يجب أن يتوفر فيه عاملان هما:

النضج والصلة بالله.

* **الصلة بالله**: تعطيك الموافقة والرضا من الله سبحانه وتعالى، وذلك عن طريق النبي ﷺ، عندها يتصرف صاحب هذه العلوم وهو على بينة وبمنتهى التسليم والعبودية لله سبحانه الذي أعطاه هذا العلم.

* **والنضج**: يعطيك حُسْنَ التصرف بهذه العلوم وأن تضع نتائجها في المكان المناسب لأنك إن أصبحت من أهل هذه العلوم فإنك تدخل في المخطط الكوني، وبالتالي أصبحت جزءاً من هذا المخطط، وحين تصبح جزءاً من هذا التيار الكوني يظهر لك ما يجب عليك فعله وما هي مهمتك في هذا الوجود.

الإنسان بالطاعات ينجلي له أي أمر، لأن العبادات هي امتثال لأمر الله تعالى وأمره جل جلاله لا عبثية فيه، وكل أمر له سبحانه هو جزء من الحقيقة الكونية.

فعلى من حصل هذه العلوم أن ينتظر الإشارة من الله سبحانه وذلك عن طريق الاستخارة أو طرق أخرى؛ لأن عمله وقتها أصبح جزءاً من القوة الكونية مثل الرياح، البرق... وشعاره دائماً: (اللهم إن نفسي سفينة في بحر طوفان إرادتك).

وأن يكون متفهماً تماماً لطاعة الله سبحانه لأن ذلك يُعطي تفهماً لبقية الأمور، وكلما دخل الإنسان إلى الطاعة واقترب يشعر تماماً بعبوديته لله تعالى، ولا يتصرف بهذه العلوم ولا يقطع في أي أمرٍ منها إلا أن يشاء الله سبحانه وتعالى.

ودليلها: أن النبي ﷺ وكم كان عبداً لله، لكن عندما قطع في أمر من عنده كيف حدث... ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ...﴾ [الكهف: 18/ 23-24] القصة... وهذه الحادثة عبرة ودرس مهم جداً، ويجب الوقوف عنده مليّاً لمن كان عنده هذه العلوم.

---

(1) علوم التصريف أو علوم الخواص أو علوم الخلافة: هي تسمية عند المسلمين للعلوم التطبيقية التي يتأتى عنها نفع كبير وبذات الوقت يمكن عند إساءة استخدامها جلب ضرٍّ أكبر، ومثالها: علوم الذرة ويندرج تحتها كل العلوم الماورائية والخارجة عن المألوف، وهي التي يمكن من خلالها التواصل مع العوالم غير المرئية.

37 انظر إلى الأشياء دون العبور من ذاتك

الإنسان أثناء انتقاله من الطفولة إلى الشباب الظروف هي التي تسيطر عليه، مثل أرض بور متروكة وظهرت بها كم نبتة، كذلك الإنسان إن لم ينتبه على نفسه.

الفكرة: أن يُعوِّد الإنسان نفسه الدخول في النظام الكوني، وليس هو فلان ابن فلان فقط، خانته كذا...

انظر إلى الناس! تجدهم ينظرون إلى الدنيا من قناةٍ ضيقة جداً ومحدودة جداً! فتراه ماشياً ولكنه أعمى لا يرى شيئاً، تراه يكلم نفسه أو يكلم صاحبه، حتى حين يدخل إلى المسجد لا يرى الباب، لا يرى السجاد، لا يرى شيئاً سوى صورة عامة. والمقصود أنه كم هو مهتم بذاته ومُنْصَبٌّ على نفسه، ولحديث نفسه أصداء لما يسمعه هنا وهناك.

نادراً ما ترى إنساناً ينظر إلى السماء ويفكر فيها ولا يفكر في نفسه، نادراً ما ترى إنساناً ينظر إلى الشيء دون العبور من ذاته.

38 ماذا نعمل للأجيال الصاعدة؟

من الملاحظ في الأجيال الحديثة أن كثيراً منهم ذو شخصية ضعيفة، ولا يوجد لديهم روح الجماعة أو المبادرة أو دافع العمل الجاد؛ وذلك لعدم القدرة على التركيز، أو القدرة على التفكير بأمور صعبة.

والسؤال: ماذا يجب أن نعمل لهذه الأجيال.. هل يجب أن ننتظر أحداً حتى يصلح هذه الأجيال؟ أم نقوم بخطوات جدية لإصلاحها؟

والخطأ: أن ننتظر إنساناً ما يأتي ليعمل هذا العمل (يحل لنا مشاكلنا).

والأخطر: أن يقول أحدهم: يستحيل أن أعمل شيئاً، وهل يمكن لي فعل شيء؟

ومن كان كذلك فهو الذي ينطبق عليه بداية الفكرة.

سؤال: كيف التهيؤ الشامل بشكل مسلكي؟ 39

* يجب أن ينظر الإنسان باتجاه السير نفسه، فأنت تسير على نهج الإسلام؛ إذاً لا بد من طاعة الله؛ لذا يجب أن لا تبقى مأسوراً بذاتك. انظر بالاتجاه نفسه صوب نظرك بالاتجاه الصحيح، وعندها توافق همتك طاعاتك وتوافق أعمالك.. وبالتالي تسير بكليّتكَ وليس بشكل مشتت؛ مثل امرأة مع عدة أطفال تسير في الشارع، كم يكون سيرها صعباً ولا يمكن أن تُكوِّن مع أولادها فريقَ عملٍ متجانس.
* يجب على الإنسان أن يجلس مع نفسه جلسات صدق ويسأل: لماذا كذا ولماذا كذا؟ يجب أن يصلح نفسه دون كسرها لا بد من وجود أخطاء؛ وبالتالي: أن يكسر نفسه يزيد على السوء ما هو أسوأ منه.
* تحتاج لإصلاح نفسك ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة] والله سبحانه ينوِّر القلب ولا بأس بدعاء: «اللهم نور لي بصيرتي بنورك وعلمني من علمك» وهذا الدعاء واصل بالتسلسل موصول. فإن قلت: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ بصدق يحصل الفتوح بإذن الله تعالى.
* عندما يكون الإنسان مهيأً يمكن واحتمال أن تأتي مهمة له، وما يدري الإنسان نفسه وهو ابن خمسين أين يكون، وماذا يستطيع أن يوصل للآخرين من خير، ومع مَن يستطيع أن يتكلم.
* إن كان مهيأً عندها يعلم ماذا يفعل، وإلى أي مدى يتصرف؟
* المهم أن ينتبه الإنسان وألا يكون غافلاً، فإن تنبه يحاول سَدَّ ثغراتٍ يأتيه منها أفكار عبثية لا فائدة منها، وإن وقف على الأقل عند الأخطاء التي كان يقع بها فهذا شيء إيجابي وبداية التهيؤ.
* أن يرتب تفكيره بشكل مسلكي وليس بشكل فوضوي، يجب أن يذكر الله مثلاً وعقله حاضر لا أن يكون غائباً.
* لا بد من: (**لا إله إلا الله محمد رسول الله**) وهو ذكر يُذكِّر الإنسان.
* يجب أن تنضبط أحاديث الإنسان مع نفسه بدلاً من إضاعة الوقت، وخاصة حين يريد اتخاذ أي قرار.
* مثلاً: حين أريد أن أفكر لـمّا لا أقرأ فاتحة وأستعيذ به سبحانه كي أجد حلاً.
* خير ما تتجلى فيه الرحمة الإلهية هو أن يوفقه الله تعالى لمعرفة الصواب وأن يسدد خطاه.

40 أهمية الذكر وقراءة القرآن والدعاء

إن أنت لم تأتِ بأي شيء إطلاقاً ولم تحقق شيئاً، وكنتَ من الذاكرين فعلى الأقل تشهد لك الأرض والمدينة أنك ذكرت الله سبحانه، ومن يدري بحسنة هذه الأوراد والقرآن كيف تتغير الأمور من اتجاهٍ إلى آخر. ربما مصائب أمور لبعد مئة عام قد ترفع، ومَن أكرم من الله سبحانه **«لا يُغني حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وإنَّ الدُّعاءَ يَنْفَعُ ممّا نَزَلَ وممّا لمْ يَنْزِلْ، وإنَّ الدُّعَاءَ لَيَلْقَى البَلاءَ فَيَعْتَلِجَانِ إلى يَومِ القِيَامَةِ»**[1].

ومن يدري كيف يبدأ الشر؛ لأنه يستفحل، وأنت حين تدعو لا ترى النتائج؛ لأنه جل جلاله تكفّل بها، ودليل على إيمانك أنك ثابرت وتابعت الدعاء دون أن تعرف النتيجة. فأنت عندما تكون ذاكراً وتسير في طريق تكون معك حزمة نور وملائكة تسير معك، وعكسهم يهربون كأي مادة معقمة على جرح.

وبالتالي كم هو سخيف أن يجلس الإنسان أو يسير وهو يفكر بأمور لا معنى لها، وكم هي طمأنينة أن يكون من الذاكرين.

41 الدخول في رحاب القرآن الكريم

مع القرآن الكريم يجب أن لا يقع الإنسان في مطب الاستخدام العادي واليومي له، وأول ذلك الاستخدام: هو قول الاستعاذة فهي ليست فقط للامتثال؛ بل المهم أن يضع فيها رجاءه وفقره إليه تعالى، حتى يعيذنا سبحانه، فهي ليست تحصيلاً حاصلاً؛ بل كرم منه سبحانه أن يعيذنا من الشيطان الرجيم.

ثم التريث وعدم الاستعجال فيما تَحَصَّل للإنسان من فهم وهو يدخل في رحاب القرآن الكريم؛ لأنه في العجلة لا يمكن أن يرى كل شيء ويحتاج الأمر إلى صبر، وهذا الصبر فيه انتظار، ولكنه كما قال سبحانه: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: 12/ 18].

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، برقم: 1813، وقال: صحيح الإسناد. وأخرجه الطبراني: 800/ 2، (33). وقال الألباني في صحيح الجامع (7739): حسن. «فَيَعْتَلِجَانِ»، أي: يتصارعان.

42 القلب السليم

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصافات: 37/ 83-84].

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: 26/ 88-89].

المهم دائماً تصحيح القلب؛ لأن القلب السليم هو الأساس والتزام المؤمن بكل العبادات لا يعني أن قلبه سليم؛ لأنه من حيث لا يدري يقرب المسافة بينه وبين الله تعالى، وينسى الفارق أنه عبد وأن سبحانه وتعالى هو الرب عز وجل، وأهم شيء في القلب السليم أن يشعر بعبوديته لرب العالمين:

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ [الكهف: 18/ 65]، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: 17/ 1]

والعبودية لله سبحانه هي أرقى حالات الإيمان. وعندما تطلب الكمال في الطاعات والعبادات فهذه مغالطة، والأصل والأصح هو طلب حال العبودية المطلقة لله سبحانه، فالعبد يخطئ ويعود ويتوب إلى الله سبحانه.

والخلاصة: القلب السليم؛ يحتاج إلى ثقة بالله سبحانه، وأن يطلب العبد منه العون وهو يمرّغ وجهه في التراب وهو مكسور النفس.

43 بداية الحكمة

الله سبحانه و تعالى، هو وحده الذي أعطى الإنسان إمكانيات عظيمة يتمتع بها من بين جميع الكائنات؛ لذا يجب ألَّا يعاكس نفسه بارتكاب الأخطاء؛ لأنها تحدُّ من هذه الإمكانيات، وأن يطلب لذلك التوفيق من الله وذلك لأن أخطاء إبليس هي نفسها التي أقسم أن يغوي بها بني آدم:

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحجر: 15/ 39].

لذا فالناس الذين يرتكبون خطأً معيناً يسعون جاهدين أن يفعله معهم جميع الناس، وهذا يعطي طمأنينة لهم بأنهم ليسوا وحدهم المخطئين، وبداية الحكمة هي معرفة الناس لأنفسهم وأخطائهم، وأول الأخطاء هو: جهل الناس بأنفسهم وعدم معرفتهم لماذا خُلِقَتْ هذه النفس؟ وما هي قيمتها؟ ومصدر أكثر الأخطاء نسيان قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: 35/ 6].

44 عند طرح سؤال

يجب عند طرح أي سؤال أن يكون مشذباً؛ لكي يكون متوجهاً إلى مكان واحد. أما إن كان ذا عدة شُعب فلا يمكن أن يكون فعَّالاً.

وإجمالاً في طلب العلم: يجب أن يكون الإنسان متمكناً من طرح السؤال؛ لأنه حسب السؤال يأتي الجواب.

وعند طرح سؤال ما يجب أن نحدد نقطة واحدة تماماً، وأن نركِّز عليها؛ وذلك لأن السؤال عندما يحوي أكثر من نقطة فإن ذلك يضيِّع السائل، ولا يمكن أن يجد جواباً صحيحاً، ذلك لأن السؤال هو أحد أدوات طلب العلم، ولا يمكن طلب أي علم إن لم يكن السائل عنده تصور واضح عن السؤال الذي يطرحه.

وأي جوابٍ على سؤال لم يطرح، لا قيمة له و لا معنى له بالنسبة للسائل، ما لم يطرح السؤال الصحيح، وما لم يكن أهلاً لتلقي ولحمل الجواب الذي يبحثُ عنه.

ومثاله: قصة الأعرابي الذي سأل النبي ﷺ عن الإسلام بشكل واضح وكيف أثنى عليه النبي بعد أن أجابه عن سؤاله[1].

45 كيف تكون معرفة النفس؟

بالتجرد عنها وهو بالمقابلة وهي خطوة هامة جداً في النضج وخروج من حالة طفولة (لأن الأطفال لا يفكرون بتصرفاتهم) والمقابلة: هو الطريق الأمثل لمعرفة النفس؛ وذلك بأن يضع الإنسان حسّه ووعيه خارج نفسه، وينظر من خلال ذلك إلى الناس وإلى نفسه، عندها يكون إنساناً موضوعياً. وهذا الأمر يحتاج إلى ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ لأنه سبحانه وتعالى هو الموفق.

كن دائماً مع الله ومستسلماً له سبحانه، وضَعْ عينيك وقلبك وحواسك عنده سبحانه، وكن حاضراً لأي امتحان؛ لأن المحن دائماً تجعل الإنسان يقيّم نفسه وذاته وينظر أين موقعه من الله تعالى.

وأصل العلم دائماً هو الله سبحانه وتعالى، فلا تبخل على نفسك بسؤاله وهو سبحانه الكريم، وكن دائماً مع: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ وهي ذروة الفاتحة.

(1) الحديث في صحيح البخاري برقم (44)، ونصه: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، ثَائِرَ الرَّأْسِ يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ وَلَا يُفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ». فَقَالَ هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ». قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَصِيَامُ رَمَضَانَ». قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ». قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ «الزَّكَاةَ». قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ».. قَالَ: فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ»؟

46 سيدنا الخضر

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: 18-65].

نلاحظ أنه سبحانه لم يتكلم عن سيدنا الخضر سوى في هذا الآية الكريمة فقط؛ وذلك لأن الآية الكريمة تكفي وتفي بالغرض. ولكي نفهم شيئاً عن سيدنا الخضر يجب أن نستقرئ هذه الآية لأن فيها كل شيء، والله أعلم:

الآية فيها تقابل:

آتينه ← علمنه

من عندنا ← من لدنا

رحمة ← علما

والتساؤل: لماذا مرة من عندنا ومرة من لدنا؟ والملفت للنظر أن السورة التي تليها هي سورة مريم؛ التي تبدأ: ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم: 19/ 1-2].

47 عند طرح أفكار ربانية

عند طرح أفكار ربانية لأي موضوع مع شخص ما يجب الانتباه إلى أمرين:

* إن كان الشخص مسلماً فيجب أن تأخذ بيده للحقيقة لوجه الله تعالى.
* إن كان الشخص غير مسلم ننظر إلى مصلحة ذلك الشخص.

ـ الانتباه أن الفكرة التي تدور بذهنك إن قدمتها لإنسان آخر فالغالب أنك تعطيه النتائج، أما الأسس فلا تذكرها؛ وبالتالي قد تَوَلَّدَ عند الطرف الآخر ردة فعل لا أكثر؛ لأنك لم تَعْرِض المشكلة بل النتائج.

ـ يمكن في حال حصل نقاش وتحركت نفوس الآخرين أن تعطيها شيئاً ولو قليلاً من الصحة والمصداقية ثم إثارة حاجة عندهم وإعطاءهم حاجتهم قليلاً قليلاً من الأمر الذي تريده.

ـ بصدق وتوكل على الله اطرح سؤالاً على الطرف الثاني؛ لأن السؤال يترك فجوة في الكلام ويُحدث اتصالاً معه، وإن استطعت أن تغلق هذه الفجوة تكون قد نجحت في إيصال المعلومات التي تريدها؛ لأن السؤال يشكل فجوة في الطرف الآخر نفسه يمكن أن تملأها بما تريد.

ـ الانتباه إلى جو الجلسة بشكل عام، وأن تكون بكل الظروف إيجابية.

ـ ويجب أن لا يغيب عن ذهنك أبداً أن القلوب بيد الله سبحانه وتعالى، وله الأمر أولاً وأخيراً، وهذه هي الحقيقة.

48 كيف نصل إلى المفاهيم القرآنية ونطبقها

حتى تصل إلى المفاهيم القرآنية وتطبقها برمتها يجب أن تنظر إلى سُلَّم الأهمية في حياتك، وأي شيء يجب أن تبدأ به، وترى أليس أهم شيء في الوجود أن تصل إلى مرضاة الله تعالى، وأن تكون من الناجين يوم القيامة، والباقي تحصيل حاصل، وتعظيم أي شيء أو أي أمر هو غفلة عن الله سبحانه.

يجب أن تعالج نفسك بسياسة وحكمة وأن تجمع شتاتها، وإياك والإكراه فإنه يزيد الأمر بَعْثَرَةً وتمزقاً. يجب أن تبحث عن قناعة داخلية عميقة جداً، وعندما يكون سبحانه وتعالى أكبر شيء في قلبك تكون بقية الأمور جانبية ولا يبقى مشكلة في حياتك، ويوماً بعد يوم تزداد نفحات الله سبحانه في قلبك حتى يمتلئ قلبك بنوره جل جلاله، حتى في تفكيرك اليومي الذي يستنفذ كل طاقاتك. يجب أن تستشعر أنه سبحانه مهيمن فوقك وهو المُعين.

يجب أن تكون خلفية أي تفكير أو عمل هو هيمنته سبحانه وتعالى؛ وبذلك تصل إلى الحل الأمثل لأنه سبحانه هو المُوَجِّهُ لكلِّ تفكيرٍ أو عملٍ في حياتك.

ومهما كنت عظيماً وذكياً... فإن لم يعطك سبحانه نوراً من عنده تبقى كأنك أعمى وتبحث عن مفتاح ضوء في غرفة مظلمة، والمهم أن تكون جاهزاً ونفسك تقول: لبيك ربي، وعندها إن شاء وتكرم سبحانه يساعدك، وإلا تبقى عبداً لنفسك.

يجب أن تسأل نفسك أيهما في سُلَّم الأولويات و أحبّ إلى قلبي؟ لذا يجب أن تسأله سبحانه دائماً أن يُحببَ إليك الله وملائكته ورسله والصالحين من عباده.

وكل ذلك ضمن شعورك أن الله سبحانه مهيمن وحاضر في الزمان والمكان.

49 الوصول إلى الحقيقة

للوصول إلى الحقيقة يجب أنت أن تبادر وتخطو خطوة بعد خطوة باتجاهها وتتعرف شيئاً فشيئاً عليها. أما إن أتت لعندك المعرفة ودفعة واحدة بوضعك الحالي فلن تستفيد منها، وهو أمر غير محمود لعدم مقدرة الإنسان على استيعاب كل شيء بوقت واحد، وأساس الدخول: كلما انفتح باب من أبواب المعرفة أن يدخل به رويداً رويداً، ومثاله الأقصى: سيدنا النبي ﷺ وكيف كان أَمْرُ الوحي متدرجاً بالنسبة له، حتى استطاع أن يتحمل وبمشقة رؤية سيدنا جبريل عليه السلام.

50 مراقبة النفس

لا مجال إطلاقاً لطلب علم عُلْويٍّ إن كان هناك تدخل لنفس الإنسان؛ ويتعرف الإنسان على نفسه من خلال ردود أفعاله طوال اليوم وحتى في الأمور الجزئية، وكل شيء ذي مدلول في حياته، ومن خلاله يعرف ذاته.

لذا يجب مراقبة النفس ـ وهذا وعي ـ مثلاً: كيف صليت؟ وهل كانت صلاتي كما يجب؟ ماذا خطر على بالي أثناءها؟... وهكذا. ومن الخطأ أن يرافق الأحوال السلبية لنفس الإنسان إحباط وردّة فعل سيئة؛ لأن ذلك حالة من حالات الطفولة.

الإنسان إن أخطأ، لا يعني أنه أحبط، بل يجب عليه أن يكون شجاعاً، و يناقش أي خطأ ويطلب من الله سبحانه العون، ويصحح قلبه وشعوره، و يعظم الله تعالى في قلبه ويصغّر أي أمر آخر، وهذا يعطي نضجاً بالرؤية، و يعيد كل شيء إلى مكانه، لأنه من قاس أموره بالله ـ وهو الكبير جل جلاله ـ فكل شيء دونه تافه وصغير، وإن كان المقاس أي شيء آخر فتعظم الأمور في قلب صاحبها حتى تسيطر عليه، وعندها يكون غافلاً.

51 الطريق إلى الله

لا مجال لأحد أن يدخل في الطريق إلى الله سبحانه ما دامت نفسه موجودة. الهدف دائماً طاعة الله تعالى وإعلاء كلمته، وكل شيء يدور حول ذلك بعده، ولمعرفة هذا الشيء في النفس يجب أن يلاحظ أحدنا هل تتساءل نفسه: تُرى لماذا أعطى الله سبحانه فلاناً ولم يعطني؟ ولماذا كذا؟... والله سبحانه العليم جل جلاله وهذا أمر عميق في النفوس، يجب على أحدنا أن يسأل نفسه: تُرى هل أبحث عن تصفيق الناس وإطرائهم؟ وكل ذلك بينك وبين نفسك، وكيف يكون عند أحدنا مثل هذه الكثافات في نفسه وهو يريد الفتوح والنفس تحتاج إلى تطهير بشكل دائم؟ مثل أين وضعي الآن؟ وما هو محلي من الإعراب؟ ماذا يقول الناس عني؟...

وهذا الأمر بحاجة إلى عمل، يجب أن يطور أحدنا نفسه، والأمر بحاجة إلى إخراج النفس ومعالجتها وكأنها شيء مستقل عنك. والأصل أن أنظر: ما هي قيمتي عند الله سبحانه، وليس في أعين الناس.

وبالتالي فإن المعرفة لا تتحصل إلا بالاتصال بالله سبحانه؛ حين يتحرر الإنسان من نفسه، ومن الحجب التي عليها ورفعها.

52 أجر الصبر

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 39/ 10].

الصبر هو عامل مشترك بين جميع العارفين والأكابر وأولي العزم كلهم من الصابرين.

قال تعالى مخاطباً نبينا عليه الصلاة والسلام: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 46/ 35]

﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: 16/ 127].

والصبر هو امتحان للإيمان قبل كل شيء، وأجره عظيم ولا شيء يضيع عنده سبحانه وتعالى وخاصة أجر الصبر:

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ١٣/ ٢٢].

والصبر هو أهم شيء في علاج النفس وآفاتها ولا يمكن للإنسان أن يرتقي بنفسه نحو الطاعة والعبادة دون الاستعانة بالصبر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: 2/ 153].

وعلى الإنسان أن يسأل الله تعالى أن يكون الصبر دائماً: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: 70/ 5].

53 أشد لحظة في حياة الإنسان

نحن لا نُدْخِلُ بعلمنا أن الله تعالى يوم القيامة يحاسب الناس بشكل علني، نفكر بالنتيجة (وهناك فجوات في العقيدة من مثل هذه الفكرة). والمهم أن الحساب هو محاكمة علنية، وهي أشد لحظة في حياة الإنسان والعمر كله! حياة دنيا، ثم حساب، وإما جنة أو نار. وهذا أمر واضح من خلال عرض الأفكار في القرآن الكريم أن الحساب علني، ونحن نمر على الحساب مباشرة إلى النتائج: إما جنة، وإما نار، دون الوقوف عند هذه اللحظة!

الله سبحانه وتعالى حق، وهو سبحانه حَكَم وعدل، ومحنة الحياة الدنيا حتى تكون الحجة على الخلق كلهم يوم الحساب.

حتى المؤمنون الذين أراد الله سبحانه أن يسترهم يوم الحساب عن أعين الخلق، فإنه تعالى يضع عليهم كنفه ويحاسبهم، ذلك إن أراد جل جلاله أن يغفر لهم؛ كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَعْرِفُ. قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ. وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ: فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ**» [صحيح مسلم: 4973].

54 أحوال السالك إلى الله

السالك إلى الله سبحانه يُمتحن، والمحنة التي يُمتحن فيها هي هامة جداً؛ لأن الإنسان أحواله متغيرة. ومن يدخل في السلوك إلى الله يفتح عليه، ثم يُمتحن، وهذا الامتحان تخصيص منه سبحانه وتعالى.

في البداية يشعر السالك بسعادة ودفء وفتوح ويشعر بسرور؛ وذلك لأنه مبتدئ، وفي الأمر حكمة، وبداية الامتحان شعور السالك إلى الله سبحانه بمتعة وفتوح، ثم يُمتحن بهذا الفتوح حتى يظهر، تُرى إلى أين التوجّه؟ هل هو لشعور الدفء والمتعة التي تولدت من هذا الحسّ أم الله سبحانه؟ وهو أمر جداً هام.

والحاصل: أن الأمر يأتي على الشكل التالي:

حين يبدأ الإنسان بالبحث عن السرور يكون قد اتجه إلى ذاته وليس إلى الله سبحانه. لذا يبدأ سبحانه بامتحان الإنسان ـ وهذا مِنْ مَنِّهِ وكرمه سبحانه ــ لكي يرى الإنسان أخطاءه. ومن الأشياء التي يُمتحن فيها مثلاً: أن الناس ينفضون من حوله ولا يبقى له معين، وهذه علامة عظيمة جداً؛ لأن ذلك صعب جداً، ولا يوجد سالك إلا و يمر ببعض مراحل حياة الأنبياء من الأذى إلى غيره إلى غيره...

ولذلك قص سبحانه وتعالى للنبي ﷺ قصص الأنبياء مثل: قصة سيدنا موسى وغيره من الأنبياء، وهناك كؤوس مُرَّة، فلا بد للسالك أن يتذوقها حتى يعلم معاناة الأنبياء، وعندها يشعر بقيمة هؤلاء الناس وعظمتهم عليهم السلام.

الأنبياء يمرون بحالات قصوى من الامتحانات؛ لذا يجب أن نهتم بالأحوال التي مرّوا بها، وعندما نمر بأزمة أو امتحان فذلك يذكرنا بأزمة أحد الأنبياء؛ مما يُحدث تعاطفاً وصلة مع ذلك النبي.

وكل امتحان يمر به الإنسان نتيجته أن يقول: لا إله إلا الله، وحقاً لا معبود إلا الله سبحانه، وبعدها لا ينظر ولا يتوكل ولا يعتمد إلا عليه عز وجل. أما حين يوجّه الإنسان نظرة إلى غيره سبحانه، ويضع أمله بغيره عز وجل، لا بد وأن يتعرض للامتحان ثانية.

لذلك البحث عن البسط والرواق والدفء، هو بحث عن النفس؛ وبالتالي يلتفت عن الله إلى نفسه، وهو بحث عن الذات.

كل الأنبياء مرُّوا بالأزمات وخرجوا منها فائزين وهو سبحانه وتعالى أراد أن يخرجنا من الظلمات إلى النور؛ لذلك لا بد له سبحانه أن يضع لكلٍّ واحد منّا امتحاناً يناسب مستواه، والامتحان نفسه للجميع، ولكن المستوى مختلف وكلٌ حسب درجته.

وأخطر عذاب لأهل النار ـ والعياذ بالله ـ هو نسيانه سبحانه وتعالى لهم يوم القيامة ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: 9/ 67]، ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ [الأعراف: 7/ 51] لذا فالامتحان دليل أنه سبحانه ينظر لك بعين الرحمة.

هذا الامتحان هو من النقاط الإيجابية في تغيير أحوال السالك وغنى خبرته في هذه الدنيا، ولكي يُحسن التعامل مع غيره ويعرف كيف ينصحهم، وليكون أهلاً للنصح ومواجهة مشاكل الغير في مستقبله، فهو إن لم يكن مَرَّ بالشعور ذاته فليس قادراً أن يحل مشاكل غيره، والله أعلم.

55 إن واجهت أي مشكلة

الفكرة: إن واجهت أي مشكلة أو شعور فيجب أن تستفيد منه وتحوله إلى شيء إيجابي في حياتك، وأن ترفد به خبراتك، وكلما كانت الحواجز أكبر كلما كان للحياة معنىً أهم.

وإجمالاً: لا بد حين نواجه أي مشكلة أن نتوجه إلى الله سبحانه أولاً، ثم نرجع إلى الخلف لنرى بشكل أوضح هذه المشكلة وندور حولها، ولا بد أن نجد لحلها ليس باباً واحداً؛ بل عدة أبواب بعون الله و مدده.

وحين نعلم أن الله سبحانه وتعالى من حكمته أن يمتحن كل الناس الامتحان نفسه، ولكن كل منهم حسب إمكانياته، وأن كل واقع لا يخلو من حكمة يجعلها سبحانه في هذا الامتحان، عندها نجد حلاً، ليس لهذه المشكلة؛ بل لكلِّ مثيلاتها، لأنه سبحانه وتعالى لا يُحَمّل الإنسان فوق طاقته، وأكثر مما بوسعه أن يفعله.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 2/ 286].

56 الأمانة التي حملها الإنسان

هناك كثير من الآيات القرآنية تشعرُ للوهلة الأولى أنه سبحانه وكأنه يرتجل الأمر، ويناقش الأمر بمنطق إنساني! وليس الأمر كذلك، حاشَ لله سبحانه، ومنها آية الأمانة:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب: 33/ 72].

وكأن الأمانة عرضها سبحانه وصدفة مَرَّ الإنسان فأعطاه إياها وكأنه (أستغفر الله) تورط... بإعطائها للإنسان ولو لم يصرح الإنسان بذلك نجد أن أعماقه يفكر بمثل هذا... والأمر ليس كذلك، حاشَ لله سبحانه أن يريد لأمر أن يجري بمجرى معيناً، ولكن جرى الأمر مجرى آخر.

وسبب هذا التفكير هو إسقاط منطق بشري على أمر إلهي، وهو سبحانه وتعالى منزه عن كل ذلك لذا يجب فهم الأمر الإلهي أنه :

يقيناً عرض الله سبحانه الأمانة، وهذا أمر يقيني لأن قوله الحق.

ثم حملها الإنسان، ترى أي إنسان؟ ومن أين يبدأ؟

والسؤال: أليس الله سبحانه وتعالى عالماً أن الإنسان سيحملها أخيراً؟

أليس الأنبياء حملوا الأمانة فهل كانوا ظلومين وجهولين؟.

وهذه الأمانة هي شيء عظيم لأن السماوات والجبال أبين أن يحملنها وأشفقن منها، وهي كناية عن عظم تلك الأمانة.

إذاً هناك إنسان حمل الأمانة ولم يكن ظلوماً جهولاً.

وكل إنسان وحسب مرتبته حمل هذه المسؤولية وهي الأمانة وأداها حقها ليس ظلوماً مثل النبي ﷺ وأصحابه والمسلمون من بعده الذين عملوا حسب ما أراد الله تعالى تماماً، وفَهْمُ هذا الأمر يحتاج إلى سعة ونضج؛ لأن الإنسان الذي مَنَّ الله عليه ليكون من أهل (لا إله إلا الله)، فهذا ليس شيئاً سهلاً بل هو خطير لأنها الأمانة وهذا المعنى واضح من أواخر سورة البقرة:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة: 2/ 285].

57 الداعية إلى الله

يجب استبدال المقولات الجاهزة في الدعوة إلى الله بالتفكير بأفكار موصولة معه سبحانه ومن القلب وليست مقطوعة عنه، والأخذ بعين الاعتبار أن كل إنسان مبرمج حسب حياة معينة قد تكون مهمة بالنسبة له، وتافهة بالنسبة لك.

والفكرة: لا يوجد صيغة جاهزة للدعوة وحالة خاصة جداً أن تطبق فكرة بالدعوة على مجتمع بكامله.

كل إنسان مبرمج على فكر معين، إذا جلست مع إنسان وشعرت أن هناك فتوحاً وتوفيقاً أعطه المجال أن تتعرف عليه وأن يعرفك عن نفسه وجوانب من شخصيته، وتأخذه منه حتى تصل إلى الذي يحبه، عندها تنقل له أولاً حال التعظيم لله سبحانه وتعالى.

أما إن لم تسمح له بالحديث وتكلمت معه بأي مجال دون أن تترك له الوقت، ولو لقليل من حديثه فلن يصغي لك وإن أظهر شيئاً من الاحترام، وكلامك معه سيذهب أدراج الرياح، وهذا حال أكثر الدعاة هذه الأيام.

دراسة أبعاد كل كلمة وما تعطيه من تداعيات شيء هام في الدعوة لأن الكلمة ليست معنى أو مفهوم فقط؛ بل لها انطباع وهو أهم من المعنى. و أي عبارة في محادثة لها شخصية مستقلة.

يجب الانتباه إلى فكرة التداعيات لأن أي فكرة قد تعطي بحد ذاتها انطباع، هذا الانطباع يفتح موضوعاً آخرَ لا علاقة له بأصل الفكرة قد يكون سيئاً. وبالتالي يجب الانتباه إلى اختيار الكلمات، حتى وإن كانت مبدئياً مناسبة ولكنها بعد فترة تستدعي أفكاراً سيئة.

58 بين الأداء والخشوع

يجب أن نميِّز في الصلاة بين الأداء والخشوع، وألَّا يختلط الأمر علينا، والملاحظ أن الإتقان في الصلاة الجهرية أكثر ما يسعى الإنسان إليه، خاصة إن وقف إماماً والمؤتمون من خلفه يتابعون إتقانه للقراءة والصوت؛ أي الأداء يجب على الإنسان إن صلى لوحده أو كان إماماً أو مؤتماً ألَّا ينسى أن الله سبحانه وتعالى ينظر إلى القلوب، وأنه يقف أمام خالق جل جلاله لا أمام إنسان، والمهم: أن ينظر لله سبحانه وتعالى في كل أمر وحركة في صلاته، وأن يضع حسَّه حين يقول كل كلمة، وخاصة لفظ الجلالة، حتى يصل إلى الذين قال عنهم سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: 23/ 1-2].

59 هل أنا مؤمن حقاً

يجب أن يسأل الإنسان نفسه: هل أنا مؤمن حقاً؟ ولهذا السؤال قواعد للإجابة: منها صفات المؤمنين في كتاب الله تعالى إن مرت معنا فلا بدَّ أن تستوقفنا ونتأمل فيها، وعندما يستأثر علينا ذكر الله سبحانه و يمر معنا في كتاب الله أن من صفات المؤمنين:

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: 8/ 2] وأمثالها من الآيات الكريمة يجب أن نتسابق إلى تطبيقها وأن نتفكر في مدى تحقق هذه الصفة وغيرها في قلوبنا، وهذا الأمر شيء كبير، ويحدث بالتدرج شيئاً فشيئاً.

كذلك عندما نمر على حديث شريف من مثل قوله النبي عليه الصلاة والسلام:

«**لا يُؤمنُ أحدكم حتَّى يُحب لأخيه ما يُحبّ لنَفْسِه...**»[1] وأمثاله من الأحاديث عن الإيمان أن نعيد التفكر بهذه الصفات التي اسماها علماء الشريعة شعب الإيمان لكثرة ورودها وأفردوا لها كتب ومصنفات.

60 الودود هو الله سبحانه

من أهم صفاته سبحانه الودود وكم هو لطيف أن نسترجع هذه الصفة الإلهية وكم هي قيمة وعظيمة إذا ما قورنت بود الناس.

كم نحب الإنسان الودود، فكيف حبنا للودود سبحانه. وكم هو جدير بنا أن نحبه سبحانه، وهو الذي أعطانا ومَنَّ علينا بكل شيءٍ جل و علا.

ونستغفر الله لأن الناس تعاملهم مع الله وكأنه مسؤول لهم عنده معاملات وطلبات فقط، أما عواطف الناس فهي بعيدة عنه سبحانه. وكم هو مهم قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 5/ 54] يجب أن يكون التعلق دائماً به سبحانه لأنه ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: 85/ 14]. لذلك يجب أن نرفع وننزِّه دائماً الله تعالى عن كل ما لا يليق به، وأن تكون علاقاتنا معه علاقات حبٍّ وودٍّ والطريق لذلك هو في الصلاة.

(1) متفق عليه، البخاري: 13. مسلم: 45.

61 منهجية العمل الجماعي

يجب عند بداية أي عمل جماعي وضع منهجية عمل (ضوابط وموازين...) وإلا تضِع الجماعة ولا تصل إلى نتيجة، والمنهجية تعني: أن يلتزم كل فرد من المجموعة بالقاعدة التالية:

ما ينبغي أن أفعله، وما ينبغي أن أتجنبه.

ما يجب فعله:

أن نبدأ العمل بالفاتحة لأن العلم هو ذكر ولا يمكن تحصيل أي علم دون تذكّر، وخير ذكر هو كلام الله تعالى، والفاتحة أهم شيء خاصة ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة]، ودعاء: «**اللَّهُمَّ نَوِّرْ لي بَصِيرَتي بِنُورِكَ، وَعَلِّمْنِي مِنْ عِلْمِكَ**» وذلك بمنتهى البساطة والصدق ووقفة رجاء وفقر لله سبحانه والاستعانة بالله سبحانه وتعالى.

وتجرد تام عن الذات، وتبرؤ من الحَوْل والقوة، واللجوء إلى حول الله وقوته.

ما يجب تجنبه:

لا يهم أبداً إن حققت أنا هذا الشيء أو غيري، المهم هو الهدف، وعدم إظهار أي تفوق على الآخرين لأنه عند ذلك أكون قد خرجت عكس الاتجاه. ومن يفعل ذلك فهو من حيث لا يدري يتمنى للآخرين أن لا يعرفوا بل هو، وبالتالي يحجب بظلمته الأنوار عن غيره.

تجنب عدم النظر لأي رأي خاطئ نظرة سخرية أو ازدراء فكل إنسان يمكن أن يقع بالخطأ نفسه.

والمنهجية أمر واسع يمكن أن يتابع كل منا لوحده.

62 الرؤية من خلال شكل بصري

من خلال شكل بصري يمكن أن ترى حقيقة معينة؛ لأن الشكل البصري فيه ميزة أنك ترى الأمور كلها دفعة واحدة، بينما اللغة العادية تراها مثل شريط سينمائي حرفاً بعد حرفٍ. وأهم شيء في الشكل البصري: أن كل إنسان يفهم حسب حدود فهمه هو، وهذا يتغير بين إنسان وآخر، وما أفهمه الله سبحانه لكل منهما، وقد يفهم الآن شيئاً ثم يتلاشى بالغد وهو أمر قد يَرِد، وعموماً الموضوع المطروح من خلال الشكل البصري هو بغاية الشفافية.

63 الكلام عن شيء خارج عن المألوف

إن تكلمت بأمر هام فيه فتوح من الله سبحانه لك لإنسان غير مهيأ ، فأنت تبحث عن تصفيق الناس وهذا أمر متفق عليه ومؤكد جداً، ويثبت أنك لست بالمستوى المناسب لما فتح الله عليك فأنت تبحث عن نفسك.

في عالم الحقيقة هناك حرمات وأسرار يجب أن لا تنتهك؛ أي يجب أن لا يُتكلَّم بها لأحد.

القاعدة: أن يتمرّن الإنسان أن يَزِنَ كلامه وأن يحسب أبعاد كل كلمة تقال، والأمر يحتاج إلى وقت وتدريب لأن الكلام مع الناس في شيء خارج عن المألوف لا يقال وقد يكون سبباً للطرد والعياذ بالله بل يجب أن يكون الكلام عادياً.

وإياك أن تفتح قلبك لشخص محجوب، أي بعيد كل البعد عن الله، لأنك أدخلت شيئاً من نفسه إلى داخلك، ولأن النفوس تتأثر من بعضها قال تعالى:

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: 1/ 4].

حتى وفي بعض الأحيان بالتفكير به، وإن لم يكن موجوداً تتصور أنك تحدثت معه، وقال لك وقلت له؛ وبالتالي قد يُدخل أحواله على قلبك بشكل أو بآخر؛ وبالتالي تكون قد انْحَجَبتَ ـ والعياذ بالله ـ وهذا أمر في غاية الخطورة وصاحب هذا الكلام يعي تماماً لما يقول.

64 لمن يريد أن يذكر الله تعالى

* أن يكون عند الذاكر حِسٌّ بأنه يقول كلاماً مقدساً وتوجه وصدق لله سبحانه، وألَّا يكون في غفلة، وهذا خطأ بالتربية؛ لأننا لا نميّز بين كلمة مقدسة وكلمة عادية، وبالأنفاس نفسها نقول الكلمتين.
* الاستعاذة؛ لأننا بحاجة إلى أن يعيذنا الله تعالى من الشيطان، وأنه تعالى ليس ملزماً أن يعيذنا؛ بل هي طلب ورجاء منه سبحانه. والعبرة دائماً أن يكون هناك حرارة وصدق في الطلب، والنبي ﷺ مثالٌ للصدق في الطلب والدعاء، حتى أنه كان يُرى بياض إبطيه وهو رافع يديه بالدعاء، وهذا ضروري، وهو خروج من الغفلة.
* التركيز على البسملة؛ ومَن يعلم قيمتها يقدر تماماً ما هي أهميتها، البسملة فيها فكرة اسم الله الأعظم (بسم الله) وهذا أمر في غاية الأهمية ويجب عند البسملة أن يأخذ قائلها حال لأهميتها. وهذا الحال هو في داخل القلب والتوجه عميق جداً لله سبحانه دون أن يظهر عليه أي شيء، وألَّا يكون الأمر استعراضياً.

65 السير بالخطا الصحيحة نحو الله سبحانه

نقطة البداية في السير بالخطا الصحيحة نحو الله سبحانه هي في سنة النبي ﷺ؛ إذ لا مجال للتخلي عن ذلك لأن النبي هو الصلة. مثلاً: قل: (لا إله إلا الله) أقول: (محمد رسول الله). والمدد منه ﷺ ضروري جداً،وكل الذين لا يتصلون به هم ضائعون وتائهون.

وإذا أردنا أن نلتقي به عليه الصلاة والسلام يجب أن نسير على طريقه وسنته؛ لنصل إلى محبة الله سبحانه:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: 3/ 31].

ودليل محبة الله سبحانه أنه إذا ذكر الله (وجلت قلوبهم) وإذا ذكر النبي (فاض قلبي حباً له ﷺ) وأكثر ما يحبه النبي الصدق وأن يكون الإنسان قوياً مقداماً.

لذا يجب التركيز على التحيات؛ لأن فيها السلام عليك أيها النبي، وهذا السلام يصله ﷺ.

وخلاصة القول: أن السير بالخطا الصحيحة نحو الله سبحانه لا بد له من حب النبي ﷺ أكثر من نفسه، وهذا يحتاج إلى تعب وجهد حتى يصل إليه.

66 عليك أن تعرف تماماً ماذا تريد

اختيار المرء قطعة من عقله[1] لا يمكن أن يختار الإنسان إلا بعلم واسع وموازين دقيقة.

لأنه في كل عمل لا بد من طالب، وطلب، ومطلوب، وهذه الثلاثية موجودة في كتب «البوني» وهي معلومة قديمة منذ الفيثاغورثيين أو قبل ذلك أيضاً، والله أعلم.

وبصيغة حديثة: يجب أن تعرف تماماً ماذا تريد، والإنسان المتحضر الناضج هو الذي يكون عارفاً تماماً ماذا يريد، لأن الخيار عملية دقيقة جداً وتعبر تماماً عن علم الرجل.

وكم هو رائع أن يزودنا الله سبحانه بما يساعدنا على الاختيار الصحيح، بعد الأخذ بكل الأسباب المادية بما جاء عن النبي ﷺ كيف كان يعلم أصحابه كيفية الاستخارة فقد روى الصحابي جابر عن النبي قائلاً:

«كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن»[2].

---

(1) معلومة واصلة بالتسلسل من جد الأستاذ سليمان.

(2) رواه البخاري وله روايات أخرى في الترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجة وأحمد.

67 اللانهاية

عندما يقوم الإنسان بأي عمل فلا بد له من نقطة الابتداء، وإن اكتمل العمل لا بد أن ينتهي من حيث ابتدأ، وهذا منطق البشر على هذه الأرض.

وهناك جملة تساؤلات ميتافيزيقية يطرحها الإنسان، منها: تُرى هل هناك شيء قبل البداية وشيء بعد النهاية؟ وهذه الأسئلة منطق بشري والدخول إلى الأمور الميتافيزيقية ليس فيه مثل هذه الأسئلة؛ بل يحتاج إلى منطق جديد يستطيع الإنسان فيه أن يتذوق الأمور المجردة. وعلى العموم يصعب على الإنسان تصور اللانهاية، أما إن تيقن أنه في حق الله سبحانه وتعالى الأمر مختلف؛ لأنه جل وعلا مُنزَّه عن البداية والنهاية وعن مفهوم الزمان برمته، وأنه سبحانه هو الأول والآخر وليس قبله شيء وليس بعده شيء، عندها يتذوق الإنسان معان مجردة بشكل عام ويسهل عليه أن يتذوق. مثلاً: (بسم الله الرحمن الرحيم) أكثر لأنه يتصور أبعاد كونية أكبر لعلمه، أنه سبحانه محيط وبعد كل شيء الله سبحانه،... وقبل وبعد هو هو... سبحانه.

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: 57 / 3].

68 التوجه إلى الكعبة المشرفة شيء مهم

في كل جلسة من الصلاة يجب أن تتوجه إلى الكعبة المشرفة ـ أي القبلة ـ والقبلة شيء مهم جداً؛ ودليله قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: 3/ 96 ـ 97]. أن نتجه إلى القبلة فهذا شيءٌ مهمٌ، ليس لكونه شرط لصحة الصلاة فحسب؛ بل هناك شيء آخر.. وتوجهنا لهذا المكان هو استحضار لهذه المعاني العظيمة؛ وأولها: أنه مكان مبارك وفيه هداية، وحينما نتوجه بأمور مهمة كالدعاء مثلاً يجب أن يكون إلى مكان مهم.

والقبلة اسمها بحد ذاته معبِّرٌ وخيارٌ إلهي؛ لأن فيها معنى القبول، ومعنى قبل وبعد، واستقبال... وفيها مقام إبراهيم، الصفا والمروة، حِجْر إسماعيل، البيت المعمور، السقف المرفوع...

لذا: عند توجهك للقبلة استحضر واستشعر كل هذه المعاني؛ لما فيها من أنفاس عالية وطيبة وطاهرة.

69 لغة الجسد

الجسد له لغة، وهذه اللغة تعبِّر عنه من خلال وضعيات الجسد، وكلما طوي الجسد بشكل ما عبَّر عن مكنونه، وهي لغة جداً راقية[1].

وخير ما يمثل هذه اللغة هي: وضعيات الصلاة من قيام إلى ركوع إلى سجود كلها حركات أنيقة جداً ولها معنى.

والملفت للنظر أن كل وضعية في الصلاة تعطي معادلة أو أكثر، مثلاً: لنعتبر الرأس نقطة، واليدين نقطتين عند حركة اليدين، وفي تكبيرة الإحرام هناك نقطتان ونقطة الرأس ثلاثة بمستوى واحد، كذلك عند السجود نجد على الأرض 7 نقاط وأعضاء السجود 7.

أيضاً السرَّة[2] نسبتها لباقي الجسد نسبة ذهبية، وعند السجود ترتفع السرة كنقطة عن باقي النقاط السبع وهي لغة كاملة.

ولكل وضعية من الصلاة معنى معين، وحال خاص بها وإن تعودت على حال في الصلاة مع وضعية معينة فإنك إن جلست الجلسة نفسها استحضرت الحال المناسب لتلك الوضعية؛

وأجمل لحظات الصلاة هي الجلسة الأخيرة؛ لأن فيها طمأنينة وهذه الوضعية جداً هامة؛ لأنها من الوضعيات المصنفة وهي قديمة جداً، وعموماً: كل وضعيات الصلاة لها أحوال عالية ومعانٍ واستحضار هذه الأحوال ييسر الوصول إليها بشكل أسهل.

فإن كان لكل وقت من أوقات الصلاة حاله الخاص به واجتمع مع أحوال وضعيات الصلاة فكم يتغير حال المصلي إلى نفس طيبة وأفكار عالية تتغير إلى أفضل بين كل وقت من أوقات الصلاة إلى وقت آخر.

---

(1) وهي لغة كاملة موجودة عند الأستاذ سليمان، ونرجو من الله تعالى أن ييسر لإخراجها.

(2) السرة عند القدماء كانت مهمة جداً، واليونان كانوا يعتقدون بوجود سرة للأرض، وهذه من علوم الفراسة والمشهورة عند العرب.

70 أسماء الله

ورد في قصة سيدنا سليمان عليه السلام اسمه تعالى الوهاب جل جلاله، وذلك في الآية الكريمة: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [ص: 38/ 35]. ونلاحظ أن سيدنا سليمان توجه بهذا الذكر إلى الله تعالى فاستُجيب له. وكأن لكل نبي من الأنبياء اسماً معيناً من أسماء الله الحسنى يتوجه به إلى الله سبحانه.

والقاعدة: حيث ما ظهر اسم من أسماء الله سبحانه في القرآن الكريم فهذا مكانه وعندما يرد اسم من الأسماء الحسنى فإن ذاك الاسم هو الأصل الذي يدور حوله معنى الآيات التي تحويه. و هو كذلك بيت القصيد من الشاهد الذي يرد فيه.

أي اسم من أسمائه سبحانه يرد في آية من كتاب الله هو تتويج للآيات الكريمة التي تحيط به، والتي ما هي في حقيقتها إلا توضيح له؛ لذا ما أجهل وأخسر الذي لا يقف عند أسمائه تعالى في التفسير و يعتبرها تذييلاً للآية وما أشنع قوله خاصة عندما نقرأ حديث النبي ﷺ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لِلهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِئَةً غَيْرَ وَاحِدٍ. مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيْمِنُ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، الْخَالِقُ، الْبَارِئُ، الْمُصَوِّرُ، الْغَفَّارُ، الْقَهَّارُ، الْوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الْفَتَّاحُ، الْعَلِيمُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الْخَافِضُ، الرَّافِعُ، الْمُعِزُّ، الْمُذِلُّ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْحَكَمُ، الْعَدْلُ، اللَّطِيفُ، الْخَبِيرُ، الْحَلِيمُ، الْعَظِيمُ، الْغَفُورُ، الشَّكُورُ، الْعَلِيُّ، الْكَبِيرُ، الْحَفِيظُ، الْمُقِيتُ، الْحَسِيبُ، الْجَلِيلُ، الْكَرِيمُ، الرَّقِيبُ، الْمُجِيبُ، الْوَاسِعُ، الْحَكِيمُ، الْوَدُودُ، الْمَجِيدُ، الْبَاعِثُ، الشَّهِيدُ، الْحَقُّ، الْوَكِيلُ، الْقَوِيُّ، الْمَتِينُ، الْوَلِيُّ، الْحَمِيدُ، الْمُحْصِي، الْمُبْدِئُ، الْمُعِيدُ، الْمُحْيِي، الْمُمِيتُ، الْحَيُّ، الْقَيُّومُ، الْوَاجِدُ، الْمَاجِدُ، الْوَاحِدُ، الصَّمَدُ، الْقَادِرُ، الْمُقْتَدِرُ، الْمُقَدِّمُ، الْمُؤَخِّرُ، الْأَوَّلُ، الْآخِرُ، الظَّاهِرُ، الْبَاطِنُ، الْوَالِيَ، الْمُتَعَالِي، الْبَرُّ، التَّوَّابُ، الْمُنْتَقِمُ، الْعَفُوُّ، الرَّؤُوفُ، مَالِكُ الْمُلْكِ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، الْمُقْسِطُ، الْجَامِعُ، الْغَنِيُّ، الْمُغْنِي، الْمَانِعُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، النُّورُ، الْهَادِي، الْبَدِيعُ، الْبَاقِي، الْوَارِثُ، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ**» [سنن الترمذي: 3429].

71 أي فكرة هي موجودة أصلاً

كل القفزات النوعية الكبيرة من اختراعات وغيرها تعتمد على فكر مُلهم وخارج عن نطاق العلم التجريبي، أو ما يسمى: فكر ميتافيزيقي، وهو عند المسلمين البُعد الرُّوحي، وهي الطاقة الخارجة عن الزمان والمكان، أو ما يسمى بـ: الحدس.

لأن أي فكرة هي موجودة أصلاً في عالم الحقيقة، وهي سلفاً موجودة هناك، ويبقى دور الباحث أو المخترع أولاً: أن يجد الطريق إليها، ثم الدليل عليها.

وكما في كتاب: «The logic of scientific discovery Karl R. Popper».

يقول فيه: إن أهم الاكتشافات تعتمد على فكر ميتافيزيقي (وهذا شيء هام).

ويمكن عن طريق الحدس إن كان الإنسان صادقاً مع الله ومع نفسه ومع الناس أن يصل إلى نتائج في عالم الحقيقة؛ لأن الأفكار أصلاً موجودة، وهذا أمر طبيعي، وإمكانية موجودة عند كل إنسان، والحدس هو حاسة قتلتها الحياة اليومية وتحتاج إلى وقت طويل لتقويتها، ويمكن أن يستعيدها الإنسان من خلال التدرب عليها؛ مثلاً: إن أضاع شيئاً يمد يده ويركز حسَّه عند قلبه ويبحث عنه، فلا يجد نفسه إلا قد وجده، وهذا من أنواع الحدث.

72 لماذا الأبجدية العربية هكذا

ترتيب الأبجدية الحالي للغة العربية فيه أسرار إلهية، وكل حرف ضمن الأبجدية العربية مكانه له أهمية، مثلاً الباء أهميتها أنها الثانية في ترتيب الأبجدية، وهذا له معنى ومدعاة للتأمل.

السؤال الذي حيَّر العلماء هو: لماذا الأبجدية هكذا؟ وأقرب تأويل هو ارتباطها بالفَلَكِ ولكلِّ حرفٍ منزلةٌ من منازل القمر. وكل منزلة هي جزء من ثمان وعشرون جزءاً متساوياً يقسم دائرة الفلك، وتوزع الأبجدية عليه بشكل أبجد هوز... هذا الترتيب للأبجدية موجود منذ حوالي (3400 ق. م) في مدينة أوغاريت رأس شمرا.

ومن مظاهر ذاك الكمال للغة العربية هو التطابق التام بين عدد حروف الأبجدية العربية الثمانية والعشرين وعدد منازل القمر وعدد سلاميات اليدين.

أي مثلث من التوافق بين المجردات العُليا لعالم الحروف، والعالم الأكبر ممثلاً بمنازل القمر، والعالم الأصغر ممثلاً بيدي البشر وكم في هذه التطابقات من أسرار ربانية أوجدها الله سبحانه في اللغة العربية لتكون مؤهلة لحمل كلماته في القرآن الكريم.

73 المسلم لا يمكن أن يتقدم إن أخطأ

لا مجال للخطأ إن أراد الإنسان أن يصعد إلى الأعلى، كالأبنية المرتفعة لا مجال في بنائها للخطأ؛ لأنها تنهار بسرعة بعكس الأبنية الأرضية.

كذلك الإنسان المسلم لا يمكن أن يتقدم إن أخطأ، ويمكن أن يُسمح لغيره أن يفعل أشياء... أما هو فلا يمكن له ذلك.

مثلاً: ضع غير مسلم وأعطه عملاً، في حال خطئه يمكن أن يتقدم ويمر أمام أي مسألة دون أن يتعثر. أما المسلم فلا يسمح له أن يمر ويتعثر لوجود قِوى شرٍّ تريد أن تسيطر على العالم، وهو الوحيد الذي يقف بوجهها من حيث لا يدري؛ وذلك من خلال العبادات من ذِكْرٍ وصلاة وغيرها، هذه العبادات تعرقل عمل هذه القوى.

والخلاصة: كلما أراد الإنسان المسلم الصعود إلى الأعلى فلا يمكن أن يتقدم إن أخطأ أبداً.

74 لا يؤمن أحدكم حتى ...

يجب ألَّا يكون الإنسان منغلقاً على نفسه فقط، وهمه أن يكون ناجياً لوحده دون النظر إلى الآخرين.

أمر شائع أيامنا؛ خاصة مع المبتدئين الذين يهتمون بالتفاصيل، ويصل الأمر مع الأيام ليصبح تجارة تماماً، عملت كذا أجرها كذا... ومن يدري أن الله سبحانه تقبل مني! مثالها: الاستعاذة والله أعلم إن قبلت وأعاذنا سبحانه من الشيطان، يظن الناس أن الأمر حاصل وكأنه مقايضة، وهذا خطأ؛ لأن أصل الطلب من الله هو: الفقر والذل له جل جلاله.

من أهم إشكالات وأخطاء الأمة الإسلامية، هي جري المسلم وراء الأنا، وأين هو من حديث النبي ﷺ: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حتَّى يُحبَّ لأخِيهِ ما يُحبُّ لِنَفْسِه**»[1]. وهنا السؤال: أليس هذا الحديث بمستوى الأحاديث التعبدية والتي نحن حريصون على تطبيقها؟!

(١) متفق عليه، البخاري: 13. مسلم: 45.

75 الإمام في صلاة الجماعة

الإمام في صلاة الجماعة هو ممثل لهذه الجماعة ويتكلم بلسانهم متوجهاً إلى الله تعالى بكلامه وآياته ومذكراً لمن خلفه بهذا الكلام والآيات، أي وكأن مهمته نقل كلام الله تعالى إلى كلام مسموع طالباً منه سبحانه وتعالى لنفسه ولمن خلفه الفاتحة وهي خطاب الإنسان لله سبحانه.

والآيات بعد الفاتحة يمكن فهمها: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق: 50/ 45].

وبالتالي يبقى الإمام واسطة، خاصة وأنه يقف مكان النبي ﷺ ويجب أن يكون حس الإمام بين هاتين النقطتين:

* طلب من الله سبحانه بالفاتحة.
* وذكر له ولمن خلفه بالآيات القرآنية.

76 ليست العبادة مقايضة

من أهم الأخطاء في العبادات: أن تصبح العبادة عبارة عن نوع من الأنانية وَهَمُّ الإنسان خلاصه هو دون النظر إلى الآخرين، وكأن العبادة مقايضة (أستغفر الله) يقدم لله سبحانه هدية مقابل أن ينجيه يوم القيامة. ونلاحظ في هذا الأمر: أن النفس هي التي تتحرك والإنسان يطلب لذاته، وهمه نفسه فقط دون النظر للآخرين.

هناك خلل وعدم توازن بين ما يحتاجه الإنسان من العبادات لذاته، وما يجب فعله للآخرين. والإسلام برمته أمر جماعي وحياة اجتماعية، وكما يعمل الإنسان لنفسه يجب أن يعمل للآخرين، وهذا توازن بالعبادة، ومثاله دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام:

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: 14/ 41].

عبادة الله سبحانه ليست مقايضة أو حصالة نضع فيها أموراً للآخرة بل يجب أن يكون فيها معنى الحب والود مع الودود جل جلاله وهذا الود منه سبحانه يكون للإنسان الذي قال عنه النبي ﷺ: «**الخَلْقُ كُلّهُم عِيالُ الله، وأَحَبُّ خَلْقِهِ إِلَيْهِ أَنْفَعَهُمْ لِعِيالِهِ**»[1].

(1) الحديث رواه البزار والطبراني في معجمه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

77 كيف يحاكم الإنسان أموره

أهم شيء هي المعلومات المطروحة في القرآن الكريم، فيجب أن تكون حاضرة بالذهن دائماً، ويجب أن تكون هي الأولى في الأذهان، وحين ذاك يحاكم الإنسان الأمور من خلال قيم وأنوار هذه المعلومات القيمة، لأن التفكير بحاجة إلى مادة أساسية ليعمل، وكم هو جميل أن يستلهم أحكامه وأفعاله من خلال هذه المعلومات القيمة، بدلاً من أن يستمد مادة تفكيره من فتات الحياة اليومية.

لذا يجب أن تكون المعلومات المطروحة في القرآن الكريم هي في مقدمة تفكير الإنسان، لا أن تكون ضمن مستودع الذاكرة، أمامها أمور كثيرة بل هي الأولى ولها الأولوية، وهذا أمر هام أيضاً من أجل استقبال الفتوح الرباني؛ لأن التفكير مثل أوعية تستقبل العطاء الإلهي، وهذا العطاء بحاجة على الأقل إلى شيء من عند الإنسان حتى يتم استقباله، وإلا لا يمكن أن يستفيد الإنسان من ذلك؛ لذا يجب أن لا توضع المعلومات القرآنية خلف الذهن في أرشيف أو على رف المكتبة؛ بل حاضرة دائماً وأبداً إن شاء الله.

78 التفكير الميتافيزيقي

التفكير العادي معتاد على طبقة واحدة في التفكير، بينما التفكير الميتافيزيقي يحتاج إلى عدة طبقات مع بعضها في الوقت نفسه، وهذا أمر شفاف وذوقي؛ لأنه من الخطأ أن توضع المعلومات الميتافيزيقية على طبقة واحدة أو صف واحد.

وعند التفكير من خلال الطبقات يجب الانتباه ألَّا يتم الخلط بين أمر وآخر، فكل طبقة تشكل علماً، وفي هذه الطبقات هناك خط يصل بين كل هذه الأفكار بشيءٍ لتشكل مع بعضها أخيراً علماً.

لذا؛ من الخطأ في التفكير الميتافيزيقي أن يكون تفكيراً ثنائي الأبعاد؛ بل أن يفكر بكل شيءٍ سويّة، وفي آن واحد وعلى كل الطبقات.

79 طريق مختصر

إن قارنّا بين وضع المسلمين الحالي وتقدم الأمم الأخرى نجد بشكل مادي أنه لا يمكن أن نسبقهم، ومن أين لنا أن نصل؟! لذلك يجب إيجاد طريق مختصر؛ هذا الطريق موجود بين يدينا من مصادر الوحي الصافي الحق مثل: القرآن، والحديث الصحيح، والعبادات؛ مثل: الصلاة، والحج، وهي مرجع يفسِّرُ و يُفسَّرُ.

ويمكن من خلالها الاستفادة من ضوابط وقوى ونواميس وضعها الله سبحانه في كتابه الكريم؛ مثل: عمل «اليورانيوم» وكيف يمكن بترتيب هندسي معين إصدار طاقة هائلة منه، وهذا العمل يمكن تسميته بالهندسة المقدسة.

والهندسة المقدسة؛ مثل: بناء يحتاج إلى تفكير وانضباط، كما هو الحال في النحل وخلاياه، أو وردة عباد الشمس، وهي أمثلة راقية جداً للهندسة المقدسة، ذلك لأنها مبنية على أسس رقمية، ولأن الأعداد هي أعلى درجات المعرفة، وكل شيء مرتب عليها.

العبادات الصحيحة والنقية الموحاة من الله تعالى هي أيضاً مبنية على أسس رقمية، وهي وجهٌ أو تجلٍّ لنفس الحقيقة الواحدة؛ لذا يمكن من خلال هذه العبادات الصحيحة والنقية أن نصل إلى طرق مختصرة، وهذا ما يفسر القفزات الهائلة للحضارة الإسلامية وتفوّقها على سائر الحضارات الأخرى المعاصرة لها بكافة العلوم، وذلك في أقلِّ من قرن بعد ظهور القرآن والحديث، وما فيهما من علوم حقيقية.

والشواهد القرآنية التي تحثُّ على العلم كثيرة منها قوله تعالى: ﴿...قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ...﴾ [الزمر: 39/ 9]، أو حديث مثل الذي رُويَ عن النبي ﷺ عندما سُئِلَ عن العلم؛ إذ قال: «**فَضْلُ العَالِـمِ عَلى العَابِدِ كَفَضْلي عَلَى أَدْنَاكُم**» [سنن الترمذي: 2609]. وبمثل هذه الكلماتِ وتأثيرها في عقول المسلمين الأوائل، يمكننا فهم ذلك التفوق الحضاري لهم.

80 عند طلب العلم لا بد من أسمائه تعالى

أصل العلوم هو العطاء الإلهي، وعطاء الكريم سبحانه لانهائي وغير محدود. والفتوح والكشف هو كرم من الله سبحانه وليس لعلو منزلة أو كثرة علم؛ بل كرم منه جل جلاله، وكم هو غرور أن نقول: بذكائي وجهودي وصلت إلى معرفة شيء.

وهدف طالب العلم يجب أن يكون لوجه الله تعالى حتى يمنّ سبحانه عليه بالعلم، وتحصيل أي علم هو كرم منه سبحانه.

والأصل في طلب العلم التبرؤ من الحول والقوة (لا حول ولا قوة إلا بالله) وأن لا يفرض على الله سبحانه شيئاً في طلبه لأي علم معين بل يترك الأمر له جل جلاله.

لذا لا بد لطالب العلم الحقيقي من أسمائه تعالى ويجب تطوير مفهوم أسماء الله الحسنى عند من يطلب العلم مثل: اسميه تعالى وهَّاب كريم، وكم هو كريم سبحانه حين يهب علماً.

ويمكن عند طلب العلم أن تقرأ البسملة (19 مرة) وذلك عدد حروفها، وقبلها استغفار وبعدها صلاة على النبي ﷺ بصدق وتجرد وحب ودعاء: (اللهم نوِّر لي بصيرتي بنورك وعلمني من علمك) وكل ذلك بصفاء وتجرد وإنكار ذات لإعلاء كلمة لا إله إلا الله.

81 مفهوم الضرورة

النبي ﷺ لم يكن له أية تصرفات استعراضية، ومن هنا فكرة الزهد حيث يشعر الإنسان أنه يجب أن يتصرف ضمن الحاجة؛ لأن الزيادة عند أهل المقامات لا معنى لها بل هدر. يجب أن تكون تصرفات الإنسان كلها ضمن الحاجة، ومثاله الأقصى سبحانه وتعالى؛ إذ لا يمكن أن يكون في كلامه أو ملكوته أي شيء لا معنى له. مثلاً: (لا يوجد في الإنسان أي زيادة للديكور؛ رجل ثالثة أو يد زائدة...).

من هنا مفهوم الضرورة يعطي نضجاً وتحرراً، وليس فكرة تقتير، والضرورة يحددها الموقف، وهل يقتضي ذلك الموقف هذا التصرف أم لا؟ وكل ذلك بنور من الله تعالى. وضابط السالكين والعارفين: إذا كان لا يوجد ضرورة فلا معنى للحركة والتصرف.

82 الارتقاء إلى المستويات

في المستويات العليا لطلب أي معرفة، وبشكل عام ليس هناك أمر بل اقتراح؛ وبالتالي أي اقتراح هو مهم جداً، وليس عبارة عن شيء عابر لمن يريد طلبها.

لأن المعرفة الحقيقية تخرجك من دائرة التساؤلات الدنيوية دون أن تبتعد عن واقع الناس وتساؤلاتهم، وميزتها أنه بإمكان الإنسان أن يقيس كل أمر من أموره عليها، وبالتالي لا يضل ويبقى دائماً على الطريق الصحيح.

ولا يمكن الارتقاء إلى المستويات العليا لأيِّ معرفةٍ حقيقيةٍ دون إنكار الذات، وليس بإهمال الذات، لأن أحدَ أعظم الحُجُب التي تحجبُ المرءَ عن الحقيقة وتعمي بصيرته هو حجابُ الأنا الأنانية والمركزية (أي الأنا التي تَعْتَبرُ نفسها مركزاً لكلِّ ما حولها).

و شرط على كل من سارَ في طلب المعرفة الحقيقية أن يكون صابراً، و أكثر ما يتجلى الصبر في تجاوز المرء نفسه، والتغلب على تمرّدها، وإنكار إرادتها واستبدال إرادتها بالثقة بالله سبحانه؛ فيصير الصبر بالاستعانة والثقة بالله صبراً جميلاً.

وقدوته في طلب المعرفة عند أي عالمٍ أهل لأن يأخذ هذه المعرفة عنه هو سيدنا موسى عليه السلام، عندما طلبها من سيدنا الخضر ـ بكل تواضع ـ و هو النبيّ العظيم و المتمتّع بأعلى علوم زمانه:

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف: 18/ 66] وكم نلاحظ في طلبِ سيدنا موسى إنكارَ ذاتهِ؛ بل وأكثر حين قال له الخضر: إن الأمر يحتاج إلى صبر. فأجابه سيدنا موسى عليه السلام بكل تواضع:

﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾ [الكهف: 18-69] والأنبياء عليهم السلام هم قدوة ومثل أعلى في كل شيء.

83 ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء

الدعاء والطلب من الإنسان إليه سبحانه هو شهادة على أن الإله المطلق هو الله جل وعلا، واعتراف من الإنسان أنه تعالى إن شاء حصل هذا الأمر، وإن لم يشأ لم يحصل وهو إقرار بعجز الإنسان أمام قدرة الله جل جلاله. واعتراف أن الله سبحانه هو المجيب.

من الصفات الأساسية بالألوهية هي الإجابة؛ لذلك فالدعاء مخ العبادة وليس هناك صفة معاكسة لاسمه تعالى مجيب. مثلاً: باسط، عكسها: قابض، أما مجيب فليس لها ضد؛ لذا عند الدعاء أطلق دعوتك ولا تبقَ متمسكاً بها خائفاً ألَّا تُستجاب هذه الدعوة، وحتى تتحرر هذه الدعوة وتحصل الإجابة ـ بإذن الله ـ أطلقها وأنتَ موقن بالإجابة؛ ودليلها الحديث: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة**»[1] «**لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ تَعَالَى مِنَ الدُّعَاءِ**»[2].

كما أن الطلب منه سبحانه هو بحدِّ ذاته ذكر، وعندما يكون في قلب الإنسان قناعة أنه ليس هناك سوى الله عز وجل يحقق ذلك الطلب، فهو شهود من العبد أن الله هو المعطي، وهو المانع وهو القادر ... إلى جميع أسمائه الحسنى وهو شهود على قدرته التامة سبحانه.

والأسماء الحسنى إحدى أنواع الدعاء، والإشارة في القرآن هي الآية الكريمة:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ...﴾ [الأعراف: 7/ 180] وليس فاذكروه بها، وهي فكرة لا تتسع لها الكلمات هنا، خاصة بمفهومها الدارج.

84 العِلْمُ الحقيقي

العلم الحقيقي لا يسجل على ورق لأنه بصيرة ونور إلهي، وهو رفع الحُجُب عن الإنسان ليرى كل شيءٍ، وهذا هو العلم (روح) وفيه فكرة إحاطة؛ لأن الإنسان لا يسمى عالماً بأمرٍ ما إن لم يكن محيطاً به، أما الذي يُسَجَّلُ على الورق فهو مجرد المعلومات.

والموضوع فكرته: ارتقاء في التعامل مع كلام الله سبحانه وإعادة النظر بمفاهيم ثابتة لدى الإنسان عن النص القرآني ومراجعتها بشكل متواصل حتى يصل إلى العلم الحقيقي الذي أودعه الله سبحانه في كتابه؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور.

(1) أخرجه الترمذي: 5/ 483.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، باب: ما جاء في فضل الدعاء، برقم: 3292. وأحمد في مسنده: 14/ 360، رقم: 8748. وحسنه الألباني.

85 الأقرب إلى النظام الكوني

الإنسان هو جزء من التجليات الإلهية، وكون الإنسان موجوداً إذاً فلا بد من حكمة، والخطأ أن يخرج الإنسان عن النظام الكوني ويستقل بذاته عن الكون المحيط به وهذا عصيان، لذا جعل الله جل جلاله في الطاعة عزّاً ورفعة للإنسان؛ لأن فيها سيراً حسب النظام الكوني والذي يصبح الإنسان فيه جزءاً من إرادته سبحانه.

وبالتالي: الأمر الإلهي هو جزء من نظام كوني بكامله، وهو سمو وارتفاع، فمثلاً: إن أردنا اختيار الإنسان الكامل في الوجود نجده الإنسان الذي يسير ضمن الأمر الإلهي.

أي عمل كان، كلما ابتعد عن النظام الكوني كان ضعف ذاك العمل، ومن هنا كلما كان الإنسان مطيعاً لله سبحانه، كان أقرب للنظام الكوني وكان أقوى، وبالعكس: كلما كثرت الذنوب، كلما ابتعد عن النظام الكوني كلما ضعف.

والقاعدة: كلما كان العمل فيه عناصر مطابقة للنظام الكوني كلما كان أقوى؛ لذا الذِّكر من كتاب الله أقوى من أي ذكر آخر، وكذلك الأسماء الحسنى.

وهنا نفهم أبعاد إتقان عمل مثل صلاة ركعتين قضاء حاجة؛ وبالتالي هنا البعد واضح. لذا الدعوة في القرآن الكريم صريحة أن ننظر ونتفكر ونلاحظ ما حولنا في هذا الكون، وبالوقت نفسه هناك حثٌّ قوي على طاعة الله تعالى؛ إذ لا عبثية في هذا الكون، وكل شيء بقَدَرٍ، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 54/ ٤٩]، وحين يبدأ الإنسان يفهم أنه سبحانه هو الذي وضع النظام الكوني، و كل شيءٍ يسير باتجاه شيء واحد وضعه له سبحانه، عندها يشعر برهبة وخوف، من عظمة وقدرة الله تعالى، وعندها ليس للإنسان إلا أن يستغيث ويلجأ إلى خالق هذا الكون سبحانه وتعالى.

86 الأبجدية الرقمية

الرقم مركزي وقريب جداً من مركز المعرفة؛ لذا يمكن ترجمة أية معرفة عن طريق الرقم، وهو عنصر مشترك بين كل العلوم؛ لأنه يمكن التعبير عن هذه العلوم رقمياً، وكل العلوم هي تجلٍّ للحقيقة.

الميزة الكبرى في الرقم: أن عناصره قليلة يمكن الإحاطة بها عكس بقية المظاهر؛ لأن الأبجدية الرقمية هي 10 وحدة أي الأرقام الـ 9 والـ 0 بينما من الصعوبة أن نعبر عن المعرفة بغير الـ 28 وحدة كالأحرف، هذا مع العلم أن الحرف أيضاً مختصر في التعبير عن المعرفة، ولكن دائرة الرقم هي الأقرب إلى المعرفة من الحرف.

حتى أساس الدين الإسلامي أن الله سبحانه واحد (1) لا شريك له ولا إله سواه وغيره من الآلهة؛ أي : (0) صفر؛ وبالتالي يمكن التعبير عن فكرة الإسلام الأساسية بالرقم.

أيضاً بُني الإسلام على (5) كما أن كل العبادات مبنية على الرقم.

والفكرة: أن علم الرقم هو من الطرق المختصرة جداً للوصول إلى الحقيقة، وحين تكون المعرفة صحيحة نظرياً فهي صحيحة عملياً، وعلم الأرقام كان مقدمة لقفزات نوعية عالية جداً في الحضارة الحالية.

87 مستوى راقي من العبادة

يجب أن تكون حصيلة عمل الإنسان حتى يصل إلى مستوى راقٍ من العبادة، ليس دفعة واحدة؛ بل يجب أن يتفقد نفسه منذ فترة؛ لأن طبقات النفس مختلفة.

ويجب العمل على النفس وإعطاؤها نوعاً من التفاهم والاتفاق معها على أمور معينة عند القيام بالعبادة؛ وذلك حتى تكون نفسه مستعدة، وهذا أمر مهم مثل إعطاء موعد لفكرة في الوقت كذا وكذا من يوم كذا، وهذا شيء مهم.

والأصل: أن يُحضِّرَ الإنسان كل طبقات نفسه ويهيئها لعمل أيَّ عبادة، ودليلها: أن ليلة القدر لا تكون في أول رمضان؛ بل في الثلث الأخير منه، وذلك حتى تكون النفس ثم الجسد والروح متطابقة، وهذا هو الأساس.

وبالإجمال: على الإنسان أن يكون ذاكراً بشكل دائم، والذكر وتكرار الذكر من أجل مطابقة نفسه على بعضها.

88 أهم شيء في الدعوة إلى الله سبحانه

أهم شيء في الدعوة يبدأ بتعظيم الله في القلوب والنفوس. والسؤال: لمن أراد أن يكون داعية إلى الله أن يسأل نفسه هل أعتبر عند قراءة كلام الله سبحانه؟ وأن يتتبع هذا الأمر في قلبه ووجدانه، ذلك لأن فشل أكثر من يحملون لواء الدعوة إلى الله هو غياب تعظيم الله سبحانه في القلوب والنفوس وهذا الأمر هو نقطة أساسية.

تبدأ الدعوة بتعظيم الله سبحانه في قلوبنا وكم هذا الأمر بحاجة إلى عمل ليزداد يوماً بعد يوم وحين يعتبر الإنسان عند كلام الله سبحانه من مثل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: 22/ 18] ويدخل هذا الأمر في حساباته اليومية ولا يكون غافلاً عنه سبحانه؛ عندها يكون قد بدأ بالدعوة إلى الله سبحانه وعندها إن قال أي كلمة يجد أثرها عند الآخرين لأن الكلمة التي تقال بصدق يبقى تأثيرها وينتقل أثرها من شخص لآخر، حتى ولو كان من انتقلت بسببه مجرد حاملٍ لها فقط؛ لأن الطاقة تكمن في الكلمة الصادقة وهي تسير ولا يمكن أن تتوقف بإذن الله ودليلها قوله تعالى:

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥﴾ [إبراهيم: 14/ 24 – 25].

لذا؛ على الداعية إلى الله حين يودّ طرح أي فكرة أو كلام عن الله سبحانه، أن يكون صادقاً وغير متأثرٍ برضا الطرف الآخر؛ بل يجب أن تكون الفكرة صادقة ومجردة تماماً عن أي تأثير آخر، عندها يحصل التوفيق من الله سبحانه لما يدعو له.

89 بين الظاهر والباطن

كي يغير الإنسان من نفسه لا بد أن يغير من ظاهره أولاً؛ لأن النفس لا يمكن أن يغيرها مباشرة ويبدأ الأمر من الظاهر. والتجارب العملية (علم النفس العملي) أثبتت كم لمظهر الإنسان من تأثير على شخصيته، حتى بتغير بعض الملامح عنده، مثل: (عملية تجميل) قد تتغير شخصيته.

والجسد له لغة معينة وكل وضعية من الوضعيات الجسدية تحكي لغة معينة؛ وبالتالي حال معين. ومثالها: (وضعيات الصلاة لها حال معين)؛ لذا حركات الجسد هي لغة كاملة يستطيع الإنسان أن يستخدمها حتى في حياته اليومية. وهذا الأمر غائب عن العلوم المعاصرة. مثلاً: أن تخاطب رجلاً ورأسك تجاهه مباشرة يختلف عن ميلان الرأس بزاوية معينة، حتى نبرة الصوت، حتى الحركة والوقوف والخط والكتابة، وكلما طور الإنسان من الظاهر انعكس ذلك على الباطن؛ أي على نفسه وبشكل مؤثر، وهذا الأمر معروف ويدرس لرجال الأعمال، وخاصة للزعماء والسياسيين.

على الإنسان أن يكون لائقاً محترماً طبيعي المظهر، و بذات الوقت غير ملفتٍ للنظر وأن لا يصل إلى التميّز وإلى لفت الأنظار؛ بل كلما تقدم يجب أن يخبئ نفسه، لأن الأهم هو باطن الإنسان، وليس ظاهره فقط والقاعدة المهمة: أن الإنسان يجب أن يرتقي وبشكل دائم؛ لذا يجب عليه عند أي شعور سلبي في أعماقه، أن يغيره مباشرة وذلك عن طريق الظاهر أولاً كائن يمشي يغتسل ـ يتوضأ ـ قراءة قرآن، وذلك ليساعده على التوجه إلى الله سبحانه ليغير من باطنه والرسول ﷺ كان عند ذلك يقول: «**يَا حَيّ يا قَيُّوم بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيْثُ**»[1]؛ وذلك ليقلب حاله إلى حال آخر.

وهذا أمر ضروري ولا غنى عنه خاصة بالنسبة للسالكين إلى الله سبحانه، ولا أدل على الترابط بين الظاهر والباطن من انعكاس مواضيع الطهارة على أحوال أولئك السالكين.

---

(1) جزء من حديث أخرجه النسائي في السنن الكبرى (6/ 147)، والحاكم في المستدرك (1/ 730)، والبيهقي في الأسماء والصفات (112) وغيرهم وتتمته:

«..**أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ وَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ**». كما ورد في الصحيح الجامع عن أنس رضي الله عنه بهذا اللفظ فقط: كان النبي ﷺ إذا كَرَبَهُ أَمْرٌ قال: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ**». وحسنه الألباني.

90 العلوم التصريفية و فلسفة الحياة

من الخطر أن يتعلم إنسان العلوم التصريفية ويدخل إلى هذه العلوم وإيمانه ليس مكتملاً وكما يجب؛ لذا على طالب هذا العلم أن يطور نفسه حتى يكون لائقاً بهذه العلوم، لأنَّ الإنسانَ إن كان لائقاً تُفتح له الأبواب بشكل تلقائي، ويُحمل ويُوضع في مكانه المناسب، ويكون ذلك إن تذوق الإنسان معنى التبرؤ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته، عندها يكون سائراً مع التيار الكوني ومع إرادته سبحانه وتعالى.

أما إن أراد الإنسان أن يتعلم العلوم التصريفية، وهو لا يعرف فلسفة الحياة؟ وأن الدنيا وبشكل خفي جداً دار امتحان وابتلاء، أو عنده تصور عن عالم بلا فساد، أو مجتمع إسلامي ذهبي؟ أو بشكل أوسع دنيا لا مشاكل فيها؟! أو يظن أنه سبحانه وتعالى مُلْزَمٌ بمجموعة بشرية دون غيرها فيسعى إليها، وكأن بقية البشر ليسوا من ذرية آدم فهو ليس أهلاً لهذه العلوم.

وأخطر ما في العلوم التصريفية أن إنساناً تَعَلَّم هذه العلوم، وشعر أنه بإمكانياته يمكن أن يُحسِّنَ الدنيا كلها ويعيد الأمور إلى أماكنها، فهو عند ذلك وبشكل خفي كمن يقول لله سبحانه وتعالى: (أنا سأتدخل وأضع الأمور في أماكنها!) أستغفر الله.

91 الصدق والدقة في الحديث

على الإنسان أن يتحرَّى الدقة في حديثه واختيار كلماته بشكل أكيد، أما أن يكون هدفه ترك انطباع باهر وشيق فقط، وليس طرح معلومات بحدِّ ذاتها، بذلك لا يكون الحديث دقيقاً، وبأحسن الأحوال يعتبر لغواً وليس فيه منفعة، وهذا ينافي تعاليم الإسلام.

والأصل عندما يتحرى الإنسان الصدق والدقة في حديثه فإنه ينتقل إلى مستوى أعلى ومقام آخر، والله سبحانه أعلم.

وحتى يكون الإنسان دقيقاً بكلامه عليه مراجعة معاني الكلمات وكيفية استخدامها وتأثيرها على الآخرين، وأن يكون المقصد دائماً إيصال أفكاره بدقة، والانتباه جيداً ألَّا يكون استعراضياً.

تحرّي الدقة في الحديث يترك عند الآخرين مصداقية وثقة للمتحدث، وعموماً الذين لا يتكلمون بدقة غير محترمين.

92 عكس ما يريده الشيطان

إذا أراد الإنسان رضا الله تعالى يجب أن يعكس أمنيات الشيطان التي أرادها للإنسان، وذلك بأن يدعو لكلِّ مَن حوله من الناس، وأن يتمنى من صميم قلبه أن يفتح الله تعالى عليهم، وأن يمن عليهم بالفتوح والعطاء والكشف وكل خير لهم وهذا ما يسر الله سبحانه؛ ودليله أن الله تعالى قال في فاتحة الكتاب:

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ وذلك للتركيز في «ٱهۡدِنَا» على الجماعة وليس على الفرد والنتيجة ستكون في بوتقة واحدة تشمل الإنسان ومن حوله.

ثم في مرحلة أعلى أن يتمنى أن يكون هذا الخير ليس فقط لمن حوله من الناس بل لكل المسلمين وهي سمة الأولياء والأوتاد وعلى رأسهم سيدنا النبي ﷺ الذي يقول يوم القيامة: «**أمتي أمتي**» خاصة أن يوم القيامة هو يوم الصدق، وطبيعة سيدنا النبي هي محبته للناس كافة ولأمة الإسلام وهو رأس الهرم والمثل الأعلى وهي مرتبة عالية جداً.

لذلك يجب على الإنسان أن يضع في ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ كل ما يستطيع من خير لمن حوله، بشكل عام، وللمسلمين بشكل خاص، وإن نسي الإنسان أن يسأل لنفسه الخير فإن الله تعالى لا ينساه كفرد.

93 الفطرة السليمة

الله تعالى نَظَّم الكون كما يشاء، وأمره حقٌّ، وجعل للكون نظاماً يسير عليه، هذا النظام يسير على الحقيقة، والفطرة السليمة مظهر من مظاهر إرادته؛ أي من الحقيقة.

الفطرة السليمة هي قريبة جداً من الحقيقة وتدفع إليها، وتكاد تكون معياراً أو قرينة أو مستنداً للوصول إلى الحقيقة، وأي شيء يخالف الفطرة السليمة هو خطأ.

القرآن هو آخر شيء منزَّل من السماء إلى أهل الأرض، ونشعر من خلال الآيات الكريمة باحترام عقل الإنسان، وهو موجه لبشرية وصلت إلى حدٍّ من المفترض أن يكون الناس فيها عندهم نضج ومسؤولية وتكليف؛ وبالتالي يكلم اللهُ سبحانه الإنسان كمخلوق ناضج بإمكانه أن يجعل الفطرة مقياساً يتحقق من خلاله دين الله تعالى، والأمثلة في ذلك كثيرة من الذين أسلموا بشكل فطري، كما في قوله تعالى:

﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [الروم: 30/ 30].

94 الناسي ضائع والذاكر ناظر

هناك علاقة بيننا وبين الله سبحانه وتعالى كأفراد، وبيننا وبين بعض كمجموعة بشرية ضمن بلد واحد، وعلاقتنا مع الناس الآخرين على مستوى البشرية.

العلاقة مع الله سبحانه تلخصها العبارة التالية: **الناسي ضائع والذاكر ناظر**. لذا يجب تعميق إيماننا بالله تعالى؛ لأن عمل الشيطان أن ينسيه الله سبحانه والضلال ـ والعياذ بالله ـ: هو أن ينسى أحدنا الله تعالى.

والعلاقة بيننا كأفراد هي أن نشعر دائماً أننا بحاجة إلى مدِّ يد العون للآخرين، وأن نقدِّم خدمات إلى الناس ونساعدهم، وحين نكون كأفراد متوجهين إلى وجهة واحدة، فهذا كافٍ لأن تُزال العوائق فيما بيننا.

أما علاقتنا مع بعضنا كمجموعة بشرية ضمن بلد واحد، فهي من خلال التوجه إليه جل جلاله، والنظر إليه سبحانه، وذلك من خلال صلاة الجماعة بكل أشكالها، وهذا يكفي لعدم تحرك النفوس ضد بعضها، وإن تحقق ذلك فليس للشيطان سبيل إلى التفرقة بين الناس؛ لأنه يبذل جهده بتفجير أشياء صغيرة وأصغر وتافهة، ويجعلها تسيطر على تصرفات الناس، وتعرقل أي طريق يسعون إليه وهم مجتمعون.

95 أسرار الأوقات وسر اختيارها للصلاة

أولاً ـ يجب أن نتساءل تُرى هل هناك عبثية في الأمر الإلهي؟

إن نظرنا إلى الأشياء التي حولنا في الكون، نجد توازناً وحكمةً إلهية؛ وبالتالي لا يمكن أن نستغني عن شيء منها أبداً.

لذا؛ فالوقت مرتبط بحدث فلكي، مثلاً: المغرب حدث فلكي هو لحظة بين الكرة الأرضية والشمس. وهناك نسبة معينة بين زاوية الأرض والشمس وهناك زوايا معينة، والعلاقة بين الشمس والأرض علاقة قوية خاصة الكواكب مرتبطة مع المجموعة الشمسية وحركة المجموعة الشمسية، تشكل كتلة متوازنة مع المجرة، والمجرة مع الأخرى...

إذاً لحظة المغرب مرتبطة بالكون بأسره واللحظة مختارة. والله سبحانه هو خالق الكون، وهو الذي يقدر تماماً ماذا يحدث. وكذلك بقية أوقات الصلاة...

96 الدعاء والطلب

هناك فارق كبير بين الدعاء حين يكون طلباً لتحقيق ما نريد، والدعاء بحدِّ ذاته.

فالله سبحانه وتعالى هو مجيب، وهي صفة له جل جلاله مثل: سميع. وفي الحديث: «ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ». إذاً حصول الأمر يختلف عن الإجابة، فالإجابة لا بد حاصلة لأنه تعالى اتصف بـ: المجيب.

والملاحظ من التجربة: أن الطلب إن كان بشكل وديٍّ تكون الإجابة. والله أعلم أكثر من الطلب بشكل أريد أن يحصل ذلك، فالله سبحانه ليس مُلْزَماً بأن يفعل ذلك، أي: ندعو ونحن نودُّ ولا نشاء؛ لأن المشيئة له سبحانه، والله تعالى مجيب دائماً وأبداً، وهي صفة مطلقة. أما تحقيق الرغبة: فهو أمر يخضع لمشيئته سبحانه وتعالى. والحديث يقرب ذلك، أما الدعوة فهي تؤجل، أو تقضى، أو إلى يوم القيامة.

الدعاء ثقة وتوكل على الله: إن شاء يجيب، وإن لم يشأ لم يجب سبحانه. وهل يمكن أن نناقش الله سبحانه؟!.

وهنا الدعاء استحضار لمعنى العبادة، وسؤال الله جل جلاله بصدق وتجرد وبراءة هو بحد ذاته عبادة؛ لأن فيه توكلاً على الله واعترافاً بالعبودية له، وأن الأمر بين يديه سبحانه.

لذا إياك أن تيأس وتترك سؤاله سبحانه في كل أمر من أمورك، وهذا المعنى مطروح في الآية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف: 12/ 110].

97 الرقية هي خاصية كونية

الرقية هي من الأمور المعروفة حتى قبل بعثة النبي ﷺ، وهي خاصية كونية جعلها الله سبحانه عند بعض الناس لإمكانية الشفاء والعلاج للآخرين. والمهم: أن الإنسان الذي يرقي الآخرين هو عبارة عن واسطة لإيصال هذه الخاصية الكونية للآخرين وليس أكثر، والأمر ليس بيده؛ بل بيد الشافي وهو الله سبحانه وتعالى.

98 المقام لا يطلب[1]

المقام لا يُطلب، ولكنه يُمنح من الله سبحانه العزيز الحكيم؛ لأن من أسمائه تعالى اسميه: الخافض والرافع.

الله وحده الذي يقرر الدرجات والمقامات ويفضل من يشاء على من يشاء، وهو وحده الذي يخفض ويرفع في درجات عباده.

وطلب المقام هو إسقاط لآلية، وطريقة في الحياة الدنيا للوصول إلى هدف معين، وطالبُ المقام نرى في نهاية الأمر أنه طالب لنفسه ويبحث عن ذاته ومشغول ومهتم بها، دون عباد الله الآخرين، وهذه من آفات النفس الخفية.

أما الذين مَنَّ الله عليهم ليكونوا أصحاب المقامات فهم مشغولون عن طلب المقام بخدمة عباد الله والتقرب إليه سبحانه ومثاله سيدنا الخضر الذي قال عنه سبحانه: ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: 18/ 65].

فقد كان عمله تقديم الخير للآخرين بأمر من الله سبحانه، حين ساعد المساكين الذين يعملون في البحر والأبوين المؤمنين والغلامين اليتيمين.

99 الأمور الفقهية

الطاعة أن ينظر الإنسان إلى الكون وأن يكون جزءاً منه، والأمور الفقهية هي طبقة وبعدها طبقات كثيرة، وتعاليم الإسلام مثل الهرم يجب ألَّا يقف الإنسان عند طبقة؛ بل يستمر حتى يصل إلى الذروة.

والعجيب في الإنسان المسلم كيف يقف عند تطبيق الجزئيات (وهي مهمة طبعاً) وتشكل بالنسبة له الطاعة الكاملة لله سبحانه، ويقف عندها ويكتفي بها.

وسبب ذلك هو الفكر التجاري النفعي البحت الذي يحسب دائماً كل شيء من... إلى.... هذا الفكر اتجه إلى السرعة وعدم الإتقان. وأعطى عقلية تجارية بحتة، وهذا سبب الخطأ في التفكير الذي نعيش فيه؛ لأن الفكر نفعي أولاً وأخيراً حتى وصلت هذه العقلية إلى المدرسة، وإلى كل شيء؛ وخاصة في علاقاتنا مع الله سبحانه وتعالى، أي: علاقة مقايضة مع الله جل وعلا عن ذلك.

---

(1) المقام: أي المكانة الروحية التي يمنحها الله سبحانه لعباده.

100 الجدل والنقاش

الجدل هو مقابلة ومواجهة واتخاذ موقف معاكس للطرف الآخر وبشكل مستمر، مثل: (البينغ بونغ)، أي: أن تصل الفكرة إلى الطرف الأول، ثم يعيدها إلى الطرف الثاني مع بعض التعديل... وهكذا.

بينما النقاش هو وضع الموضوع ودراسته وعدم وجود موقف مسبق. وأكثر ما يقوم به الإنسان هو الجدل لذلك قال الله تعالى:

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف: 18/ 54] فليس وارداً أن أشياء تجادل غير الإنسان قال تعالى:

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: 25/ 63] عكس كلمة سلام هي الحرب أي: الجدال.

ومن المهم جداً تحديد مفهوم الكلمة وتحديد هدف النقاش؛ والغاية منه قبل الدخول في أي نقاش، وسقراط هو أول من حدد هذه القاعدة للخروج من دوامة السفسطائية.

من المهم دائماً ألا نَبُتَّ بأي نقاش بجلسة واحدة وكأنه قرار سياسي؛ لأن هذا المستوى من النقاش هو مستوى أدنى.

أما النقاش فهو مستوى أعلى من الجدل لأنه عكس ذلك، وعلى الإنسان إن شعر أن الأمر ليس صحيحاً فيه نوع من القبض أن يعود قليلاً إلى الخلف مثل: (الفراشة والشباك، أو رسم كبير على جدار). ثم يعاود تصحيح أفكاره ويتابع. والخطأ الفاحش أن ينهي النقاش مباشرة بجلسة واحدة، وكأنه شيء ثابت لا يقبل التأجيل ولا التريث، ولأن أي أمر ينجلي لك بعد فترة، أو ربما هناك أفكار جديدة تكون لحظة النقاش قد ولدت وما زالت غضّة، فحين تترك لها المجال تكبر وتأخذ حجمها الطبيعي.

وعلى العموم: يجب أن ننتبه أثناء النقاش إلى (حُسْناً) داخل قلوبنا، وإن شعرنا بأي خطأ فعلينا أن نتريث ونبطئ الإيقاع.

101 اعتبارات لغوية لمن وقف خطيباً

1 ـ اختيار الألفاظ: ويتم ذلك بأن أختار اللفظ من خلال الصدى والأثر الذي يتركه من خلال ما يثير وما يحرك المستمع.

2 ـ الأخذ بعين الاعتبار صدى وأثر وحجم الكلمة في نفس وذهن المستمع.

3 ـ هام: اختيار كلمات واستخدامها بحيث يسهل على المستمع حفظها وتذكرها.

4 ـ اختيار ألفاظ من مستوى عالٍ فصيحة ولبقة بالنسبة للنسيج العام للحديث. ومن ثم اختيار ألفاظ واضحة وبسيطة ومفهومة بالنسبة للكلمات الإستراتيجية في الحديث، والتي تريد أن يحفظها المستمع أو الجمهور. بعبارة أخرى: يجب صياغة ما تريد طبعه في ذاكرة المستمع صياغة تدخل في ذاكرته بسهولة وتبقى فيها.

5 ـ ملاحظة هامة: المفتاح الأساسي للذاكرة يكمن في طرح الفكرة مع عنصر يربطها بثوابت في ذاكرة المستمع؛ بحيث تبرز المعلومة المقصودة كلما برزت معلومة ثابتة أصلية في ذهن المستمع. من جهة أخرى: إن طُرِحَ عليك سؤال لا توجد إجابة عليه واضطررت للحديث عن أمر يتعارض مع الأثر الذي تريد تركه، يمكنك قلب المعادلة السابقة من خلال لغة معقدة لا يمكن للمستمع ربطه بذاكرته.

102 مستوى عالي أثناء الصلاة

هبوط المستوى أثناء الصلاة دليل على أن الإنسان يمر بأوضاع سيئة، والأصل أن يبني قناعة حين يكون بتلك الأوضاع أن الله هو الحق وما أحوجني إلى صلة به سبحانه وتعالى، وما ذاك الوضع السيئ إلا وهم عابر، عندها يشعر بشوق إلى صلاته وفقر إليه سبحانه، وأن يذكر الإنسان أن الصلاة هي شيء عظيم، ولها ما لها من أبعاد.

ويجب الانتباه عند الصلاة إلى التميّز بين حال حقيقي وحال نفسي.

الحال الحقيقي في الصلاة أن يعي الإنسان أن أمر الصلاة هو من عالم آخر وليس من عالمنا.

أما الحال النفسي فهو الجو الذي يهيئه الإنسان أثناء صلاته، ويتولد عنه حسٌّ نفسي معين؛ والنتيجة أنه مسرور من نفسه، وطروب بها ويشعر بالرضا، وكأن في داخله جمهوراً وهمياً يصفق له ويثني عليه، وكأنه يقوم بدور ممثل على خشبة مسرح. وهنا السؤال: هل هذا حال حقيقي؟

يجب أن يعيد الإنسان تصوراته عن الصلاة، وعمّا يتأتى عنها من أحوال معينة، وهل هي سرور ورضا الإنسان عن نفسه أم هو رضا الله تعالى.

103 تصور الإنسان عن الله سبحانه وتعالى

يجب أن يعدل الإنسان باستمرار تصوره عن الله سبحانه، وذلك لأن أي مفهوم يصل إليه ـ مهما كان عظيماً ـ يستحيل أن يطابق الله عز وجل.

كذلك فكرة التسبيح، والتي يجب أن نعملها يومياً، هي تطوير ورفع إلى مستوى أعلى لتصورنا عن الله سبحانه، وهذا بحاجة إلى أن يراجع الإنسان نفسه، وأهم شيء أن يخرج ما بداخله، ما بنفسه من أمراض وآفات، وليس مفهوم مراجعة النفس هو محاسبتها مساءً فعلت كذا وكذا ولم أفعل وكذا فقط...

الفكرة: أنني يجب أن أحاسب نفسي عن ردود أفعالها وتصوراتها خاصة، وأهم شيء عن الله سبحانه وتعالى، وترى ما هي ردّات فعلي من خلال الحياة اليومية. مثلاً: أن أتساءل لماذا فعل الله كذا أو فعل كذا؟ فهذا الإنسان تصوره عن الله جل جلاله ركيك جداً وبحاجة إلى تطوير.

والخطير: أن مفهوم الناس عن أمور واردة في القرآن الكريم ـ خاصة عن خلق آدم وإغواء إبليس له ـ بحاجة إلى تطوير. والخطير جداً: أنهم يظنون أن سبحانه يقابل قوة سلبية هي إبليس. والله ليس كمثله شيء، وخطأ كبير الذي يتصور أنه وصل إلى تصور كامل عن الله سبحانه.

والإنسان الذي يسعى إلى النور يجب ألَّا يكون في نفسه شوائب، وخاصة عند اللحظات الأخيرة في الدنيا وهي آخر شيء (حسبي الله عند الموت). وعند هذه اللحظة لا يبقى إلا ما هو أساسي في نفس الإنسان.

وأصلاً كل رحلة الحياة هي إلى اللحظة الأخيرة التي ينتقل فيها إلى العالم الآخر؛ ودليل ذلك: أن الإنسان حين يغيب وعيه بتخدير مثلاً، أو لحظات الموت فإنه لا يبقى إلا نفسه الأصلية، وهي التي تتكلم عن ذلك، لذلك قال ﷺ: «**مَنْ مَاتَ عَلَى لَا إِلَه إِلَّا الله دَخَلَ الجَنَّة**»[1].

---

(1) أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم: 151، وهو حديث مشهور وله عدة روايات في السنن والمستدركات على الصحاح، وله شواهد كثيرة، وهذا نصه عند ابن حبان: عنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ: «**نَادِ فِي النَّاسِ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**». فَخَرَجَ فَلَقِيَهُ عُمَرُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ بِكَذَا وَكَذَا، قَالَ: ارْجِعْ، فَأَبَيْتُ، فَلَهَزَنِي لَهْزَةً فِي صَدْرِي أَلَمُهَا، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَجِدْ بُدًّا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَعَثْتَ هَذَا بِكَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ النَّاسَ قَدْ طَمِعُوا وَخَشُوا، فَقَالَ ﷺ: «اقْعُدْ».

والحديث الأشهر في هذا المعنى أخرجه مسلم في صحيحه برقم: 43، وغيره، ونصه عند مسلم: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الجَنَّةَ**».

104 قراءة الأوراد بشكل حقيقي

الأوراد هي أبواب مفتوحة وكل إنسان يستطيع قراءة الأوراد، ولكن بشكل مختلف عن الآخر وذلك بالتوجه، والفكرة في قراءة أي ورد أن يستحضر الإنسان الفقر إلى الله تعالى، وهذا الأمر يجعل أوراده شيئاً حقيقياً وفعالاً. أما إن قرأ ورداً معيناً وحاله أثناء قراءة ورده كأنه يقسم بهذا الدعاء، أو الورد على الله جل جلاله أن يعطيه أو يسدد له حسابه الخاص مقابل ما قرأه من الأوراد، فهذا مطب خطير؛ لأنه سبحانه غير ملزم بشيء، وهو الإله ونحن خلقه سبحانه وتعالى.

(جداً هام): الانتباه أن قراءة أي ورد كان لا يعني أن قوة ما تتحرك بهذا الورد، أو هذا التكرار، وهذه القوة موجودة في الكون، وتتحرك بشكل أوتوماتيكي عند قراءة هذا الورد، أو ذاك (أستغفر الله). والأمر يختلف كلياً فهو سبحانه ليس كمثله شيء، وهو الذي يحرك كل القوى وكل شيء في هذا الكون.

وأصل الورد هو ذكر منظم كله رجاء وفقر إليه سبحانه وتعالى، وإن أردتُ شيئاً فكما يريد هو سبحانه، لا كما أريد.

وهناك مطب آخر مثلاً: أن أذكر وأنا أريد أمراً أن يكون التوجه بالذكر بحماس وفقر إلى الله تعالى، وعند انقضاء الأمر أذكر، ولكن بحماس أقل وفتور بالتوجه له سبحانه.

والفكرة بمنتهى البساطة: أن يظل قارئ الأوراد وبشكل دائم مستشعراً فقره إلى الله تعالى.

105 أحاديث عن الذات الإلهية

الآيات والأحاديث التي وردت عن ذات الإله سبحانه مثل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 48/ 10].

أو ما جاء في الحديث القدسي:

* «**خَلَقَ الله آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ..**»[1].

* «**أَتَانِي رَبِّي عَلَى أَحْسَنِ صُورَةٍ..**»[2]، وأمثالها من الآيات والأحاديث هي عبارة عن أخبار تهيّئنا لكي نرى الله سبحانه يوم القيامة، والله أعلم.

---

(1) البخاري: 6227.

(2) أخرجه الترمذي في سننه برقم (3158).

106 حول التحضير لليالٍ مهمة مثل ليلة القدر

من الأمور الهامة في الليالي المباركة أن يحضر الإنسان لها قبل وقتها بفترة، وأهم وأول شيء: أن تكون طبقات نفس الإنسان محضرة بالكلية لهذه الليلة، وأن يبقى كل يومه واعياً دائماً وذاكراً لله تعالى، حتى ولو كانت الأمور التي حوله سخيفة..

وأن يضع الإنسان نصب عينيه أن الله سبحانه هو مَن يقرر مستوى عمله في تلك الليلة، لذا عليه أن يبذل أقصى جهده، وأن يكون دائم الذكر؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يصعد من الصفر إلى مستوى عالٍ مباشرةً، بل يحتاج إلى عمل والتحضر لمثل هذه الليالي يكون من بداية اليوم وليس عند بداية الليلة:

مثلاً صباحاً:

أن يردد ويطلب منه سبحانه منذ الصباح: أن يعينه على ذكره، وذلك كلما خطر بباله تلك الليلة بقوله: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلى ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**». ويقولها بصدق وطلب عون من الله جل جلاله؛ لأن المدد منه سبحانه، ولا يتم شيء إلا بمدد إلهي، وأن يمسح من قلبه كل شحناء وبغضاء لأي شخص كان بأن يدعو له بصدق أن يجعله الله من الصالحين، ويدعو لنفسه أن تتلاشى أي شحناء من قلبه.

من الظهر وحتى المغرب:

التسبيح مثلاً: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، أستغفر الله، ثم استغفار لأنفسنا وللمؤمنين والمؤمنات وللمسلمين والمسلمات أجمعين والدعاء لهم، ومع الاستغفار على الإنسان أن يتصور أفعاله الناقصة ويستحضر الأسف على ذنوبه.

ثم الإكثار من الاستغفار، وبانكسار شديد لله سبحانه كلما اقترب المغرب؛ لأن الاستغفار هو تنظيف للمكان أيضاً، وأن يختم كل مئة استغفار بسيد الاستغفار:

قالَ ﷺ: «**سيِّدُ الاسْتِغْفار أَنْ يقُول الْعبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لا إِلَه إِلاَّ أَنْتَ، خَلَقْتَني وأَنَا عَبْدُكَ، وأَنَا على عهْدِكَ ووعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما صنَعْتُ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمتِكَ علَيَّ، وأَبُوءُ بذَنْبي فَاغْفِرْ لي، فَإِنَّهُ لا يغْفِرُ الذُّنُوب إِلاَّ أَنْتَ. منْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِناً بِهَا، فَماتَ مِنْ يوْمِهِ قَبْل أَنْ يُمْسِيَ، فَهُو مِنْ أَهْلِ الجنَّةِ، ومَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وهُو مُوقِنٌ بها فَمَاتَ قَبل أَنْ يُصْبِح، فهُو مِنْ أَهْلِ الجنَّةِ**» [رواه البخاري].

عند المغرب وما بعده:

على الإنسان أن لا يُصرِّح ببرنامجه حتى بينه وبين نفسه؛ بل يبقيه بذهنه دون أن يصرِّح به؛ لذا يطلب الاستعانة منه سبحانه وأن يلهمه خير ما يجب فعله؛ لأن المُعين والمُوَفِّق هو الله سبحانه.

ثم صلاة على سيدنا النبي ﷺ، ويمكن له التوجه بهذا الدعاء: (اللهم صلِّ على سيدنا محمد صلاة تفتح لنا بها أبواب الرضا والتيسير، وتغلق بها عنا أبواب الشر والتعسير، وتكون لنا بها ولياً ونصيراً، يا نعم المولى ويا نعم النصير). والعبرة دائماً بالنوع وليس بالكم وهذا أهم شيء وأن يطلب وينادي الله بصدق بكل ذكره.

وعلى العموم الترتيب في الليالي المهمة:

أن يستفتح أولاً بالفاتحة، ثم الصلاة على النبي ﷺ؛ لأن أفضل حال هو حال سيدنا النبي، ويتذكر كيف وكم كان توجه النبي عليه الصلاة والسلام عظيماً ومهماً في مثل هذه الليلة، وهذا صعب لا يتم، ولكن يمكن أن يستشعر هذا الأمر دون أن يعيش تصورات وأوهاماً.

ثم استغفار... وما أحوجنا إليه وهو أهم شيء في البداية.

والأذكار العادية: جداً ثمينة وليس المهم الأذكار الخاصة وغير المعروفة؛ بل ذكر أهل البدايات هو ذكر أهل النهايات.

وخلاصة الكلام: من الأفضل الأذكار المعروفة والواردة عن سيدنا النبي ﷺ، وغسل الذنوب هو الاستغفار، وهو جداً خفيف مهما كان عدده، ثم أفضل الذكر (لا إله إلا الله)، ثم الصلاة على النبي ﷺ.

وأهم أوقات الليل الثلث الأخير وعند الأسحار، وهو أمر معروف.

107 التدين والإيمان

يجب على الإنسان أن يكون دائماً متفوقاً وأولياً في حياته اليومية. هذا هو التفكير الدارج هذه الأيام.

هذه الفكرة نسقطها نفسها في تربية المساجد، التربية في المساجد تعتمد على إعطاء الطالب حالة من الفراغ؛ ولملئها يجب أن يدرس ويحفظ المواد الشرعية وغيرها من العلوم؛ حتى يصبح مؤمناً ناجحاً، ويصبح إنساناً متديناً؛ أي: متمسكاً بظاهر الشريعة. وهذا خطأ؛ لأن الإيمان هو من عند الله تعالى:

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

[الحجرات: 49/ 17].

الإيمان ليس حالة دراسية وتحصيل: إن فعلت كذا وصلت إلى كذا. وليس دبلوماً يريد أن يأخذه من رب العالمين جل جلاله، وهي حالة أنانية.

في هذه الحالات لا يشعر الإنسان بقربه من الله سبحانه وتعالى، مع العلم أنه يستشعر عظمته لكنه يكون بعيداً عنه جل جلاله؛ لأن من صفات العبودية: الفقر إلى الله وطلب رضاه سبحانه، لا رضا النفس، وعكس ذلك: هو تمرد النفس وطلب رضاها.

ومن الملاحظ: أنه يتزامن انتصار المسلمين مع التقدم في كل العلوم، وليس في علوم الشريعة فقط، ودليلها الأيوبيون، وهذا التقدم في كل العلوم واضح في عمارتهم، والعكس في الآثار العباسية.

وهناك دليل آخر في أيامنا هذه: هناك مئات من علماء الشريعة وليس هناك انتصار واحد.!!

108 أهمية التجربة لفهم القرآن الكريم

ـ هناك فرق بين أن يمر الإنسان بتجربة معينة أو أن يقرأها جاهزة، وكذلك دراسة القرآن الكريم، فالإنسان حين يعاني وهو يفسر ويخرج معه معاني القرآن الجلية، هو أمر أهم بكثير من أن يقرأ عن هذه التجربة.

ـ يجب عند دراسة القرآن الكريم أن ننطلق من فكرة النظر إلى المعلومات من خلال طبقة معينة، وليس أخذ معلومة من طبقة، ثم أخذ أخرى من طبقة ثانية، والقفز من طبقة إلى طبقة؛ لأن ذلك يشكل عدم توازن.

ـ لا فائدة من العلم إن لم يكن هناك نور، لو كان في غرفة آلاف الكتب فما الفائدة منها إن لم يكن هناك نور ليستطيع الإنسان قراءتها، وكذلك علوم القرآن بشكل خاص، وكل العلوم بشكل عام.

ـ **من الأمور الهامة**: أن ندرس وقع الكلمة كما أرادها سبحانه في كتابه، عندها يكون لها وقعها في العقل الواعي واللاواعي والنفسي، وليس المهم فقط معرفة معاني الكلمة عندي؛ بل معرفة أبعاد كل كلمة وما هو وقعها عنده سبحانه وتعالى، وما أراد لها أن تحمل من معانٍ.

109 دعنا نفكر ماذا يريد الله سبحانه منّا

ألَّا نشرك بالله أبداً، وكل شيء تنصاع النفس إليه غير الله تعالى هو شرك ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: 25/ 43] وهو شرك خفي. مثلاً: أريد أن أضمن مستقبلي ومستقبل أولادي، وهنا لا يضع الله سبحانه في حسابه، ولا يكون سوى عنصر ظاهري، وليس شيئاً مطلقاً يغني عما سواه، والأمر يحتاج إلى جهود كبيرة حتى يصبح عنده يقين به سبحانه وتعالى وكل شيء منه وبيده عز وجل؛ ودليله: كيف عرف صاحب الجنة في سورة الكهف هذا المعنى عند قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ [الكهف: 18/ 44]. وكيف اعترف صاحب الجنة بذلك عندما ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [الكهف: 18/ 42] واعتمدَ على جنته، ونسي الله سبحانه.

وكم هناك تركيز على كلمة الولاية في القرآن وكم لها أبعاد.

110 ثمرة الدعاء الأعلى والأعظم

الفكرة هنا: أن الإنسان حين يطلب أمراً من أجل نفسه، فإنه يطلب الأمر لنفسه، ومن أجل الثواب؛ لذا طالب الولاية لا يُولَّى، أما إن كان الأمر للصالح العام وليس لأمر شخصي فالأمر يكون ثوابه أعظم وينال ثمرته، ومثاله دعاء هام:

اللهم اغفر لأمة محمد

اللهم أصلح أمة محمد

اللهم تجاوز عن أمة محمد

اللهم اجعلنا من أمة محمد ﷺ.

والدعاء للنفس والأنا لا بأس به، ولكنه ثمرة الدعاء الأعلى والأعظم هي الغيرية؛ مثالها سيدنا النبي ﷺ: «**أمتي أمتي**»[1].

وماذا يخسر الإنسان إن دعا للناس؟ وإياك أن تشعر حين تطلب لغيرك أنهم بحاجة إليك وأنك تمنُّ عليهم.

أيضاً: إياك أن تشعر أنك لست مسؤولاً عن بقية المجتمع، وأنه لا علاقة لك بالمصائب وبقية الأمور؛ لأن المجتمع برمته مثل سفينة، وأي خرق فيها هو وبال على الجميع.

وأصل الطلب دائماً هو الرجاء من الله سبحانه لنا ولجميع المسلمين.

(1) أخرجه البخاري برقم: 7510 .

سؤال وجواب 111

سؤال:

في داخلي واضح معنى أن كل شيء بإرادة الله سبحانه كما في الآية:

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: 6/ 59].

ولكن عند صعود هذه الفكرة إلى العقل الواعي يحصل إشكال.! كأنه عدم تطابق أو تصور لآلية هذا المعنى في حياتنا.؟

جواب:

يجب إعادة صياغة السؤال على الشكل التالي:

الفكرة في سري تصور مكتمل عن آية كريمة، ولكن حين يخرج إلى العقل الواعي يحصل إشكال؟

نقطة الانطلاق هي تحديد الأسس، وهذه الأسس لا تُثار ولا تناقش، وأغلب الناس ينطلقون من نقاط ثالثة ورابعة، ولا يبدؤون من البداية.

من الأُسس: أن التصورات الكلية في الأذهان تحتاج إلى وقت طويل لتنتقل إلى العقل الواعي، وهذا الموضوع ميتافيزيقي بحت وليس فلسفياً؛ لذلك تحتاج الأفكار المتكاملة والمنسجمة مع بعضها إلى مثل (فكفكه) مثل: كرة منسجمة مع بعضها لكن لا يمكن إخراجها إلا أجزاءً، ثم يُعاد تركيبها من جديد في العقل الواعي.

وبالتالي يقتضي الانطلاق من نقاط معينة ومفاهيم معينة؛ لأنه لا يمكن تطبيق قواعد الإعراب على تفاعلات كيميائية، وهذا خطأ؛ لأن لكلِ أمر قواعده وثوابته المختلفة.

والإنسان يجب أن يكون واعياً أن التفكير والمناقشات (حتى بينه وبين نفسه) مستويات يجب أن يحافظ عليها أثناء نقاشها، ولا يمكن الانتقال من طبقة معينة إلى أخرى أثناء سير النقاش؛ لذا حين يضع ضوابط لكل أمر ـ وإن لم يصل إلى نتيجة أو أي شيء مهم ومفيد ـ لكنه بذات الوقت ينمّي أسلوب تفكير وعقلاً ناضجاً وواعياً، وعلى كلا الحالين هو المستفيد.

الهدف دائماً هو الوصول إلى المعرفة الصحيحة لأي أمر، وطالما أن هذا هو الهدف يجب أن نختار أفضل السبل؛ وبالتالي فإن أفضل طريق هو التوجه إلى الله سبحانه، لأن أي تفكير بلا

مدد من الله سبحانه لا يوصل إلى نتيجة، وعند التوجه إليه سبحانه تصل المعرفة لأي أمر بطرق جداً مختصرة، وبمنتهى البساطة، وعندها يصل إلى النتيجة ويرى حقيقة الأمور بشكل متطابق، دون عناء جمع شتات الأفكار من هنا وهناك.

(وهذه النتيجة قناعة الأستاذ سليمان).

معنى الفن 112

الفن الحقيقي هو عملية تركيب Syntheses وتجميع بنسب دقيقة جداً. والأستاذ سليمان يرى: أن الفن هو إدراك هذه النسب وهي قدرة عالية جداً.

مثلاً: الألوان هي موجات تُقاس، والفن الحقيقي هو تركيب الألوان بنسب معينة.

ثم يأتي بعد ذلك الخطوط، وهي أمر هام جداً؛ مثالها: الخطوط الأيوبية فيها قوة ورشاقة، وذلك لأنها قضية نسب أيضاً.

والقاعدة: أن الفنان إنسان مبدع، أما الذي يقلد: فهو عبارة عن حرفي وصاحب مهارة.

ومن الأمور التي تنمي الحِسَّ هي قراءة القرآن، وعكسها التي لا تنمي الحس هي المبالغة (مثلاً: الحلفان والمبالغة بالكلام وغيرها) وبالتالي حين يضع الإنسان الأمور بمكانها الحقيقي، فإنه يشعر بالأمر المهم؛ وبالتالي حسّه بالله سبحانه يصبح حقيقياً، خاصة إن بدأ يشعر بعظمة لفظ الجلالة.

ومن سمات الحسِّ: أن يزين الإنسان كلماته.

ومن قضايا الحس: أن لا يكون أي شيء فيه بعيد بل كله قريب، وليس هناك شيء بعيد؛ لأن الأمر إن شعر الإنسان أنه بعيد يمر عليه وكأنه لا يعني بالنسبة له شيئاً.

لذا؛ يجب على الإنسان إن قرأ نصاً ما أن يعيش النصَّ، لا أن يمر عليه وكأنه لا يعنيه.

113 صفات الله سبحانه

يجب التحقق من صفات الله سبحانه؛ بحيث تصبح مسيطرة على الذهن وهي الأولى في تفكيري.

مثلاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤﴾ [الحج: 22/ 14] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: 22/ 18] إذا أردت التحقق مما يشاء، يجب أن أضع هذه المعلومة مع معلومة مقابلة، أقابلها بمشيئتي. فإما أن تكون مشيئتي مطابقة لمشيئته جل جلاله، وإذا طابقت فمن هو صاحب المشيئة الأولى.

فأرى بالنقاش أن أول من شاء: هو الله سبحانه وتعالى وهو صاحب المشيئة، وما قمت به هو مطابقة مشيئتي على مشيئته سبحانه وتعالى.

أما إذا لم تطابق مشيئتي مشيئته سبحانه فمشيئة الله هي الحق، و مشيئتي هي الوهم؛ لأن الله قوله الحق، عندها أصبح مسلماً. فإذا فعلت خلاف مشيئته سبحانه: أكون واهماً وأموري في ضياع.

وإذا طابقت مشيئتي مشيئته سبحانه، فأنا في سعادة وسلام، وعندها أجد الطمأنينة في السير في مشيئة الله؛ ألا وهي الطاعة.

ومن أهم أبواب التحقق من صفات الله أن تقول: هل يمكنني أن أستغني عن الرحمن أو الرحيم؟ هذا يجعلك تشعر كم أنت بحاجة إلى هذا الاسم، بعدها يجب أن ترى هذا الاسم في كل شيء حولك، ثم تعود إلى نفسك وأعماقك فتعمق هذا المفهوم، ثم مرحلة بعدها يجب عند ذكر اسم من أسمائه تعالى استحضار بقية الأسماء، هذا يدعوك إلى تركيب معلومة من 99 معلومة هي أسماء الله الحسنى، وتكون حاضرة في ذهنك ودالة على شيء واحد: هو الله جل جلاله، وهذا يعطيك قدرة ذهنية عالية جداً.

هذا الأمر ضروري جداً؛ لأن الله سبحانه قد ركب في الإنسان مراكز تجذب نحو الشر، ومراكز تجذب نحو الخير؛ لذلك يجب تقوية المراكز التي تجذب نحو الخير.

وتعميق مفهوم صفات الله جل جلاله يشكل فيكَ قوةً جاذبة إلى الخير.

114 كم هي نعمة معرفة اسم الله الحقيقي

قبل كل شيء كم هو رائع أننا والحمد لله ننادي الله سبحانه باسمه الحقيقي، وكم هي نعمة مَنَّ بها سبحانه علينا، وكم يحتاج إنسان غير مسلم أن يبذل جهوداً حتى يصل إلى معرفة اسمه تعالى، واسمه تعالى هو أهم شيء في الذكر حيث يُبدأ به.

ثم أعلى مرتبة في الذِّكر هو حال الحاجة واحتياج الذاكر لهذا الذكر، وهو شيء هام وهام جداً، أما إكراه النفس وإجبارها على ذكر الله فهو مرتبة ولكن جداً ضعيفة، والملاحظ أن الذي يجبر نفسه على الذكر كأنه لا مستقبل له مع ذلك الذكر.

كما لا بد للذاكر أن يستحضر معنى الذكر الصحيح ومثاله: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 3/ 173] معنى الآية: هو زيادة الإيمان و التوكل على الله سبحانه، ويتأتى عنه قوة ومدد منه سبحانه وليس العكس، وهو المفهوم الدارج.

كذلك ذكر البسملة فهو شهود أنه لا يتم شيء إلا بإذنه وبأمره سبحانه، وكم هي نعمة وجود الرحمن في البسملة، والرحمن صفة غالبة على جميع صفاته سبحانه وتعالى.

وذكر «**سبحان الله والحمد لله والله أكبر**»[1] 33 مرة بعد كل صلاة يجب أن لا يغيب عن الذاكر فضله، كما ورد في الحديث الشريف عن سيدنا النبي ﷺ.

وعلى العموم فكرة الأوراد: هي أن يعمق الذاكر هذا الذكر في قلبه، وأن يكون له ملجأ وحاجة وليس عبئاً، وكلما ازداد فهماً وعمقاً بذكره ازداد قرباً من الله سبحانه.

وهناك سؤال يطرح دائماً بالنسبة للذاكرين: إن لم يستطع أن يعاود ذكره لضيق الوقت ما الحل؟

الحل ببساطة أن تقول:

«**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»[2] كما أوصى نبينا عليه الصلاة والسلام، والعبرة أولاً وأخيراً: أن يتقبل الله سبحانه وتعالى.

---

(1) أخرجه البخاري في باب: الذكر بعد الصلاة، برقم (834)،

(2) أخرجه أبو داود (1362) والنسائي (13) وغيرهما.

115 إياك أن تطلب الرضا من غير الله تعالى

يجب أن لا يحجب شيء عنه سبحانه إطلاقاً، حتى ولا حال أو دموع أو أي شيء آخر...

الأساس: هو حضور القلب بالذكر وبالصلاة وبطاعة الله سبحانه، يجب ألَّا يلتفت إلا له جل جلاله، حتى الحال أو الدموع... لا تعني شيئاً؛ بل عندما ينظر إليها يكون قد التفت عنه سبحانه.

يجب أن يطلب العون والمدد منه سبحانه: «**اللَّهمَّ أعني على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادَتِك**»، وما أحوجني إلى رضا الله سبحانه وكم تيسرت أمور لي بفضله ومَنِّه وكرم منه سبحانه ولم أحمده، وكم أسأت ولم أستغفر. وعندما يقول الإنسان ذلك بصدق يكون قد سار على الطريق الصحيح في ذكر الله سبحانه.

لا يُلفتك شيء عنه جل جلاله حتى الملائكة والخلق وما خلق الله سبحانه، وما ملائكته أمامه جل جلاله.

والحذر الحذر أن يقع الإنسان في فخ رضا الملائكة، وكأنه يريد سرورهم وهذا غايته، وكم هذا خطير.

الله فقط وفقط الله سبحانه ولا شيء غير الله.

وبعد أن يستحضر الإنسان رضا الله سبحانه يمكن له أن ينوي السلام على الملائكة في تشهد الصلاة في التحيات بقوله: (**السَّلامُ عَلينا وعَلى عِبادِ الله الصَّالحين**)؛ ويقصد بها إنس وجن وخاصة الملائكة. وهم مَن سوف يجتمع بهم جميعاً ولا محالة، إن لم يكن في الدنيا ففي الآخرة.

116 قوله الحق وله الملك

من الأفكار المهمة جداً: أن الإنسان إذا قرأ مثلاً آية الكرسي على شيء يجب أن ينتبه أن اللاشعور هنا يعمل كأنه يقول عبارة سحرية وبهمته يتم الحفظ والرعاية، وأنه استطاع إمساك القوى الخارقة للآية وحركها بإرادته. وهذا خطأ وشعور طفولي يجب ألَّا ينسى الإنسان أنه عبد، والأساس في كل قراءة القناعة أن:

﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ [الأنعام: 6/ 53]؛ لذلك كان هناك استعاذة وبسملة قبل أي قراءة.

وإن حصلت هذه القناعة وكانت عنده يقيناً أنه سبحانه: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ فالأمر يحصل؛ لأن ذلك مَنٌّ من الله سبحانه وتعالى ويجب أن يُغذي الإنسان هذه القناعة، وهو أمر يحتاج إلى عمل ورعاية طويلة؛ لتكون حاضرة بذهنه عند قراءته لأي آية، وعندها يطلب بيقين لأنه يسير نحو الغاية، وهي الله سبحانه، وهو جل وعلا الأصل في كل شيء.

في أي قراءة لا بد من استحضار ألوهية الله جل جلاله وعبودية العبد له سبحانه، وحال الذاكر للآية يقول: به سبحانه كان ما كان وبه سبحانه يكون ما يكون. ثم إن كنت كذلك فهو سير على الصراط المستقيم.

117 المتع المادية في الجنة

الفكرة هنا: أن الله سبحانه يُري بديع صنعه فيما خلق، والإنسان في الجنة يستغرق ببديع صنع الخالق في كل شيء، إما بالنظر، أو بالذوق، أو بأي حاسة أخرى، وكم هي متعة أن يستشعر الإنسان بديع صنع الله في كل ما يرى ويسمع ويتذوق.

مثلاً: إن قيل لنا: إن هذه الوسادة من صنع الملائكة؛ وهذا خبر يقيني. فكم تكون لنا في الدنيا متعة أن ننظر إليها، فكيف في الجنة ينظر ويستمتع ويتذوق ويحس بخلق الله سبحانه، وكم هو شيء رائع، وهذا كله طبقة من طبقات وصف النبي ﷺ للجنة عندما قال:

«**فِيها مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**»[1].

فما بالنا في الأشياء الأخرى التي جعلها سبحانه في الجنة؟!

وكل ما في الجنة صلة به سبحانه، سيّما وأن الحُجب تكون قد رُفعت عن الإنسان في الجنة، ويرى كل شيء على حقيقته.

(1) أخرجه البخاري، رقم 3244، ونصه كاملاً: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قَالَ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ **مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**، فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ».

118 امتحان الصعاب و الأزمات

الإنسان هو جوهر، وهو مثل المعادن. والأزمات هي مثل تعريض خليط من المعادن على النار، ولا يبقى أخيراً سوى الذهب، ولولا هذه الفكرة لما شاءت إرادته سبحانه أن يمر النبي ﷺ بالصعاب والمشقة؛ ولذا كان يقال للنبي ﷺ ولمن بعده:

﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 46/ 35].

﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ [الكهف: 18/ 28].

وكم هي عالية مرتبة سيدنا أبو بكر رضي الله عنه؛ لأنه أكثر الصحابة صبراً وتحمّلاً للمشقة مع النبي ﷺ.

وعلى العموم: فإن هذا الزمان زمن فرز؛ كل إنسان إما يمين وإما يسار، والمحن توضع للفرز، وهي تزداد لكي تظهر معادن الناس.

والأمر شكل من أشكال التميز والفرز لمكنون الأنفس، وقد شاءت إرادته سبحانه أن يفرز الأنفس بهذه الطريقة حتى لا يبقى إلا الجوهر.

وبهذا الشكل نخرج عن المفهوم الطفولي للحياة الدنيا، وتتضح لنا حكمته سبحانه من الخلق.

119 ما أحوج الإنسان إلى البصيرة

البصيرة: هي رفع الحجب عن الإنسان كي يرى ما لا تراه العين العادية، وأهم هذه الحُجب هي النفس، وأخطرها وعندما يتجاوز الإنسان نفسه ويتصرف بمعزل عن نفسه وانفعالاته، عندها تعمل البصيرة وترى، وعندها يتصرف الإنسان لصالحه وليس لنصرة نفسه، وترتبط عنده المعلومات بين بعضها ويتكون لديه نظرة شاملة وعامة متزنة حتى مع التفاصيل.

وفي تحصيل العلم البصيرة هي غاية في الأهمية ما أحوج الإنسان إليها، وهذا ما تمتع به الأنبياء عليهم السلام مثل قوله تعالى:

﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾

[يوسف: 12/ 108].

إذاً البصيرة هي أحد أسباب النجاح، ليس فقط في أمور الدنيا والحياة العادية؛ بل في كل الأمور حتى في الصغيرة منها.

120 العاطفة والصلة بالنبي ﷺ

كل إنسان داخله عاطفة عميقة ومستمرة وقوية، والمكان اللائق لهذه العواطف هو محبة النبي ﷺ، وهذه العاطفة هي صلة بسيدنا النبي والأصحاب؛ لأن الصلة به عليه الصلاة والسلام صلة انتماء، ودليلها: «سلمان منا آل البيت». [أخرجه الطبراني].

يجب أن يشعر الإنسان أن سيدنا النبي ﷺ موجود وروحه طليقة، وأن يتذكر أن كل ما يرى من مظاهر الإسلام في صحيفة سيدنا النبي ﷺ إلى يومنا هذا وحتى قيام الساعة، ولا يغيب عنه أخلاقه وصفاته عليه الصلاة والسلام، وكيف كانت ردود أفعاله، مشاعره، انفعالاته، وخاصة الصدق والتلقائية وكرم النفس الموجود عنده عليه الصلاة والسلام، وكل هذه الصفات بقبول وثقة تامة بالله جل جلاله، وأن يتمثل الإنسان هذه الصفات في حياته.

ولا يستطيع الإنسان أن يطرق أبواب المعرفة دون الصلة بسيدنا النبي ﷺ؛ لأنه سبحانه علم نبينا ما لم يكن يعلم. والعلم مثل غيث السماء يمن الله به على عباده والنبي ﷺ خير من اجتمع عنده هذا الغيث فكيف لطالب المعرفة أن لا ينهل منه.

الفاتحة بتوجه صادق إلى الله تعالى من الأشياء الهامة للصلة بالنبي ﷺ، وأن يكون هذا التوجه إليه سبحانه الذي بيده كل شيء.

121 فهم الآيات القرآنية

الله سبحانه وتعالى هو الذي يفهم معنى أي آية وليس للإنسان أبداً أن يدعي أنه فسر الآية، لأنه بذلك يصبح أعلى من الآية، وهذا سوء أدب؛ بل يجب أن ننظر إلى الآية من الأسفل وهي في الأعلى، والإنسان أقل من أن يدعي أنه يعرف معنى آية.

سبحان الله الآيات القرآنية عندما نسير فيها بشكل متسلسل ودخول دعوة، وليس دخول اقتحام نجد أن الآية تفسر نفسها.

لأن طالب الدعوة قد يتأخر، ولكنه يدخل بعزّ عندما يُدعى، بينما المقتحم قد يصل، ولكنه لا يلبس إلا وأن يطرد خارجاً.

وهذا أدب في التعامل مع القرآن الكريم.

لذا؛ فالآية هي التي توجه تفكير الإنسان وحين يكون مؤدباً هي التي تعطي دلالات وإشارات

تدله على صحة التفكير والخطوات التي يسير بها. وهكذا يمكن أن نستقرأ طبقة أو وجهاً من أوجه الآية القرآنية وليس كل شيء عنها.

والفكرة بشكل عام: هو أن يتقدم بفهم الآية وأي فهم لأي آية ليس فهماً نهائياً لها.

لذا؛ نرى عند المفسرين الكبار كالرازي أن يقول مسألة ومسألة... في تفسير آية معينة وهي عبارة حاذقة أكثر من عبارة قيل: كذا، وقيل: كذا. المهم: أن نستنطق الآية وندعها هي تتكلم؛ لأنها هي مصدر المعلومة.

ولا بد من أدوات لفهم أي آيةٍ، وهذا يستدعي كماً من المعلومات القرآنية لنفهم معنى الآية، وليس المقصود دائماً أن نعطي جواباً نهائياً لها؛ بل أن نحلل ونفكك الأمر بطرح أسئلة صحيحة بحد أدنى من الذكاء نستطيع أن نلاحظ أن الأمر بدأ يتضح.

والإشكال الكلاسيكي جداً أن نقول: إن المسألة ذات جواب واحد، والمسألة قد يكون لها أجوبة عديدة وكثير من الأبعاد، والغالب أن الإنسان يفتح نقطة واحدة من تفكيره ويبدأ بالبحث عن جواب وحيد لهذه المسألة؛ لذا فإنه لا يدخل ولا يستطيع عبور الموضوع، والله أعلم.

122 ما لا بد منه لفهم القرآن الكريم

قبل كل شيء الاستعانة بالله، ويجب البدء بأي عمل خاصة القرآن الكريم بالفاتحة، لأن العلم هو ذكر، ولا يمكن تحصيل أي علم دون تذكّر، وخير ذكر كلام الله تعالى، والفاتحة أهم شيء وخاصة: «**اِهدنا الصراط المستقيم**». وتقال بصدق ورجاء...

ثم تجرد عن الذات وتبرؤ من الحول والقوة إلى حول الله تعالى وقوته.

ثم لا بد من معرفة: أسباب النزول، الناسخ والمنسوخ، قاموس لمعاني الكلمات، ويمكن أن نجد هذا كله في التفاسير.

والفكرة في التفاسير: أن يكون عملنا مستمراً لتراث، وأن تكون الأفكار الجديدة ليست أفكاراً لا أصل لها؛ بل لها أب وأم وأصول عريقة.

هناك حالة لقراءة القرآن هي الفهم المباشر، مثلاً: (إيمان العجائز)، وهي حالة خاصة، ويجب على كل حال أن يتحقق من المعلومات التي تصله عن هذا الطريق، حتى وإن تأكد من صحتها، فليست القراءة التي تمت هي الأولى والأخيرة، وليس المعنى شيئاً واحداً وينتهي.

123 القدرة على العمل الجماعي

الهدف: معالجة مرضٍ متفشٍّ جداً في مجتمعنا، وهو عدم القدرة على العمل الجماعي، ويكون ذلك:

آ ـ أواني مستطرقة:

* في حال فريق عمل يجب الانتباه جيداً أنه لا يهم أبداً إن حققت أنا هذا الشيء أم غيري. المهم الهدف.

* عدم قصد إظهار التفوق، وأن يحاول أي أحد كسب إعجاب الآخرين؛ لأنه عند ذلك يكون قد سار عكس الاتجاه، ومن حيث لا يدري يتمنى للآخرين ألَّا يعرفوا بل هو؛ وبالتالي يحجب بظلمته الأنوار عن غيره.

عنصر هام في العمل الجماعي: عدم النظر لرأي خاطئ نظرة سخرية وازدراء؛ لأن كل إنسان ممكن أن يقع بنفس الخطأ وما دام العمل كله لله فإن هذا الخطأ هو فائدة للباقين، وللخطأ فوائد منها توجيه أفكار الباقين نحو اتجاه لم يكونوا يعطونه حساباً، وتحريكاً ديناميكياً داخل العمل.

ولا تحصل السخرية إلا في حالة مستويات دنيا؛ أي: إن كانوا لا يُكنون احتراماً لبعضهم.

أما في مستويات عليا فالنتيجة النهائية للخطأ في جلسة جماعية أنها تهيء وتدريب لأنفس هذه المجموعة.

124 علم ومعلومات

هناك معلومات، وهناك علم. حصولك على المعلومات لا يعني أنك عالم، ولا يمكنك أن تكون عالماً بلا معلومات.

العلم الحقيقي: هو كيفية تعاملك مع المعلومات ومستوى نظرتك لهذه المعلومات، وكذلك مستوى فهمك لهذه المعلومات؛ ودليلها قوله تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ﴾ [الأنبياء: 21/ 79].

والشيء الجوهري الذي يجب أن ينطلق منه أي علم هو قوله تعالى:

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: 2/ 31]؛ أي: أعطاه بذور القوانين الأساسية، وهي معلومات تبقى للأجيال التي بعده كل منهم يفهم على مستواه.

إذاً يجب أن لا نخلط بين العلم والمعلومات.

125 عقول وأدمغة متفوقة

كيف يمكن أن نطور عقول وأدمغة متفوقة وكم هي مهمة؛ لأن التركيز على بضعة عقول كافٍ لتغيير معادلات البشرية بأسرها، ومثل هذه العقول ـ بلا شك ـ لا يمكن أن نجدها إلا من خلال القرآن الكريم والذكر والاتصال بالله سبحانه وتعالى. والقرآن هو ترياق العقول وهو خلاصة القول.

وبإذن الله وإرادته عدة عقول جبارة يمكن أن تقلب كل موازين الأمور وحتى البشرية بأسرها.

وما يميز هذه العقول هو القدرة على جمع المعلومات وتحليلها، ثم ربطها مع بعضها، وعموم الناس تكدس معلومات ولا تحللها؛ أي: منهجية تكديسيه. لذلك أحداث وظروف وأمور تحدث أمام الناس لا يعرفون لماذا وكيف حدثت! وهي آفة الفكر الإسلامي الحالي. وهذه المنهجية هي طبقة أدنى في العلم، والطبقة التي بعدها تحليل المعلومات، ثم يأتي بعدها ربط المعلومات المحللة وتركيبها. وهو أمر جداً مهم ونحن بحاجة له، ولا يمكن إلا لعقل مرتب أن يفعل ذلك.

والفكرة باختصار: العقل القوي هو الذي ينظر إلى الحدث ثم يحلله ثم يركبه ويربطه، ثم يقوم بعملية تطهير شاملة وكاملة لكل المعلومات، وطرح كل ما هو غير مجدٍ ونافع، وكأنها جراثيم وخبث وهكذا... حتى النظرة إلى العلم يجب أن تكون تحليل وإعادة تركيب معلومات، وليس فكرة تجميع معلومات وتكديسها وتركها لحين الطلب.

وهذا الشيء من صلب الإسلام، والقرآن الكريم هو الدليل على ذلك وهو دليل قاطع، والذي يطبق هذا الشيء في فهمه للقرآن الكريم يشعر بنبض القرآن وعظمته.

مثال: قصة ألف ليلة وليلة، يقال: إن شهرزاد كانت مريدة عند معروف الكرخي وهي صاحبة فكر ودماغ استطاعت به أن توقف جبار متسلط بالحيلة والذكاء.

126 سر الأرض

ترى أليس هناك حكمة وراء كونه تعالى أراد للإنسان أن يكون خليفة في الأرض؟

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ [البقرة: 2/ 30] ونظرة العلم الحديث عن الأرض مادية جداً. أما في الحقيقة فهناك شيء وراء الأرض في هذا الكون. والآيات القرآنية تشير إلى سماوات وأرض، والفكرة مثل (سموات) مجموعة وعنصر (الأرض). والله سبحانه وتعالى ينبئنا عما يهمنا، والأرض فيها سر إلهي وليست مجرد كتلة من مادة بالمعنى المعاصر (أي جسم ميت)؛ بل فيها سر. وسر هذه الأرض يتركز في نقاط معينة (ويقيناً) منها مكة المكرمة وهذه النقاط ليست بعيدة عن بعضها بعضاً، وهناك شاهد قرآني هو آيات سورة التين: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4-2/ 95].

127 التحقق من عبودية الله سبحانه

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فاطر: 15/ 35].

وكم يحتاج الإنسان إلى جهد وعمل على نفسه حتى يتحقق في ذهنه تماماً أنه عبد.

واستحضار معنى الفقر إلى الله من الأساليب الفعالة في علاج النفس وفهم فكرة الفتنة (أو الذنب)؛ لأن الإنسان يشعر أين هو موجود، ويمكن من خلالها أن يقيم ذاته ونفسه.

لا بد عند الأوراد من استحضار مقولة: **(الفقر إلى الله تعالى)** وهي أساسية من أجل إتقان أي ورد. وكم نحن بحاجة لله سبحانه.

مثلاً: استحضار معنى الذل له سبحانه يجعل في قلوبنا حاجة لأن نقول:

(33 مرة) سبحان الله والحمد لله والله أكبر عقب كل صلاة.

ويجب أن يتحقق دائماً وأبداً وبشكل مستمر أنه: «**ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**»[1]. (ولا حول لي ولا قوة) وهذا أمر يحتاج إلى وقت، وبالوقت نفسه لا يغيب عن قلبه أنه جل جلاله واسع كريم، وأن أي ذكر أو عمل هو أقل القليل.

---

(1) جزء من حديث له أكثر من رواية وبألفاظ متشابه في أكثر من مسند، أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات»، برقم (344)، ونصه: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، **مَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ**، أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

128 الشام ودورها في آخر الزمان[1]

الشام ومسجدها الأموي:

القسم الشرقي من الجامع الأموي (الله أعلم) فيه شيء مميز يختلف عن أول. الأموي حتى إيقاع المكان يختلف في القسم الشرقي، والأرجح أن سيدنا عيسى عليه السلام أيام شبابه كان في دمشق، وربما ساهم في بناء الأموي، وهناك تاريخ سلوقي لبناء البرج الشمالي الشرقي يعادل على التاريخ الميلادي 17 للميلاد، ولعل هذا ما يفسر نزول سيدنا عيسى عند المنارة البيضاء شرقي دمشق[2].

هذا المكان هو مدعاة للتفكير بسِيَر البشرية حتى الملحمة الكبرى، والنبي ﷺ سمى هذه القصة النهائية للبشرية الملحمة الكبرى وتنتهي البشرية.

وكم هو معبر كلام النبي ﷺ عن آخر الزمان وعن مكانة دمشق[3]، وهو ليس مجرد كلام عادي بل هو كلام أنبياء..

الأحاديث النبوية الواردة عن الشام يشعر الإنسان من خلالها أنه عليه الصلاة والسلام مهتم بها وليس شيئاً عابراً، وذلك لأن الأمر مقدر من الله سبحانه.

والحكمة من الإخبار بهذه المغيبات هي أن يعرف الإنسان أهمية الأمور في سلم الأولويات ونظرة الإنسان إلى الحياة. وكم هو واجب علينا أن نقف وندعو لهؤلاء الناس الذين سيجتمعون مع سيدنا عيسى ويواجهون المسيح الدجال، وكم سيواجهون من صعوبات وأهوال.

ودور الإنسان الذي يعيش في الشام أن يرفع من كفاءاته (تفكير ـ رؤية ـ النظر إلى الأمور...) ويطوِّر نفسه بشكل مستمر، وعندما يكون هذا الإنسان في مستوىً لائق يضعه الله سبحانه وتعالى

---

(1) ورد في فضائل الشام أكثر من عشرين حديثاً عن النبي ﷺ، نورد أشهرها الذي أخرجه الترمذي وأحمد في مسنده وغيرهما، ونص حديث أحمد: عن زَيْدَ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ ﷺ نُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرِّقَاعِ إِذْ قَالَ: «طُوبَى لِلشَّامِ». قِيلَ: وَلِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهَا». وهو حديث حسن.

(**نؤلف**: أي نجمع ونكتب ما دُوِّنَ على الرقع من القرآن الكريم).

(2) رأي الأستاذ سليمان من خلال دراسته في علم الآثار.

(3) ورد في فضائل دمشق آخر الزمان أكثر من حديث عن النبي ﷺ، وأشهره ما رواه أبو داود في سننه برقم (4298)، ونصه: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ، إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ، مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ». قال الألباني: حديث صحيح. ورواه أيضاً أحمد في «فضائل الصحابة».

ـ إن شاء ـ في مكانه المناسب. والمسلمون شهداء على الناس؛ لذا على الإنسان الذي يعيش في الشام أن يرفع إمكاناته ويبذل جهوداً على نفسه؛ وبالتالي ينتقل إلى مستوىً أعلى.

وكم هو مستوى راقٍ جداً أن يدعو الإنسان في الأموي إلى هؤلاء الذين سيقومون بهذه الأعمال آخر الزمان، وإن لم نكن منهم؛ وبالتالي يتواصل الناس بدعائهم هذا إلى النبي ﷺ وهذا عمل بالصميم والجوهر، لأنه تواصل مع البشرية كلها التي تنتهي عند هذا الأمر وبالذات قصة أهل الإيمان.

وفكرة الدعاء هنا كمثال يقيس الإنسان عليه توجهاته واهتماماته وأين هي متجهة. وليست الفكرة مسألة اهتمام بأشخاص بل انتماء إلى شيء كوني واهتمام بنظرة الله سبحانه للإنسان وكم هو مخجل أن يكون الإنسان الذي يعيش في الشام غير مبالٍ ولا مهتم بهذه الأحداث الكبرى على مستوى البشرية، وهو سبحانه ناظر إليه، وليس هناك شيء أحب إلى الله تعالى من الدعاء.

129 فاتحة كتاب الله تعالى[1]

الفاتحة هي أول باب من أبواب طلب العلم؛ لما فيها من خير وبركة وخاصة البسملة الشريفة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: 15/ 87].

والمسلمون لكثرة تكرارها جهلوها تماماً. والعجيب أن المسلمين يبحثون عن الأمور الغامضة أو الماورائية ويتركون الفاتحة، والتي لها أسرار عظيمة[1]؛ لما فيها من ملائكة كرام موكلين بها مثل ملائكة (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وهم جدُّ أجلّاء وأصحاب نجدة، والإنسان الذي يجعلها من أوراده يمكن له مع الزمن والإخلاص في ذلك خاصة إن كان في الشام أن يستنجد بملائكة الرحمة، ويحصل له الأمر بإذن الله تعالى.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**طُوبَى لِلشَّامِ**». فَقُلْنَا: لأَيِّ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**لأَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهَا**» [سنن الترمذي: 3889].

---

(1) عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي. فَقَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: اسْتَجِيبُوا لِلهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ؟» ثُمَّ قَالَ لِي: «لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ». ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: «أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟» قَالَ: «الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ».

أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (4474) كتاب تفسير القرآن، باب: ما جاء في فاتحة الكتاب.

130 الزمن في القرآن الكريم

الكلام في القرآن الكريم عن الزمن كأن فيه تداخلاً مع الزمن نفسه:

﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَا﴾ [يس: 36/ 52] قالوا: هي بالزمن الماضي ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ...﴾ [يس: 36/ 26]، وهي إشارة إلى القارئ أن البارحة واليوم وغداً شيء واحد، والله سبحانه وتعالى منزه عن الزمان. والزمان حادث، والزمن من ترتيب الله سبحانه وتعالى؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يستوعب كل شيءٍ بلحظة واحدة؛ أي أن الزمن يجعل تسلسلاً في الأفكار التي تمر على ذهن الإنسان، ولولا الزمن لرأى الإنسان كل شيء دفعة واحدة وبالتالي لا يحتمل عقله. وعند الخروج من عالمنا الحالي إلى عوالم أخرى يتغير الزمن بالنسبة للعوالم الأخرى. مثل عالم الجن وغيرها.

131 الإخلاص لله سبحانه وتعالى

من أصعب الأمور: أن يبذل المرء جهداً خالصاً لله سبحانه، وإخلاص النية هو الأصل؛ بأن يكون الإنسان مع الله بشكل دائم في أي أمر.

ومن الأمور التي تساعد على إخلاص النية لله سبحانه:

* الفقر إلى الله تعالى، ويعني: إقراراً بالعبودية، وهو أمر هام جداً، وأن يقر بفقره وحاجته إلى الله تعالى بصدق. الله سبحانه وتعالى كرَّمَ بني آدم، ويحب لعباده أن يكونوا مكرمين، ونحن فقراء إلى الله جل جلاله وبحاجة إليه.
* الأصل أن يَلمَّ الإنسان شتات نفسه، وأن يصبح في أعماقه كل شيء يقول: (لا إله إلا الله).
* أن يفكر دائماً كيف حُسن النية، والحل لهذا الأمر: أن يعمل هذا الأمر دون أن يسأل أحداً، أو أن يُعْلِم أحداً بذلك، حتى ولا أن يَشعر أن هناك من يصفق له في أعماقه ويمدحه، وهذا يستنزف طاقاته الذهنية، وإنما يعمل لأن الله تعالى يحب عمل الخير. مثلاً: إرضاء الأم. هل يعمل ليرضي أمه أم ليرضي الله تعالى؟ والأصل طبعاً أن يرضي الله سبحانه.
* وأن ينظر إلى أي عمل أنه لوجه الله تعالى، وهو سبحانه إن لم ييسر لي ذلك، فلا يمكن أن يكون هذا الأمر.
* تعظيم الله تعالى في قلبه.

132 الخشية من الله سبحانه

من المهم جداً: أن نُعيد نِسَبَ الإنسان إلى أبعادها الحقيقية ضمن هذا الكون حتى يشعر الإنسان بضآلته، خاصة أمام الله سبحانه وتعالى.

وفكرة الأستاذ سليمان: أن الإنسان ليس هو محور الكون، وأنه سبحانه ليس متفرغاً للإنسان فقط، والقرآن الكريم يوضح هذا الأمر: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: 51/ 56] ولم يقل معهم الملائكة، وبالتالي ربما هناك أشياء وأشياء خلقها الله تعالى ولم يقل عنها؛ لأن فكرة محورية الإنسان في الكون تعطي لنفس الإنسان أهمية كبيرة، وكأنه أصبح المدلل الوحيد، وأنه سبحانه ملزم بإعطائه كل شيء.

يجب على الإنسان أن يطور نفسه بشكل دائم، وأن يضع نفسه بأبعادها الحقيقية ضمن الكون؛ عندها يستشعر صلته بالله سبحانه ويتوجه إليه بفقر وافتقار وشعور بالعجز وانعدام الحول والقوة، وهذا يحتاج إلى نظرة كونية وسَعَة أفق.

ويجب أن يستحضر دائماً معنى العبودية، ثم معنى الألوهية له سبحانه وتعالى.

والألوهية: هي سيطرة مطلقة لله سبحانه. ومعنى (إله): أن إرادته طاغية على كل إرادة أخرى؛ وبالتالي كيف يكون الإنسان مدعياً طاعته وعبوديته له سبحانه، وهو متمسك بإرادته؛ وبالتالي تحدث مواجهة والأمر يصبح مثل إبليس ـ والعياذ بالله منه ـ . علماً أن إرادة إبليس لم تغير أبداً من إرادته سبحانه، وكم هو كريم سبحانه وتعالى حين عَرَّفَنا عن نفسه بأسمائه الحسنى وبصفاته في القرآن الكريم، وخاصة في سورة الحج.

والعمل دائماً هنا أن يصحح الإنسان قناعاته وتصبح في حيز الوجود، وليس فقط مجرد كلام نظري يعود إليه عند الحاجة. وهذا الأمر لا يتم دفعة واحدة بل (درجة درجة).

* والخشية من الله سبحانه أقرب من الخوف.
* والخشوع أقرب إلى الوجل.
* والتقى أقرب إلى الخشية والله أعلم.

وفكرة الصلاة هي تكثيف لامتداد ذكر الله سبحانه، والذي يبدأ منذ الاستيقاظ.

لذا؛ لا يمكن لإنسان غير ذاكر أن يستحضر مباشرة عند تكبيرة الإحرام الخشوع والخشية من الله سبحانه. عند تلك اللحظة إن لم يكن قبلها ذاكراً له جل جلاله.

استحضار مفهوم الخشية الحقيقية لله سبحانه هو أمر صعب، ولكن الناس الذين بدأت الحُجُب تنكشف عنهم يبدؤون بالشعور الحقيقي لخشية الله... وهل هذا أمر سهل؟!.

133 أرقى الدعاء

من أرقى الدعاء وأكثره مكانة هي الآيات الكريمة؛ ومنها يتعلم أدب الدعاء والطلب منه سبحانه مثل قوله تعالى:

1) ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: 21/ 83].

هنا لم يطلب شيئاً؛ بل قال: أنت أرحم الراحمين.

2) ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: 21/ 87].

وهنا كان الطلب اعترافاً بالذنب وتعبيراً عن حال معين.

3) ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص: 38/ 35].

هنا طلب منه سبحانه صريح.

القاسم المشترك لجميع هذه الأدعية: هو عبارة «أنت» وهي إشارة خاصة جداً.

والدعاءُ مُخُّ العبادة، وهو حريٌّ بالتأمل، وفيه تحسين الظن بالله تعالى، ويجب أن يسأل الإنسان ما هو الشيء الذي يريده سبحانه منا؟ وكم يتعلم الإنسان من خلال الدعاء كيف يصحح مسيرة حياته؟.

ومن الأخطاء الشائعة والتي لا ينتبه إليها أحد: أنك حين تطلب شيئاً وكأنه سبحانه لا يعرف شيئاً عن طلبك، وأنت عندما طرقت بابه وفتح لك بدأت تطلعه بطلبك وتثير عواطفه، وكأنك تخاطب إنساناً أمامك، وكأنه سبحانه وتعالى إنسان يحتاج إلى استدرار عواطفه حتى يجيبك ويعطيك... أستغفر الله.. إياك أن تفعل ذلك؛ لأنه سبحانه أدرى وأعلم بحاجتك.

وخلاصة القول: أن يفكر الإنسان بماذا يدعو وليس مباشرة أن يلقي بكل شيء.

وخلاصة تجربة الأستاذ سليمان: كأنه سبحانه لا يحب الضعفاء؛ بل يحب الأقوياء الذين يدعون بكل قوة وثقة بالله سبحانه.

وأخطر شيء في الدعاء ـ أستغفر الله ـ أن يغضب ويأس من الله سبحانه! ولا يعود إلى الله في كل أمر من أموره.

ومن آداب الدعاء: ألَّا يفرض على الله تعالى أمر بل يرجو، وهذا حسن اعتقاد؛ أي أن تغلب إرادته سبحانه إرادتك والعكس خطأ؛ لأن الطلب فيه قبضاً بينما الرجاء فيه بسط.

والفكرة: أن الإنسان يتعلم ويفهم من خلال الدعاء عظمته وصفاته سبحانه لذا يجب أن يطلب بحرارة وقوة.

134 انظر إلى قلبك

الأصل: أن يلتفت الإنسان إلى الشيء المهم وألَّا تتسرب نفسه من خلال الثقوب الصغيرة، وألَّا يلتفت إليها؛ بل يضبط نفسه لحظة الأمر الصغير ثم يخمد هذا الأمر ويتجاوزه بسرعة. وهذا لا يتم إلا بمراقبة الله تعالى، وهو سبحانه لا ينظر إلا إلى القلب.

انظر إلى قلبك.. هل فيه عكر ونكد وسفاسف؟ هل فيه غِلٌّ أو حسد أو صغائر الأمور؟... إن كان كذلك. فكيف يقبل على الله من كان في قلبه مثل هذه الأمور؛ بل يجب أن يكون إقبالاً بهمة وسعي إلى الله سبحانه وتعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦﴾[الانشقاق: 84/ 6].

وأيُّ حادثٍ أو أمرٍ لا يخرج عن إرادة الله، وأي أمر أنتَ فيه، فهو سبحانه يريدك أن تعرف شيئاً أو تفهم شيئاً، وأنه سبحانه أحبّ أن يعلمك وينبهك إلى أمر معين حتى تصل إلى أقصى إمكانياتك.

ومتى مدَّ الله سبحانه أنواره لعبد من عباده فلا بد أن يصل هذا العبد، وبشكل مختصر إلى مراقبته لله سبحانه؛ لذا احرص على البسملة الشريفة في كل أمر، واستحضر معنى الاستخارة، وذلك يعني: أنه لا يكون ما يكون إلا به سبحانه وشهود معه جل جلاله. وعند البسملة استحضر قدرة الله وإرادته وليس قدرة غيره؛ لأن أي أمر لا يحدث إلا بإرادته سبحانه.

وكل قوة للعبد لا تستمد إلا من الله، وأي أمر يُغذَّى ويُقوَّى من الله سبحانه، وكلما احتاج الأمر لقوة ازدادت حاجته إلى الله وتواضع له سبحانه.

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ ﴾ [آل عمران: 3/ 173].

135 الثرثرة الدماغية وعلاجها

الثرثرة الدماغية: هي دليل نفسٍ غير متماسكة؛ لذا يجب أن يولد قناعات، مثلاً: هذه الفكرة التي تعاودني يجب أن أطردها أو أعطيها موعداً. فإن عادت في ذات الموعد فإنها تأتي بشكل ضعيف ثم أضعف ثم أضعف، وهكذا حتى تتلاشى.

كذلك حين يعزم على أمر يجب أن يشحنه بكثير من القناعات وبأقوى ما يمكن من قناعات.

والقاعدة: أن أي أمر تقوم به يجب أن تكون كل طبقات نفسك مقتنعة به حتى تنصهر مع بعضها، وكل الفُتات يتحول إلى شيءٍ واحد.

136 الانزلاق على كلام الله سبحانه

سبب الانزلاق على كلام الله سبحانه هو عدم التركيز... وهناك نواحٍ تقنية عند الأخذ بها تساعد على التركيز:

ـ إن استطاع أن يترك نفسه وينظر إلى الناس نظرة واعية متأملة مثلاً، أو أن يتأمل شيئاً صغيراً جداً، مثل: وردة، دون أن يخرج ذهنه خارج ذاك الموضوع.

ـ مثلاً: كأس شاي أُمسكه أشعر أنه ساخن، هذا شيء حقيقي، وكل نفس الإنسان توافقه؛ لذا يجب أن يقرأ كلام الله سبحانه بنفس الحس تماماً، والمسلمون يعملون هذه التمارين وهم متجهون نحو الحقيقة. مثلاً: التأمل بحرف أو آية بشكل مركز ودون تشنج.

ـ جرب أن تقف في ليلة هواؤها بارد واستشعر ذلك تماماً، وعقلك ونفسك كلاهما موافق، وتيقن أنها حقيقة وليست وهماً. هذا الحسّ نفسه يجب أن تستجمعه عند كلام الله سبحانه وتعالى، وأنه حق. وهذا المستوى هو الحدّ الأدنى الأولي لفهم كلامه سبحانه، فكيف في المستويات العليا.

ـ من الأمور التي تساعد على التركيز:

الصلاة على النبي ﷺ واستشعار الصلة واستحضارها، وقراءة أسماء الله الحسنى.

وسورة لإيلاف قريش، وأهمها: الطلب من الله سبحانه أن يمنَّ علينا بهذا الأمر.

137 من صفات أولي العزم

ـ الكلام الدقيق وبشكل عفوي دون تصنع وتبذل وعدم الكذب على الإطلاق.

ـ أن يحسَّ المرءُ بالشيء الذي يقوله بشكل عام، وأن يشعر بوجل وهيبة، وخاصةً عند لفظ الجلالة، وأن يعمق كلمة (الله أكبر) في الصلاة، وليس إيعازاً فقط.. أستغفر الله..

ـ عدم التسويف، مثلاً: عمل خير؛ عَجِّلْ به. وكان سيدنا محمد ﷺ لا يؤجل عمل يوم إلى الغد.

ـ الصبر «**صبر جميل**». والفكرة: أن أي أمر كان، الله سبحانه أعلم وأدرى مني بهذا الأمر، فإن صبرت وأنا مدرك أنه بإرادة الله سبحانه؛ يصبح لدي ثقة وأفكر كيف أتصرف دون أن أعتبر نفسي ضحية، وإن كان ظاهر الأمر أذى. والصبر هو الصفة الأساسية لأولي العزم أيضاً.

ـ هذه الصفات هي مدد من الله سبحانه وتعالى، فتوجَّه إليه سبحانه بها.

138 الوهن

الوهن: هو أن يغيب عن الإنسان المصدر، وعندما يكون الإنسان مرتاحاً يبدأ بنسيان الله سبحانه وتعالى، إن لم يكن يقارن بين تعبه السابق وحياته الرغيدة.

والعلاج: ألَّا يستكين إلى أي شيء من عالمه، وأن لا يرتاح إلى شيء في هذا العالم، وأن يكون حاله الدائم قوله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الكهف: 18/ 27].

الإشكال: أن يغيب عن الإنسان ألوهية الله سبحانه بصفاته الكاملة وأسمائه؛ مثل اسمه تعالى: «**الصمد**» وهو المصمود إليه عند الحوائج، وأي شيء تحتاج إليه تتوجه إلى الصمد سبحانه، وهو الذي يجب أن نتوجه إليه.

ونقطة الحركة في هذه الفكرة عند الحاجة، والإنسان إن لم يشعل عنده نار الحاجة إلى الله سبحانه وتعالى يستكين إلى الأشياء التي بين يديه، وهنا تبدأ الهشاشة والوهن.

ويجب أن يراجع الإنسان مفهوم: تُرى نحن بحاجة إلى الله في الدنيا أكثر أم في الآخرة؟ مع أن الحياة الدنيا كلها كلحظة في الآخرة.

وإياك عند الحاجة أن ترجح الحاجة الدنيوية على الحاجة الأخروية خاصة في قلبك.

139 إن تأخرت إجابة الدعاء

من حكم تأخير الإجابة أنه سبحانه يحسّن ويعدّل (ويضبط) الدعاء للإنسان؛ وبالتالي يرتقي هذا الإنسان وكأنه سبحانه يدعوه إليه صُعُداً.

لأن الإنسان إن لم يستجب له يُعد تفكيره بطريقة طلبه ودعائه وكيفيته، تُرى ما هو ناقص... وبالتالي ارتقاء وتحسن وصعود إلى الله سبحانه وتعالى.

وتصور العكس: أن دعوة اسْتُجيبت بسرعة وفوراً، تُرى هل يعيد الإنسان الدعوة نفسها ولا يفكر بتحسينها أو تطويرها؟!.

140 الامتحان الإلهي

* الامتحانات التي يمر بها الإنسان هي مَنٌّ من الله سبحانه وتعالى، لكي يعرف نفسه أين هو، وبناءً على موقفه من الامتحان وردة فعله ينقله سبحانه إلى امتحان آخر.. وهكذا. والهدف النهائي هو: أن يخرج الإنسان المسلم وهو متحقق من صفاته جل جلاله كلها، ومتيقن منها كلها: بدءاً من (لا إله إلا الله)، ثم (لا إله إلا الرحمن)، ثم.... حتى تنتهي إلى كل صفاته سبحانه وتعالى.

* وفكرة الأوراد أنها تختصر طريق الامتحان؛ لأن التحقق من صفاته سبحانه يكون عن طريقها.

141 القراءة السريعة

أساس القراءة السريعة: هو أن تمر عين الإنسان على الكلمة مباشرة إلى العقل، دون أن ينطق بها بداخله، أي مباشرة من العين إلى العقل دون الحاجة إلى الكلام الداخلي.

وهي مرحلة أولى، ثم بعدها يمكن قراءة سطر مباشرة، ثم قراءة صفحة كاملة، ثم صفحتين، ثم...

ثم قراءة مراجع بكاملها، وذلك أولاً وضع نقاطاً عند الأفكار الهامة، ثم مرة ثانية حفظ قراءة هذه النقاط.

ومن المهم: أن يُوَقِّتَ كَمْ من الزمن استغرق قراءة الصفحة مثلاً؟ ويطور نفسه ويتمرن على أن يزيد من سرعته في القراءة.

وكل رجال الأعمال يقومون بدورات خاصة من أجل ذلك.

بالنسبة لقراءة القرآن: يجب أن يتمرن الإنسان بأن يسترجع بشكل سريع كل المعاني حول هذه الآيات التي يقرؤها، وأن يحاول استجماع نفسه بالكلية وأن يكون حاضر الذهن لكلِّ الآيات التي تدور حول الفكرة نفسها، مثلاً:

الآية الكريمة: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه: 14/ 20].

وردت في كلام الله سبحانه وتعالى عبارة (لا إله إلا أنا) 3 مرات، وهذه الفكرة موجودة في التوراة...

﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [يس: 36/ 58] واختزال هذه الآية هي اسمه تعالى السلام جل جلاله وهكذا...

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ...﴾ 142

هناك مسألة: لِمَ يا ترى قال الله سبحانه للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 2/ 30] هنا ثقل الآية. لماذا قال: «في الأرض» أولاً، ثم قال بعدها: «خليفة»؟

والفكرة: أن الأرض موجودة وسيجعل فيها خليفة.

﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ...﴾ فيها؛ أي: في الأرض، وما هو الشيء الذي دلَّ الملائكة أن يقولوا: ﴿مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: 2/ 30] والعبارة العجيبة الأرض.

انظر إلى أحوال الأرض عموماً من كائنات... وغيرها، هل هي مكان ثبات واطمئنان وسعادة... بل فناء وفساد؟

اترك فيها أي شيءٍ لا بد وأن يمرض ويموت وينتهي.

النظر إلى الكون 143

النظرة الشاملة: هي بداية اليقظة وبداية دراسة الأمور بشكل كلي؛ لذا يجب أن ينظر الإنسان إلى الكون بشكل كامل، وخاصة ما يجري على مستوى أمم وشعوب.

ودليل ذلك: أن الله سبحانه وتعالى له الكمال، ولا يمكن أن يبني الكون بشكل عشوائي، كل ما هو موجود فلا بد من حكمة إلهية عظيمة فيه.

يجب على الإنسان أن يأخذ كل الأمور بعين الاعتبار، وأن هناك ناموساً وسراً إلهياً قوياً لكل موجود في هذا الكون.

مثلاً: لماذا الشيطان...؟ وبالتالي يجب أن يأخذ الإنسان كل الاعتبارات ضمن حساباته في نظرته للكون.

والفكرة: أن هناك هرماً له رأسان ملتصقان برأس واحد وله قاعدتان علوية وسفلية.. وهكذا الأمم والشعوب؛ منها الأعلى ومنها الأسفل، وهي تدرج من أعلى عليين إلى أسفل السافلين.

حتى على مستوى الأنفس الإنسانية هناك نفوس.. ونفوس أخرى...

وبداية هذا الطرح هو بداية اليقظة والنظرة الشاملة.

144 علاقة الإنسان بالملائكة

علاقة الإنسان بالملائكة بدأت عند الأمر الإلهي من قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: 2/ 30]

وهذا كلام جدّ، ويجب أن يؤخذ على محمل الجد، وأنه حق منه سبحانه وتعالى.

والأحاديث الواردة على لسان النبي ﷺ حول علاقة الملائكة بالإنسان كثيرة، منها مثلاً: «**حَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ...**»[1].

والخطير: لماذا لا يهتم التعليم الشرعي بهذه المفاهيم؟

والفكرة باختصار: الإنسان جعله الله خليفة في الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وليكون الإنسان خليفة: لا بد له من علاقة وثيقة مع الملائكة.

والملائكة عليهم السلام أصحاب نخوة وشهامة ورجولة، وهناك أشياء تجذبهم وأشياء تنفرهم، وهم مخلوقات متوقدة لهم طبيعة نورانية، وحين يستشعر الإنسان الملائكة أثناء ذكره فإنهم يكونون كأنهم إخوة له في الله.

وكلما ارتقى الإنسان ازدادت العلاقة مع الملائكة إلى درجة أنه إذا قال: يا فلان من الملائكة، لبى نداءه. وكلما ارتقى الإنسان كلما ازداد الصراع مع القوى السفلية؛ وبالتالي بشكل مباشر تتدخل الملائكة بأمر من الله تعالى حتى يتوازن الأمر.

وهم مخلوقات راقية جداً عندهم شهامة وحب مساعدة للإنسان. وحين يعظم الإنسان أي أمر لله تعالى فإنه يدخل في موجتهم في هذا التعظيم، خاصة الغيرية والعمل لوجه الله تعالى.

وبمجرد أن يكون الإنسان ذاكراً لله فإنهم يحضرون ويقيمونَ الإنسان من خلال الذكر الذي يذكره، وكلما طور ذكره وحسنه ازدادت علاقته بهم، مع العلم أنه يجب الانتباه ألَّا يطلب رضاهم بل رضا الله سبحانه وتعالى، وإن رأوا إنساناً يطلب رضاهم فإنهم ينظرون إليه نظرة جداً سيئة؛ لأنهم عليهم السلام لا يطلبون إلَّا رضا الله سبحانه وتعالى.

---

(1) جزء من حديث أورده معظم الرواة، وفي صحيح مسلم برقم (2700)، ما نصه: عن أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ **إِلَّا حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ**، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

ويجب على الإنسان عند ذكره أن يستجمع كل أحوال نفسه مثلاً: (رضا، فرح، تضجر، كسل، ...) كلها أحوال وأجزاء من نفس الإنسان يجب عند الذكر أن يستجمع كل نفسه، وألَّا يكون مشتتاً كل جزء في جهة؛ بل يستحضر جميع أجزائه ونفسه ويوجهها لتعظيم الله تعالى، والشوق له جل جلاله، وكل شيء في قلبه غير الله سبحانه ثانوي، عندها يكون قد اقترب من أحوال ذكرهم لله سبحانه..

ونفس الإنسان وسماحة قلبه وكرم خلقه كلّه جاذب جداً للملائكة، أي: كل شيء فيه خُلُق راقٍ محبب لهم، وعكسه منفر. ومن الأشياء التي يمقتونها: هي إفشاء الأسرار والالتفات إلى طلب رضا الأدنى.

وأكثر ما يحبونه في الإنسان: الغيرية، وعكسها الأنانية وصغر العقل. وشيء مزعج جداً لهم عليهم السلام: الكلام الذي لا معنى له فكيف الكلام الفاحش.

أهم شيء في علاقة الإنسان بالملائكة أن يكون مؤدباً؛ وخاصة في خلوته، وأن يستبعد كل شيء فيه فساد للمادة ومُنَفِّرٌ للملائكة، خاصة مواضيع الطهارة. ويجب الانتباه أن يبقى الإنسان طبيعياً تماماً دون أن يؤثر تفكيره بهم بأي علاقة في حياته اليومية.

سؤال: ما هو أهم شيء بالنسبة لي؟! 145

والجواب كان: هو الله سبحانه وتعالى.

حين يكون الإنسان صادقاً ويكون الله سبحانه وتعالى محور اهتمامه، ويسأل نفسه دائماً: أيهما أكثر اهتماماً أمور الحياة اليومية أم الله سبحانه؟ وما هو الشيء المثير للاهتمام أكثر بكثير من أي شيء غيره في حياتي؟ أليس الله جل جلاله هو وحده؟ حريٌّ بي أن يكون سبحانه محور اهتمامي.

أليس الله سبحانه أهم شيء مثير للاهتمام بتجليّات خَلْقِهِ؟ وعندما يكون الإنسان متوجهاً له سبحانه هكذا فإن قوقعة الدماغ التي تحصر كل الإمكانيات تتفجر، وعندها يتراءى للإنسان جانب من سر الخلق وسر سر الخلق، ويرى مشيئته سبحانه في هذا الخلق.

والخلاصة: أن الإنسان إن ارتفع مستوى اهتمامه بالله سبحانه فكل شيء فيه يتغير ويرتقي.

146 فتن آخر الزمان

فتن آخر الزمان هي محن للبشرية جمعاء وليس لمجموعة بشرية محددة، مثل: محنة الدجال ويأجوج ومأجوج.... وأهم العبر منها: هي أن الناس الجيدين هم الذين يُعذَّبون ويتحملون المشاقَّ والتعب، على عكس الذين هم من الدَّرْك السفلي؛ كم هم منعمون. والسمة الأساسية لأهل آخر الزمان هي الصبر، وهم الصابرون وأهل الصبر.

وفكرة الحياة الدنيا كلها فرز للأنفس خلال رحلتها على الأرض، ولم يسبق للبشرية أن كانت كثيرة العدد مثل هذه الأيام؛ لذا الفتن حتى آخر الزمان هي بازدياد، وذلك حتى يتم فرز الأنفس، والملاحظ: أن الناس كلما اقتربوا من آخر الزمان كان الذين يعبدون الله سبحانه لأجل تسيير أمورهم الدنيوية هم أكثر، وتصبح أغراضهم الدنيوية أهم من عبادة الله سبحانه بالنسبة لهم.

وهنا التساؤل من الإنسان: (يا رب لماذا هذه المحن؟) والحجة على العبد: أن الله سبحانه كأنه يسأل العبد هل تعبدني من أجل أمورك الدنيوية؟ وقصة سيدنا موسى واعتراضه على سيدنا الخضر من أهم العبر التي يستخلصها الإنسان من سورة الكهف؛ لذا نفهم لماذا كانت هذه السورة هي سورة آخر الزمان وما جاء لقارئها من عصمة للدجال.

147 عقل متطور

يجب أن يتعامل الإنسان مع نفسه بصدق ويتعرف عليها، ليس فقط حين يكون لوحده؛ بل يجب أن ينظر إلى نفسه من خلال تعامله مع الآخرين، وعندها يجد أن تقييمه لنفسه وما فيها قد يكون من خلال القناعات التي اكتسبها وهو في سن المراهقة، أو قبل ذلك عندما بدأ يشعر باستقلاليةٍ لشخصيته، وكم يجد ضمن هذه القناعات قناعات جداً صغيرة وتافهة، والإنسان على العموم في مجتمعنا يدخل إلى تفكيره أشياء كثيرة لا أصل لها، أو قد مرَّ عليها الزمان وأصبحت غير مقبولة للآخرين.

من المهم أن يعود الإنسان كل مرة إلى برنامج عقله ويراجعه وينظر ما هو المهم وغير المهم، والأصل أن يراجع أساس هذه المعلومات وهذا دليل عقل متطور.

لذلك يجب إعادة النظر بالبرامج الجاهزة التي يتعامل عقله معها دون تفكير بها. يجب على الإنسان مراجعتها والنظر إلى الأشياء المهمة فقط؛ لأن أي فكرة لا بد أن تأخذ حيزاً من الدماغ.

148 التركيز

من أهم قواعد التفكير السليم وليس العامي الشائع: هي المقدرة على التركيز وعدم القفز؛ لأن القفز والسرعة في التفكير بحيث تمر أشياء كثيرة دون أن ينتبه لها القارئ هي من أصول تفكير العوام.

وأساس أي عمل علمي: هو أن يركز الإنسان، والتركيز يحتاج إلى تسلسل منطقي؛ بحيث تشدّ كل فكرة بالضرورة التي بعدها؛ لذا عند قراءة القرآن الكريم يجب أولاً: عدم القفز، وعدم إهمال أي معلومة، وكم يعطي هذا الشيء لقارئ القرآن مَلَكات متطورة.

149 المنغصات أو التشويش

من الأمور التي تغيب عن الذهن أن المنغصات أو التشويش التي نلقاها في حياتنا اليومية تحدث ضمن الإرادة الإلهية، ولا يمكن أن يتم أي أمر إلا بإذنه سبحانه.

وإن حدث الأمر فلا بد أن وراءه حكمة؛ لأنه سبحانه محيط وبصير، والأصل أنه امتحان، وأنه سبحانه سوف يرى كيف يكون الإنسان ناجحاً أم لا؛ لذا يجب على الإنسان أن يبقى محافظاً على توازنه مهما كانت الأحوال.

والأصل: ألَّا يقع الإنسان بالفخ؛ لأن المنغصات والتشويش دائماً للفت الإنسان عن الله سبحانه. والإنسان إن انتبه يكون قد مَرَّ بالامتحان الذي يعلم به سبحانه، وجل جلاله سوف يرى، وأي شيء إن لم يكن مطابقاً لإرادته سبحانه لن يتم مهما حاول الإنسان.

والفكرة: أن الله سبحانه أعلم فالأحداث تتسارع والآتي والله أعلم ليس سهلاً، وهذه المنغصات والتشويش بازدياد مضطرد، فإن اعتبر الإنسان من الحوادث التي تحصل معه وذكر الله وتمالك نفسه، عندها إن أتى شيء أقوى يكون الإنسان متمرناً وعنده استعداد لأمور أكبر وأعظم، والإنسان يتعلم وكل شيء لا بد وأن يتم ضمن إرادة الله سبحانه وتعالى.

وبالإجمال: الأمور المنغصة والتشويش شيء إيجابي؛ لأنها تهيئ الإنسان إلى أمور أعظم، ومن خلالها يقارن الإنسان بين طموحاته في الآخرة وامتحاناته الصغيرة في هذه الدنيا العابرة، وعندها يُقَيِّمُ نفسه ويراها بصدق.

150 أدب النظر إلى الناس الآخرين

النظر إلى الناس الآخرين يحتاج إلى أدب مع الله سبحانه، لأنه هو جل جلاله الحَكَم وليس الناظر.

وعندما يكون النظر ليعتبر الإنسان وليس لينتقد عندها تزداد سعة أفقه؛ لأن تجربة الآخرين تعطيه أبعاداً أكثر، وعندما ينظر أحدنا بعمق للناس يفهم أكثر أن الظواهر جداً خادعة، وهذا يحتاج إلى قَدْرٍ كبير من التّجرّد، وأهم شيء في هذا الأمر ألّا يقارن نفسه بالناس الآخرين حين ينظر إليهم ليتميز عنهم، وهذا المستوى أولي.

أما إن كان مسؤولاً عن أناس أكثر ويتعامل معهم بشكل مباشر أو غير مباشر، عندها النظر إلى الناس شيءٌ مهم وكأنهم رعاياه، وهي من ضرورة الأمر وليس تميزاً؛ بل هي مثل وظيفة موكلة إليه وهو مسؤول عن رعية معينة، وهذا يحتاج إلى تجرد تام وغيرية وحب مساعدة الآخرين، وهذا الأمر يحصل بالتدرج ويجب أن يتمرن على أن ينظر إلى الناس بعين الرأفة والرحمة وكأنه ينظر إلى الأطفال والمراهقين، وليس إلى أناس من أقرانه وبعمره، وهذا مستوىً ثانٍ.

أما المستوى الأعلى للنظر إلى الناس فيكون، وكأن الناظر ينظر من عالم البرزخ، ثم عاد إلى الدنيا ويقدر خطورة الذنوب وتَبِعاتها، وبحول الله تعالى وقوته يقوم بفرض كفائي ليسقط عن المسلمين الإثم، وعمله الاستغفار للمسلمين والمسلمات، وعمله ليس تميزاً بل لإدراكه الحاجة إلى هذا الأمر، وكم هناك أناس معلقون برقبته، وكلما ارتقى الإنسان في هذا المستوى اقترب من درجة الأولياء، ثم الأوتاد، ثم القطب، ودليلها: أن حملة عرش الله سبحانه عملهم التسبيح لله والاستغفار لمن اتبع سبيل الله في الأرض، كما قال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ [غافر: 40/ 7].

151 اللحظات الصعبة

يجب في اللحظات الصعبة عدم الاعتراض على أمر الله، وهو أهم شيء.

والسؤال: أليس قادراً جل جلاله أن يخلق مخلوقات لا تعترض؟

من كرم الله سبحانه وتعالى أن أعطى الإنسان القدرة على المحاكمة وحرية الاختيار؛ وذلك ليكون سبباً للأجر والثواب وكم هو كريم سبحانه، لذا على الإنسان أن يشهد أنه تعالى حَكَمٌ عَدْلٌ «**عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ**»[1].

يجب أن يشهد الإنسان في كل حال عَدْلَ وحِكْمَةَ ربِّ العالمين، حتى في أحْلَكِ اللحظات، وهذا شيءٌ هام.

والفكرة مثل فرق الكمون؛ لأن الحياة دون امتحان تصبح خاملة، ولا بد أن هناك حكمة من كل شيء والأمر كله لله؛ ودليله: أن سيدنا موسى عليه السلام كيف خوطب بلهجة ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: 20/ 40].

والله سبحانه وتعالى أصلاً حريٌّ بالحمد والشكر، فهو جل جلاله حَكَمٌ وَعَدْلٌ و.. و.. و.. أسماؤه الحسنى كلها حقّ، وإن لم أرَ أو ألمس ذلك في حياتي اليومية.

152 القرآن الكريم هو المعجزة

المعجزة للأمم السابقة تكون على يد أنبياء وتعتبر مستوى ومرحلة طفولة من مراحل تطور البشرية.

بينما المعجزة في الأمة الإسلامية موجودة بين أيديهم وبإمكانهم أن يروها متى شاؤوا وهي كلام الله سبحانه وتعالى، وكم هي نظرة راقية وعالية من الله سبحانه إلى البشر هذه الأيام أن هذه المعجزة جعلها سبحانه وتعالى بين أيديهم يرونها، ويطلعون عليها متى شاؤوا.

---

(1) الحديث في عدة من مصادر من كتب الإسناد والتخريج، ففي مسند أحمد برقم (3713): قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، **عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ**، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا»، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا». قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

153 لِمَنْ لَبِسَ ثوبَ الدَّعوةِ إلى اللّه سبحانه

يجب أن يطرح المسلم دائماً على نفسه سؤال: أنا ماذا أعمل لله تعالى؟ وهو محاسب على كل عمل من أعماله وهي ليست لغيره، وهذا بشكل عام.

أما الذين أتيح لهم العمل في مجال الدعوة إلى الله سبحانه فيجب الانتباه أن الناس الذين تُتاح لهم الظروف أن يطَّلعوا في سن مبكرة على علوم الشريعة، فيتولد عندهم نوع من التكبر على غيرهم؛ وذلك لأنهم يقارنون أنفسهم بمن حولهم وهم متفوقون عليهم في هذا المجال، ويستمر هذا الحال معهم حتى يثبت في تفكيرهم ويشعرون بالتميّز عن غيرهم. وهذا من أخطر الأخطاء التي يقع بها الداعية إلى الله سبحانه.

يجب على الداعية ألَّا يبقى على حال معينة من الدعوة، وأن يستمر عليها، فيصبح من ثوابت تفكيره؛ لأن متغيرات الحياة تفرض أسلوباً مناسباً لكلِّ وقتٍ ولكلِّ نوعيةٍ من الناس.

وكلٌّ من لبس ثوب الدعوة يجب أن يكون شعاره: حرص نبينا عليه الصلاة والسلام في حياته على أمته، لا على نفسه وحتى يوم الحساب. يقول عليه الصلاة والسلام: «**أمتي أمتي**»[1].

154 النقاش الهادف

عند النقاش مع شخص أفكاره مخالفة لأفكارنا؛ أولاً: أن نُريدَ الخير لهذا الشخص، ثم نحاول وضع جسور من نقاط الاتفاق، وعند الاتفاق معه على أفكار جديدة يجب الانتباه ألَّا تكون هذه الأفكار غير مثيرة، ولا تعني له سوى تذكرة لأفكار موجودة عنده أصلاً، أي: يجب خلق فجوة عنده واحتياج، حتى تثبت هذه الأفكار في ذهنه.

أما كيف يمكن تغييرُ أفكارٍ لمجموعة معينة من أشخاص لهم ثوابت فكرية مشتركة وغير صحيحة، فيتم ذلك بعرض أفكار جديدة عليهم وتحبيبهم فيها، وعدم انتقاد أي فكرة من أفكارهم، وتركهم لأنفسهم للمقارنة بينها وبين قناعاتهم، فتراهم يتركون أفكارهم لوحدهم ليذهبوا إلى ما هو جديد بالنسبة لهم.

ومثال ذلك: كمن يبني «فيلا» كبيرة فاخرة جداً ويدعو هذه المجموعة إلى الجلوس فيها، عندها يجد أنهم جميعاً مكثوا فيها ولم يعودوا بحاجة إلى بيوتهم القديمة.

---

(1) أخرجه البخاري برقم: 7510 .

155 معنى القلب

حديث: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلى أَجْسادِكُم، وَلَا إِلى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ»[1].

من الأمور التي تحتاج إلى تطوير في أفهامنا هي معنى القلب وهذه الكلمة (قلب) غير واضحة عند غالب جيلنا المعاصر، وهي عبارة تحتاج إلى مراجعة بشكل دائم، حتى لا نخلط بين قلب الجسد وقلب النفس؛ ولفهم الكلمة نناقشها كالتالي:

قلب ← قالب ← ظاهر ← باطن

الله سبحانه لا ينظر إلينا أثناء الصلاة أو العبادة فحسب؛ بل سبحانه وتعالى دائمُ النظر إلينا، وينظر إلى أعماقنا سبحانه؛ أي إلى قلوبنا، لذا يجب أن يكون قلبنا نظيفاً جداً؛ لأنه مَحَطُّ نظره سبحانه وتعالى.

وهو سبحانه مُقلب القلوب، والحمد لله أن القلوب بين أصبعي الرحمن[2]، وليس القهار؛ لأن صفة الرحمة غالبة عليه سبحانه، فهو الرحمن الرحيم جل وعلا.

156 نظرة للعلوم شاملة كلية وكونية

طبيعة التعليم الحديث هي تقطيع الروابط بين العلوم، وقلة من علماء العالم من يستطيع الربط فيما بين العلوم ولكن بشكل محدود جداً؛ لأن الربط بين علم وآخر أو عدة علوم يحتاج إلى (ميتافيزيق)؛ أي: إلى نظرة من عالم آخر، وهو الموجود في الإسلام وحده.

ويبدأ العلم في الإسلام من كلمة التوحيد حين تقول: (لا إله إلا الله) وتكون ذاكراً له سبحانه وتعالى.

بهذا التوحيد تستحضر معاني بديعة جداً وعندها يبدأ الإنسان يشعر ويتحقق ويدرك سريان إرادة الله تعالى وبديع ترتيبه في كل أمر، وترتقي نظرة الإنسان إلى العالم الذي حوله، ويرى في الأشياء التي حوله أنواراً وترابطاً فيما بينها وليس مادة عمياء، ويستشعر تماماً إرادته سبحانه في كل شيء، ويبدأ بحثه في أي علم من خلال هذه النظرة الشاملة.

---

(1) أخرجه مسلم برقم: 2564، وفي تتمته قال راوي الحديث وهو أبو هريرة رضي الله عنه: وأشار بأصابعه إلى صدره.

(2) روى مسلم برقم: 2654، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»، ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ».

لذلك فإن العارفين المسلمين يرون العلم بشكل كلِّي ومتماسك، هذا العلم يبدأ بنقطة حولها دوائر وغير محصورة، أي مثل نقطة ودائرة، فالنقطة من حيث بداية العلم والدائرة النهائية لا يحيط بها إلا الله سبحانه.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة: 2/ 255].

157 الجدل

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف: 18/ 54].

يجب أن نسأل: لماذا وضعت هذه الآية في سورة الكهف؟ وكلمة «جدلاً» هي محور هذه الآية، والمتكلم هو الله سبحانه وتعالى؛ إذاً يجب أن لا يغيب هذا المعنى عن أي إنسان...

كلام الله سبحانه وتعالى هو الصدق؛ والمعنى الحقيقي للكلمة هو ما أراده الله سبحانه لهذه الكلمة، وليس المعنى العامي لهذه الكلمة، والتعاكس أن الله سبحانه وتعالى صرف في القرآن كل شيء ومع ذلك فالإنسان يجادل.

ويمكن أن نأخذ كلمة جدل في القرآن الكريم ونفهم من خلالها مدلول هذه الكلمة؛ لنجد أن من السمات الأساسية للجدل أن يكون بلا علم، أو يكون قائماً على علم ناقص، خاصة وإن كان الأمرُ المجادلُ فيهِ آتياً من مصدرِ حقٍّ، ويتجلى الجدال وعقمه بشكل واضح عند الإنسان المجادل الذي استأثرت عليه نفسه وحجبته عن الحق وصارت وحدها هي المرجع، وتراه يجادل من منطلقات توافق نفسه فقط ويرفض قبول أي شيء آخر، حتى وإن كانت آيات بينات من كلام الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [البقرة: 2/ 99] وكان قارئها من أعلى المستويات، ترى الإنسان يجادل وكلامه سبحانه وتعالى حق: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ﴾ [الأنفال: 8/ 6] وكم هي خسارة أن يضيع الإنسان على نفسه بعدم قبوله بهذا الحق وهذه البينات.

وأول فائدة يجنيها الإنسان من التجرد عن الجدل: أن تسمح له الفرصة أن ينصت وأن يسمع، وهذا بحد ذاته أكبر فائدة.

والنتيجة: أنَّ كلام الله سبحانه موضع جدل وليس هناك شيء أعظم منه، فكيف بكلام الناس؟! وكم يخسر الإنسان كنوزاً وفوائد كثيرة بسبب جدل عقيم لا فائدة منه.

158 العواطف الإنسانية

كل عواطف الإنسان المتدفقة إن وضعها فقط في أشخاص مهما كانوا فإنها إلى زوال، وكأنها تهدر.

أما إن وضعت هذه العواطف مع الودود جل جلاله فإنه من غراس الجنة، وكم هو ربح وفير للناس.

والأمثل: أن يوجه عواطفه أولاً لله سبحانه، ومنه سبحانه وتعالى إلى الناس بشكل عام، وأن يجمع هذه العواطف ويوجهها عند قوله في التحيات: «**السَّلامُ عَلينا وعَلى عِبادِ الله الصَّالِحين**...».

ومن الامتحانات التي امتحنها سبحانه للعبد: أن جعل فيه دوافع (غرائز) من داخله، ومنها الرغبة في الجنس وغيرها، وتُرى هل يلتفت العبد لهذه الدوافع أم له جل جلاله؟ لذا من أهم الأمور التي يجب أن ننتبه إليها هي الفصل بين الناحية الجسدية والنفسية والناحية العاطفية، ودراسة هذه الدوافع وعلاجها من خلال النظر إليها بقياسها الصحيح وبشكل واقعي، دون المبالغة والالتفات إليها أكثر مما ينبغي.

والفكرة: أن الإنسان بمجرد أن يضع أهدافاً سامية جداً تصبح الأمور الأخرى تافهة وغير مهمة.

159 لمن يعمل الإنسان ويتوجه بالعبادة؟!

طلب المصلحة الأخروية أصل العبادة، وهو أهم شيء، والعمل لهذا الأمر يجب أولاً وقبل كل شيء:

أما أن يعمل الإنسان فقط من أجل تيسير عمل دنيوي وما إلى ذلك... فهذه مرتبة ركيكة جداً، ولا بد للإنسان يوماً من الأيام أن يندم لأنه أضاع عمره لعمل من أجل الدنيا.

وشرف عظيم وعز أن يكون بموقف دائم وعبادة دائمة لله سبحانه وتعالى، والإنسان لا شك فقير إلى الله تعالى حتى بجرعة ماء، وهذا الفقر ليس هو نهاية المطاف.

ويتصور أن الإنسان أمضى عمره وعَبَدَ اللهَ من أجل الدنيا فقط، من أجل التوفيق والرزق و...

مع العلم أن هذه المرتبة مقبولة ولكنها ليست نهائية، وهذه العبادة هي عبادة غير ناضجة، عبادة بدائية، ويجب أن يرجح الكفة الأخرى وهي كفة الآخرة أولاً وأخيراً.

وفخ خطير ومن أخطر ما يمكن أن يكون: قلب إنسان ينتظر رصيد عمله وعبادته من خالقه ولسان حاله يقول: عملت وعندي رصيد أعطني حقي (أستغفر الله).

160 الاعتقاد بكلام الله سبحانه

كم يجب أن نبذل جهوداً حتى يصبح اعتقادنا خاصة مع كلامه سبحانه بأن الذي يتكلم هو الله سبحانه وتعالى؛ الذي خلق الملكوت والسموات وكل شيء، وهو سبحانه الذي يتكلم وليس هذا الكلام لغيره، وكم هذا مهم.

الوعي هو عكس الغفلة «...**أن اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ**»[1].

كن واعياً لكل كلمة تقال.

(بسم الله): يجب أن أعي ما أقول.

(أعوذ بالله): أعي ما أقوله والوعي ليس تشنجاً بل بسط.

يجب أن تكون واعياً وباستمرار أن الله سبحانه وتعالى دائماً وأبداً ناظرٌ إلى قلبك ودون أي انقطاع ولا حتى للحظة واحدة.

على الإنسان أن يراجع دائماً ثوابت تفكيره لتكون دائماً نظيفة ويقينية، وأن يستبعد كل فكرة ليست يقينية ويضعها للدراسة حتى تصبح يقيناً، وأن يطلب لهذا الأمر الهداية من الله سبحانه.

ولنتصور أن عقلاً واعياً ومليئاً بالقرآن الكريم، كم هو شيء رائع.....

(1) المسند الموضوعي، موانع إجابة الدعاء، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا **أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ**». قال الألباني: حسن .

161 ليس إسلاماً دون تفكر

الإسلام دون تفكّر لا يمكن أن يسمى إسلاماً حقيقياً، ويبقى مجرد أحكام، لذا يجب التركيز على التفكّر في خلق الله سبحانه والآيات كثيرة التي ذكر فيها التفكر، ومثالها كيف أثنى سبحانه على الذين ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: 3/ 191].

أليس حَرِيّاً بنا:

أن نفكر كم هو شيء عظيم من يقول: (لا إله إلا الله) وكم يجب أن يمرغ وجهه بالتراب منّاً وفضلاً لله سبحانه؛ إذ لولاه عز وجل لما قالها.

أن نفكر كم هي سعادة من يقولها في الآخرة لأنه يرى كم هو عظيم قوله: (لا إله إلا الله). وكم هم تعساء الذين لم يقولوها.

أن نفكر عندما نقول في صلاتنا: (الله أكبر) تُرى أيهما أكبر في قلوبنا: الله سبحانه، أم ما نفكر به؟!

أو عندما نقول: (حسبنا الله لما أهمنا) أيهما أكبر تعظيماً في قلوبنا: الله أم ما أهمنا؟!

وهل يخطر ببالنا أن نفكر حين الطلب منه سبحانه أن تكون حاجتنا تطابق ما نطلبه منه سبحانه وتعالى لأنه سميع مجيب؟

وأن نفكر دائماً أن يعيننا الله سبحانه على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يملأ قلوبنا بعظمته وجلاله سبحانه وأن نكون من الذين قال عنهم سبحانه:

﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: 103/ 1-3].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾ 162

الكمال للقرآن الكريم ولا زيادة ولا نقصان فيه أبداً؛ لذا المعلومة الواردة في القرآن الكريم لها معنى أكيد.

إذاً هناك فكرة: أنه سبحانه أخبرنا أنه أمر الملائكة بالسجود لآدم 7 مرات في الآيات المعروفة كان منها:

4 مرات بصيغة: ﴿قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [البقرة: 2/ 34].

و2 مرة بصيغة: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [الحجر: 15/ 30-31].

1 مرة بصيغة: ﴿قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف: 18/ 50].

معنى ذلك: أن هناك أمراً هاماً في هذه المواضيع؛ ويناقش الأمر كالتالي:

هبْ أنه تعالى لم يخبرنا بهذه المعلومة الرقمية، فقط أعلمنا ذلك دون هذه المعلومة الرقمية. إذاً في الأمر شيء يمكن فهمه بالمناسبات الرقمية؛ وهو خاصة للخواص وخاصة الخواص، والله أعلم.

والإنسان كلما تعمق في هذه المعاني يعرف كم هي حياتنا على هذه الأرض أمر جدي أمام مهمة كبرى، تنتهي هذه المهمة يوم الحساب، وكل ذلك رحمة من الله سبحانه، ولا يعذر الإنسان كونه مغفلاً؛ بل يجب أن يعمل عقله حتى يفهم، وعدم الفهم أمر غير معذور ولا يتسامح به إلا باستثناء من الله سبحانه: الرحمن ولا حل غير ذلك. وإلَّا فالإنسان مكلف، ووجوده له أكبر معنى، وكل لحظة لها حكمة في حياته.

لا بد أن يكون هناك آدم؛ لأنه نظام محكم يجب أن يكتمل بوجود آدم، وليس الموضوع قراراً إلهياً فقط لمجرد القرار فهو سبحانه وتعالى قال في حق نفسه: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 2/ 30].

وكنتيجة إيمانية لذلك: معرفة الإنسان بأنه جزء من نظام كوني وأن هذا الجزء من كُلٍّ متكامل، والصانع سبحانه وتعالى ليس جزءاً من هذا الكل المتكامل، بل هو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: 42/ 11] جل جلاله. والإنسان كلما تعمق في هذا الفهم يرى أن كل آية هي شيء مُرْعِب، ويحسُّ بهول يوم الحساب وكم هو أمر جد.

والهول أنه يشعر بما قد قلناه....

163 مدلول الكلمة

الكلمة ذات مدلول معين؛ مثلاً: أسود تشير إلى شيء، إلى مدلول، وتعطي تصوراً معيناً، فإن قلت لشخصين مختلفين أي كلمة فكل منهما له تصور عن تلك الكلمة قد يختلف عن الآخر، مع أن الكلمة ذاتها وكلاهما تصورا الشيء نفسه، وهذا التصور صحيح لكلٍّ منهما، ولكنه غير مطابق تماماً مع الآخر، والانطباع الذي تتركه الكلمة شيء يختلف من شخص لآخر، وكل شخص عنده تداعيات لكلِّ كلمة مرتبطة جداً بنفسه، وتحرك عند سماعها أشياءَ عميقة وليست ظاهرية فقط، وأخطر شيء في الكلمة هي سلسلة التداعيات التي تثيرها هذه الكلمة.

الخطير في الإعلام المعاصر: إعطاؤه لعبارات معينة تصوراً خاطئاً في الأذهان فتغير مفاهيم الكلمات والعبارات عند عامة الناس، وكل أكاذيب الإعلام تمر عبر هذه القنوات.

والحل الأمثل لكل ذلك: أن يعود الإنسان إلى مدلول الكلمة، كما استعملها وأرادها الله جل جلاله، وقمة هذا الأسلوب هو كلامه سبحانه وتعالى، وأن يربط تداعيات أي كلمة بالفكرة التي أودعها الخالق في تلك الكلمة.

164 طرح الأسئلة

يجب عند طرح سؤال عالٍ وخاصة ميتافيزيقي ألَّا يكون عند السائل موقف مسبق؛ لأنه يحول دون وصول جواب له.

يجب على السائل أن يكون بمنتهى الحياد والطمأنينة ودون إقحام نفسه في الجواب الذي كان يبحث عنه، وحين يكون بمنتهى الموضوعية والحياد عندها يصله الجواب، ويقع في مكانه المناسب.

بينما الموقف المسبق يجعل من الإنسان يقف في انتظار جواب معين ليطابق التصور الذي لديه.

وعموماً حين يريد الإنسان أن يتلقى جواباً على سؤال قد طرحه يجب عليه أن يكون مهيأً له وحاله حال البسط (أي دون تشنج) وبمجرد كونه بحالة قبض لا يصل إليه شيء، ولا يحصل التلقي بوجود عقبات نفسية معينة من مواقف مسبقة أو تأثر من طرف إنسان آخر.

165 خلقكم من نفس واحدة

الأنفس كلها خلقت من نفس واحدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً..﴾ [النساء: 4/ 1].

ومن هذه الأنفس: أنفس الأنبياء ـ عليهم السلام ـ من سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل إلى سيدنا النبي محمد ﷺ، وهذا الأمر مدعاة للتأمل، وكم هو شيء رائع إن فتح الإنسان نفسه على النفس التي خُلِق منها سيدنا النبي، وكم هو شيء رائع أن تجتمع نفوس الناس حول نفسه الشريفة ﷺ لتخلق تيارات قوية من الخير والبركة؛ لأن الأنفس متصلة بشكل ما مع بعضها وتستمد هذا الخير من الذي قال عنه سبحانه وتعالى:

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: 9/ 128] وهذا فيه دعوة لأن يكون الإنسان على اتصال بالأنفس الراقية فيفتح قنوات بينها، وخير الأنفس هي نفس سيدنا النبي ﷺ.

لذلك الإنسان المسلم إن أحسن فكأنما يحسن إلى جانب من نفسه ومن أنفس الآخرين، وإذا أساء فعكس ذلك؛ لأن الأنفس متصلة مع بعضها بشكل أو بآخر.

إذا آذيت نفساً أخرى فكأنك تؤذي جزءاً من نفسك، وكذلك إن أحسنت إليها فكأنك تصلح جزءًا منك. ومن هنا مسؤولية المسلم بالدعوة والإصلاح.

﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 5/ 32].

وهنا تبرز محورية وأهمية الصلاة على النبي لأنها تصلك به عليه الصلاة والسلام، ونفهم الأمر الإلهي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: 33/ 56].

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

166 قوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾

هذه القصة هامة وعجيبة:

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة: 5/ 30].

الفكرة هنا: أن هذه النفس انحنت وبررت هذا التصرف وهو القتل، ومحور القصة هو قياس الأدنى على الأعلى، فقد غاب عن القاتل كرم وعطاء الله سبحانه، وأنه سبحانه مهما أعطى فلا ينفد عطاؤه، وهنا المشكلة وعدم التقدير أنه قاسَ واقعه بكونه كإنسان مخلوق على الخالق جل جلاله، وأنه سوف ينفد عطاءه.

والإنسان إن رُفعت عنه الحُجُب ورأى مثلاً: معنى الكرم الإلهي فإنه يُجذب ولا يستطيع أن يتصور هذا الكرم، وإن لم يكن متمرناً فإنه يذوب في محبة الله تعالى ويغيب.

وكذلك أيضاً: كل صفاته سبحانه، وحتى البسملة الشريفة باستحضار معانيها يوصل إلى السابق، لأن أي أمر لا يتم إلا بإرادته سبحانه، والحمد لله أنه يتم بإرادته، ونرجوه سبحانه أن يكون الأمر إن تم فباسمه تعالى الرحمن الرحيم، وتصور كيف يكون الموقف لو أن الأمر تم باسمه تعالى المنتقم الجبار مثلاً؟!...

وليس الأمر سهلاً أن يرتقي الإنسان في تصوره عن الله سبحانه؛ لذا فالذكر هو شيء هام جداً.

167 المغامرة الكبرى للنفس البشرية

الحياة هي المغامرة الكبرى للنفس البشرية، هذه النفس لا بد لها من مرجع وشيء تتوجه إليه حتى لا تتبعثر وتبقى متماسكة، ولا يتم ذلك إلا بتوجه له سبحانه، والطريق إلى ذلك هو سيدنا النبي ﷺ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: 33/ 56].

والفكرة: أن أرقى نموذج لنفس بشرية هو نفس سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام، وهذه النفس هي منا نحن البشر ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ...﴾ [التوبة: 9/ 128] والاتصال بالنبي هو أمر أسهل من الاتصال بالملائكة وغيرهم؛ لأنه عليه الصلاة والسلام:

﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: 9/ 128].

168 الشريعة والتمسك بالأحكام

فوق الشريعة هناك الحكمة الإلهية والتمسك بالأحكام الشرعية فقط فيه على العموم جانب نفسي، وكأن الشرع أصبح مطيةً للدخول إلى الجنة، وكأنه الطريق الوحيد.

لذا؛ نفس الإنسان لها حظ كبير في التعامل مع أحكام الشريعة، ومثلاً: تتدخل عندما ترتبط أحكام شرعية معينة بذكريات ماضية محببة لهذا الإنسان، أو مثلاً: عند التمسك بأحكام وتبرير ترك أحكام أخرى لها الأهمية نفسها، وهذا دليل على حظ نفس كبير لحكم من الأحكام دون غيره.

والقاعدة: أن الإنسان حين يريد التعرف على أمر ما يجب أن لا يسقط معطياته؛ وخاصة النفسية؛ لأنه بذلك سوف يأخذ منه جزءًا فقط، وليس الكل.

والقاعدة: أن الحقيقة أوسع من الشريعة، ومن أخطر المطبات: أن يعتبر الشريعة هي نهاية المطاف؛ وبالتالي تحجبه عن الحقيقة.

وهذه الفكرة نجدها في سورة الكهف مع سيدنا موسى عليه السلام حين قال معتذراً من معلمه: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: 18/ 73] وهو عليه السلام نفس طيبة، والأحكام الشرعية التي قاس عليها ظاهر الحدث من المصدر نفسه الذي طلب منه ألَّا يعترض: وهو الله سبحانه. ولولا أن الحقيقة أوسع من الشريعة لما قال سيدنا موسى ذلك.

169 مستوى عالٍ في الرخاء والشدة

على الإنسان أن يكون دائماً بمستوى عالٍ لأفكاره وما يجول بخاطره في حال الرخاء وفي حال الشدة، وأن يستبعد أي فكرة تافهة لا معنى لها، حتى إن وضع في مستويات جداً تافهة، ودون المستوى المطلوب يبقى ما بداخله عالياً دون أن يُشعر مَن حوله بشيء، أي: أن يكون ما بداخله دائماً مستوى راقٍ وعالٍ جداً؛ بحيث إن أتيحت له الفرصة أن يُظهر ما بداخله لا يحتاج إلى تكلف من أجل أن يرفع مستواه، ولهذا الأمر يجب أن يضع مثله الأعلى دائماً سيدنا النبي ﷺ والأنبياء عليهم السلام، والصحابة لأنهم حالة قصوى، وأن لا يفرح أو يشعر بتميزه عن الآخرين أبداً إن حقق مستوى ما؛ لأنه بذلك يكون قد فقد كل ما حققه من ذلك المستوى العالي.

المستوى العالي لما يدور في فكر وخاطر الإنسان هو الطريق الموصل لحضور القلب والتوجه إليه سبحانه وتعالى.

170 الصلاة والذكر دون شرود الفِكر أو الذهن

الإنسان في الصلاة يكتشف نفسه، لأن النفس تجري وراء الشيء الذي تهتم به، ولا بد أن جانباً من هذه النفس مهتم بهذا الأمر.

والفكرة: إن لم يجد الإنسان أحداً للكلام معه فإنه يتحدث مع نفسه. والعبرة ليست بالفكرة التي تدور، ولكن بالأحاسيس والمشاعر التي تتولد منها. وليتخلص الإنسان من ذلك يجب أن ينتبه باستمرار إلى صلاته؛ لأنها الامتحان الذي من خلاله يقيم الأفكار التي تدور في ذهنه وخاطره.

ولا يمكن للإنسان أن يقوم بضبط أفكاره بشكل سريع؛ بل تحتاج إلى تحضير وتدريب بشكل متواصل، والعلاج عدة أمور؛ أولاها: أن يفتح قلبه لله سبحانه وتعالى، وأن يسأل: تُرى من هو أعظم في قلبي ذلك الأمر الذي يجول في خاطري أم الله تعالى؟ لأن تعظيم الله سبحانه هو من أهم الأمور، وأن يسأل نفسه بصدق وتوازن عند أية فكرة: ما جدوى هذا النقاش الذي يدور في مخيلتي؟ وما الفائدة منه؟ وعندها يجد أن أكثر ما يدور في خاطره طوال نهاره قد يكون نقاشاً بحد ذاته تافهاً، ولكن ترويح عن النفس، عندها يتجاوزه لأنه أصبح مثل رواسب قديمة.

وعند الذكر وقراءة الأوراد فالأمر يحتاج إلى صدق، وأن يضع حسَّه في الذكر الذي يقوله؛ لأن لحظة الذكر لحظة مكثفة وتحتاج إلى عمل متواصل ليتحقق من ذكره، وكم يحتاج إلى عمل حتى يتحقق من (الله أكبر) وبالحقيقة لا بد للذاكر أن يكون قلبه مع الله طوال نهاره وليس لحظة الذكر.

ويحتاج الذاكر إلى التحصين: وهي أذكار عَلَّمنا إياها النبي ﷺ لا بد منها لكل ذاكر، ويحتاج إلى قناعة من داخل الإنسان نفسه؛ ومثالها: «**ما شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَـمْ يَشَأْ لَـمْ يَكُنْ**». كان سيدنا عبد القادر الجيلاني يكتفي بهذا التحصين؛ لأن الفارق بينه وبين إنسان آخر هو قوة إيمانه بالله سبحانه.

ومن الأمور التي لا بد منها للذاكر: أن يضبط أحواله الجسدية وحركاته.. وتحتاج إلى تمارين معروفة مثل تمارين الاسترخاء، وكم هي مهمة.

والأصل: أن يراجع الإنسان كل هذه الأمور خارج أوقات الصلاة والذكر، وليس عند البدء بها.

171 آلية العلم وطلبه

العلم الحقيقي ليس فقط تجميع معلومات؛ بل هو أن يرفع الإنسان من كفاءاته العقلية، وفيه: حثٌّ للإنسان على مضاعفة جهوده للحفاظ على ملكات عقلية متطورة.

الإنسان يستخدم في حياته اليومية جزءاً ضئيلاً جداً من إمكانياته العقلية الفعلية. وهنا يكمن التخلف؛ لأنه بذلك يقلل باستمرار من مطالبة عقله بأن ينهض ويتحرك طلباً للعلم، وعندها يصبح العقل كأنه محراث أكله الصدأ من قلة الاستخدام.

وعلى العكس: كلما طلب الإنسان العلم الحقيقي أكثر كلما نبع من العقل إمكانيات أكثر.

وآلية العمل لطلب العلم الحقيقي هي:

* مراجعة للمعلومات.
* إكمال ما نقص منها.
* ربطها مع بعضها.
* إيجاد العلاقة فيما بينها (ومثالها قصة سيدنا موسى والخضر).
* التوجه إلى الله سبحانه وتعالى وهذا أهم شيء.

172 نحن الفقراء إلى الله

خطأ شائع بالتفكير ومرض خطير أن يربط هدوء الإنسان وحياته وراحة باله بأشياء دنيوية إن تحققت، يعني ذلك: أنه استغنى ولم يعد بحاجة لشيء؛ وبالتالي ليس لله سبحانه وتعالى في حياته معنى.

والفكرة: طالما تؤمن لي كذا وكذا فسوف أعيش آمناً ومكتفياً. وشيء خطير جداً أن يظن الإنسان أنه إذا تحققت أمور دنياه من رفاهية وبحبوحة في العيش، فإنه سوف يعيش حياة رغيدة وهانئة.

هذا نمط من التفكير غير مقبول في كل مستويات الحياة لأن الإنسان دائماً فقير إلى رحمة الله تعالى، وهو بحاجة إليه سبحانه دائماً وأبداً، وهو أمر يجب أن يكون حاضراً في الذهن دائماً وأبداً:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: 35/ 15].

والأخطر أن يستغني الإنسان عن الله في حياته والعياذ بالله من ذلك:

﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: 7/ 99].

173 الزمن

الزمان يختلف بين عالمنا والعوالم الأخرى ولكلٍّ زمنه الخاص به، وهذا ما لا نفكر به، وعلى العموم فإن العالم الآخر ليس فيه أيام وليالي.

الزمن في عالمنا ملتصق بالمادة وهو أحد تجليات الطاقة وكل شيء، إن توقف في عالمنا فلا يبقى زمن.

وفي عالم الملائكة عليهم السلام الزمن يختلف عما هو عندنا، ليصبح الوقت عندهم أطول من زمن عالمنا.

والقيامة تبدأ بلحظة فناء، ولا يبقى إلا الله سبحانه وتعالى، ثم يبعث الخلق من جديد للحساب، وكل ذلك في يوم واحد، وحَدَث لا يتكرر.

أما في الجنة لا يوجد زمن، ولا يوجد شمس، وهذا دليل أن الجنة شيء آخر، والزمان هناك زمان خلود، وكم هذا شيء رائع.

174 مفهوم سيدنا آدم

آدم إنسان وبالضرورة آدم هو بشر، ولكن بشر ليس بالضرورة آدم من خلال الآيات القرآنية.

البشر: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾ [ص: 38/ 71]، والله أعلم هناك فارق زمني بين خلق بشر من طين ونفخ الروح ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [ص: 38/ 72].

هناك كائن هو بشر خلقه سبحانه وفيه حياة، وأصل تكوينه ترابي مثل مخلوقات الكرة الأرضية. وحين اكتمل وصار باستوائه مهيأً لأن ينفخ فيه من روح الله، نفخ فيه الروح، ولكن قبلها لم يكن مهيئاً لأن يكون أهلاً للنفخة الإلهية ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾.

آيات القرآن الكريم تساعد لفهم هذه الروح، والأمر واضح أن هناك فارقاً بين النفس والروح.

الروح مقترنة بالعلم ولم تذكر إلا مع العلم، وروح القدس أي: سيدنا جبريل عليه السلام مهمته إيصال العلم.

أما النفس فهي التي تُحاسب، وهي التي تُبعث، وهي التي تموت، والله سبحانه يتوفى الأنفس وليس الأرواح.

الفكرة والله أعلم: أنه سبحانه خلق بشر ثم آدم. وآدم هو من نُفخ فيه من روح الله (العلم).

175 الحمد لله فاطر السموات والأرض

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾ [فاطر: 35/ 1] ولا أحد يعرف قيمة فطر السماوات والأرض سوى الله تعالى، وكم تحتاج إلى حمد وبصدق أنه سبحانه فطر السماوات والأرض، ولو لم تكن مفطورة ماذا كان سيحدث، وكم هو شيء مرعب.

والحمد لله هو إدراك بالهيمنة التامة لله سبحانه على كل شيء بثقة وامتنان وإدراك أنه سبحانه أحسن كل شيء خلقه، واعتراف بفضل الله سبحانه، والحمد لله أن سبحانه وتعالى كذلك ـ أي بصفاته ـ.

وكم ارتبط الحمد بالتسبيح والاستغفار كما في:

«**سُبحانَ الله وبحمده سُبحانَ الله العظيم، أسْتَغفر الله**»(1).

وشيء شفاف جداً أن يستطيع الربط بين سبحان الله و.. وبحمده، ويدرك أنه سبحانه وتعالى ليس رفيقي أو ينزل لمستوى أحد من خلقه؛ لذلك اقترن الحمد بالتسبيح ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ...﴾ [الرعد: 13/ 13] وبعد هذه الجولة في ملكوت الله سبحانه يتمم الإنسان قوله أستغفر الله، وكم هي معبرة لأنه سبحانه هو أرفع وأعظم وأكبر وأقدس مما خطر ببالي، وما يتراءى لي وهذا الورد «سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، أستغفر الله» ليس من السهل أن ينتقل الإنسان فيه من حال سبحان الله إلى حال الحمد لله ثم أستغفر الله؛ والمعنى فيه قابل أن يفتح آفاق الإنسان بتصوره عن الله، وأنه سبحانه ليس كمثله شيء.

176 ليس كمثله شيء جل جلاله

في آخر سورة الإسراء: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء: 17/ 111] وكم هي نعمة منه سبحانه أن ليس له ولد وكم هو عظيم أنه جل جلاله ليس كمثله شيء، ولنتصور أن معه ولداً وزوجة، وعندها كيف يتوجه الإنسان في حياته إليه سبحانه. ويصبح الاعتقاد بالله غير واضح وفيه ضياع إذ لمن يتوجه؟

وآخر آية في سورة الإسراء هي تمهيد لسورة الكهف التي تبدأ بي:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١﴾ [الكهف: 18/ 1].

والقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي يرفع من مستوى تفكير الإنسان ونظرته ومعرفته لخالقه سبحانه وتعالى، وكلما عاد إلى هذا الكتاب الذي لا عوج فيه يفهم شيئاً جديداً عن خالقه ومُوجد الكون بأسره، فكم هي نعمة تحتاج منا إلى حمده وشكره سبحانه.

(1) رواه مالك في الموطأ برقم: 387.

177 المسلم الحق

المسلم الحق هو الذي يبقى إيجابياً بَنَّاءً يتخطى كل الصعاب عنده، كرم وطيب نفس ونضج عقل، وهو دائماً إيجابياً مقداماً ذا همة عالية، وحاله الدائم طلب الخير للمسلمين وبصدق، وهذا الشخص دائماً عليه نظرة؛ لأنه من الذين قال عنهم سبحانه:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: 23/ 61] أي: نفس حية وإيجابية دائماً لأنه سبحانه وتعالى يحب صاحب القلب الحي القوي الذي فيه حياة «**المؤمنُ القويُّ خَير وأحبّ إلى الله مِن المؤمنِ الضَّعيفِ**»[1]، ومثاله صحابة سيدنا النبي ﷺ.

وعكسه: اكتفاء وانغلاق ذاتي ومحدودية ونفس شحيحة وقلة همة ونشاط، كما هو غالب حال المسلمين اليوم.

خلاصة القول: المطلوب في المسلم نفسٌ ملؤها الحياة والتفاؤل، وقلب حيٌّ مع الله سبحانه دائماً وأبداً ، والباقي ثانوي، والله أعلم.

178 هل يمكن أن نغير حرفاً واحداً من القرآن الكريم؟

الجواب: لا يمكن مع العلم بذلك.

ويتضح أكثر من خلال التعامل مع الأحرف في فواتح السور مثل: ﴿الٓمٓ ... الٓمٓصٓ ...﴾.

هذه الفواتح دليل على معطيات أبجدية، والأبجدية بحد ذاتها ليست عملاً بشرياً، وفيها إشارة إلى أن هذه الأحرف ذات أهمية خاصة؛ لأن بعضها اعتبر آية، ونحن لا نقف عند معنى الآية.

الآية ليست وحدة تقطيع للقرآن؛ بل هي آية تثير العجب وتتجاوز حدود الفهم، وإلا ليست آية.

والإنسان إن ظن نفسه أنه استوعب آية يكون قد أخطأ؛ لأن الآية هي التي تَستوعب الشخص وليس العكس.

والأحرف النورانية؛ أي فواتح السور فيها آيات، وخالق الكون سبحانه وتعالى استفتح آياته بأحرف، وكم هذا دليل على أهمية هذه الأحرف؛ إذ لا يوجد في كلامه سبحانه شيء لا معنى له؛ وبالتالي يستحيل أن نغير حرفاً من كلام الله سبحانه.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم: ٢٦٦٤.

179 مفهوم الإسلام

يجب الانتباه أن الإسلام للناس كافة، وهو شيء شامل لكل جوانب الحياة وليس أحكاماً فقط، وهو تتمة لكل العلوم السابقة ومنها الهندسة المقدسة، بينما مفهوم الإسلام في عقول الناس مفهوم ضيق ومحدود أشبه ما يكون بكتاب التربية الإسلامية في مدرسة ابتدائية، بينما هو أوسع بكثير، وعكس ذلك تماماً.

والأمة الإسلامية رأس هرم بالنسبة للأمم الأخرى، لأنها الأمة الوحيدة التي تجعل مخافة الله بينها وبين بقية الأمم؛ لذا إن لم يأخذ المسلمون موقعهم بالشكل المناسب كما قال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 3/ 110]. فهناك مسؤولية كبيرة عليهم أمام الله سبحانه يوم الحساب لأنه تعالى جعل الأمة الإسلامية أمة وسطاً بين الأمم الأخرى قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: 2/ 143].

180 إلى محبة الله

دائماً يجب أن يتوجه الإنسان بمشاعر الحب لله سبحانه ﴿...يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ...﴾ [المائدة: 5/ 54] وألَّا تكون عواطفه باردة وفاترة، وتعامله مع الله سبحانه حصراً لتحقيق مصالحه الشخصية، لأننا نتعامل مع الحي جل جلاله الودود الرؤوف وفي ذات الوقت هو الواحد القهار سبحانه يجب أن لا ننسى ذلك وألا يغيب عن أذهاننا، ولهذا الأمر أبواب للدخول على محبة الله موجودة في الدعاء وأولها:

«اللهمَّ أعِني عَلى ذِكْرِك وشُكرِكَ وحُسْنِ عِبادَتِكَ».

خلاصة القول:

التوجه لمحبة الله والنتائج هي منه سبحانه وبكل بساطة:

(اللهم هذا الجهد وعليك التكلان، وهذا الدعاء ومنك الإجابة).

181 الأدب مع الله سبحانه

على الإنسان أن يتأدب معه سبحانه دائماً وأبداً بكلامه وبتصرفاته، والأصل مراقبة الله سبحانه في كل خواطره وأفعاله.

وأن يقول دائماً: «**يا ذا المنّ ولا يُمنّ عليه**». وألَّا يظن الإنسان أنه بجهوده استطاع أن يفعل أي شيء، لأنه لم يفعل شيئاً إلا بقوة من الله سبحانه، وألَّا يطالب الله سبحانه كما يطالب أمثاله من الخلق وحاشاه سبحانه أن نتعامل معه كما نتعامل مع خلقه جل وعلا وهو سبحانه القائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: 35/ 15].

مطبٌ خطيرٌ وفخٌ دارجٌ أنني عملت وأطلب جزاء العمل، كما أطلب من أي إنسان آخر.

والمهم ألَّا تتعامل معه سبحانه وشعورك تجاهه بارد وميت، ولا يوجد أي حس بامتنان وفضل الله عليك، بل يجب عليك أن تتحرك مشاعرك و تتأجج عواطفك؛ لأنه سبحانه خالق هذا الملكوت.

182 المعرفة من مصدر غير المصدر البشري

احتواء الإنسان يجب أن يكون أكبر من دائرة نفسه ويجب أن يفجر دائرة نفسه بدائرة الكون ويعبِّر عنها بـ «لا حول ولا قوة إلا بالله» تبرؤاً من حوله وقوته إلى حول الله تعالى وقوته، وعندها كم هي عظيمة تلك النفس.

لذا: فإن النظر إلى المعرفة من خلال إمكانيات الإنسان توصله إلى حدود دائرة يصعب أن يتجاوزها، فلا بد له من مصدر غير المصدر البشري، وهو المصدر الإلهي؛ أي القرآن الكريم؛ لأن أي مصدر آخر هو من مخلوق.

فكم هي مهمة رؤية أو تصور عن الخالق؛ أي النظر إليه سبحانه ليس من حدود الإنسان نفسه؛ بل من خلال الكون وما عرّفنا به عن نفسه جل جلاله من خلال كلامه، وكم هي نعمة أننا عرفنا أن الله جل جلاله هو في كل وقت وزمان في شوال وفي رمضان... وهو في كل الأوقات نفسه جل جلاله، وكم هي نعمة أن نتوجه إليه سبحانه في كل شيء، وأن أعطانا نعمة الصلة به من خلال الصلاة والحمد لله أن تجربة الصلاة مكررة وليست مرة واحدة فقط، وكم هذا شيء مهم.

183 تحقيق مستوى فكري عالٍ

إن أراد الإنسان أن يرتقي إلى مستوىً عالٍ بفكره ونفسه، يجب أن يجتمع مع أناس ناضجين وغير محدودين؛ لأنه بالتواصل معهم يوقظونه من محدوديته وينظر إلى أية مسألة من خلال وجهة نظر غير محدودة وخارجة عن ذاته المنطوية ضمن حدود نفسه ومعرفته، وتصبح نظرته إلى الأمور وبشكل عام إلى الأعلى ويرى أن ثمة هناك أحسن وأحسن، وعندما يوسع دائرة نفسه فإن الأمور تبدو له بشكل مختلف تماماً ولا يبقى محدوداً، لأن الإنسان كلما اجتمع بأناس محدودين كلما هبط مستواه الفكري والنفسي.

ويبدأ الأمر بأن يتجاوز نفسه، وهذا الأهم، وأن ينظر إلى الأمور من خارج ذاته وهكذا يتجاوز منطقه المحدود وأفقه الضيق، عندها يكون ناضجاً.

والخلاصة: أن الإنسان إن تجرد عن نفسه وانفتحت نفسه على نفوس راقية وعالية، فإنه يتعلم كثيراً ويتغير باتجاه إنسان ناضج، وتصبح نظرته للآخرين فيها كثير من الاحترام والتواضع، وعدم البحث عن عيوبهم وأخطائهم.

ولهذا الأمر لا بد أن يستعين به سبحانه، ويوقن أنه جل جلاله هو المهيمن، وأن يقول: يا رب أنت عليم وأنت مهيمن وأنت الجامع... وأن يستعين به سبحانه لأن يجمعه مع أناس ناضجين.

184 الطاعة والطاعة المطلقة لله سبحانه

الطاعة لله تعالى قد تكون ظاهراً بالعبادات وهذا صحيح، بينما الطاعة المطلقة لله سبحانه هي: أن كل شيء وكل طبقات وخفايا النفس ظاهرها وباطنها، سرها وعلانيتها حتى أثناء النوم، أو الغيبوبة، أو الوعي، أو الانفعال، أو الهدوء؛ فإن هذه النفس كلها طاعة مطلقة لله سبحانه وتعالى.

وهنا ضرورة البسملة «بسم الله الرحمن الرحيم» ومن أحد معانيها: استئذان من صاحب الملك سبحانه وتعالى باستعمال أي أمر، وبما أنني سأفعله فأرجو أن يكون هذا الأمر الحادث مع اسم الرحمن الرحيم.

ثم بعدها الدعاء، وفكرة الدعاء هي فرصة ممنوحة لتصحيح الاعتقاد وللتعرف على الخالق سبحانه الذي نسعى نحو طاعته المطلقة في كل شيء، و«**الدُّعاءُ مُخُّ العِبَادَةِ**»[1] كما في الحديث.

(1) رواه الترمزي برقم: 3371، وهو حديث غريب، ولكن حسن في شواهده.

185 الاستعاذة بالله قاعدة وليست للبركة

يجب أن نعيد مفهوم كلمة أو فكرة الاستعاذة بالله سبحانه؛ لأنها ليست للبركة بل قاعدة وأساس في أي عمل وليست موضوعاً كمالياً.

والقاعدة للبدء في أي عمل: الاستعاذة به سبحانه، لأنه هو سبحانه وحده من يعيذنا من الشيطان الرجيم: ﴿... وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران: 3/ 36].

الإنسان دائماً بحاجة إلى الله سبحانه وتعالى، وهو دائماً في أي لحظة من لحظات حياته، وكل نَفَسٍ من أنفاسه له عدو لدود ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: 35/ 6] لذا فالإنسان بموقف الحاجة لمن بيده منح الاستعاذة بل وكل شيء جل جلاله.

والاستعاذة تحتاج إلى ثقة مطلقة بالله سبحانه أنه هو وحده الذي يمن علينا بالاستعاذة، «**ولَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»[1]، والخطير أن يستغني ولا يمد يده إليه سبحانه في طلبها، ويظن أنه قادر على التغلب على عدوه.

إذا لـم يـكـن عون من الله للفـتـى ... فـأول ما يـجني عليـه اجـتهـاده.

186 العزم والتوكل على الله سبحانه

العزم لفعل أمر من الأمور يحتاج معه إلى توكل حقيقي على الله سبحانه حتى يتم هذا الأمر لابد له من التوكل، ولا يمكن فصل العزم عن التوكل الحقيقي بدليل الآية:

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: 3/ ١٥٩].

والتوكل على الله حق التوكل هو الاعتقاد بأن نتائج أي عمل أو أمر هي بيد الله سبحانه وتعالى، والمطلوب من الإنسان العمل.

التوكل على الله في أي أمر يعمله الإنسان هو تعبير عن موقف، هذا الموقف هو مثل سؤال في امتحان والإجابة هي العمل، أما التوكل على الله حق التوكل فهو موقف الإنسان من النتائج وقبوله لها أو رفضها، ويعبر عنها بنعم أو لا.

والحياة الدنيا كلها امتحان ينتقل الإنسان فيها من سؤال إلى آخر ومن موقف إلى آخر، وفي كل حال عليه العمل مع الاعتقاد أن نتائج العمل هي بيد الله سبحانه، وعندما يكون موقف الإنسان من النتائج هو الرضا والقبول التام، عندها يكون متوكلاً على الله حق التوكل.

(1) صحيح البخاري، رقم: 6502.

187 لمن أراد أن يكون داعية إلى الله سبحانه

* من أراد أن يكون داعية إلى الله سبحانه وتعالى فعليه التحلي بهذه الصفات:

1 ـ الأمور النفسية:

ـ أن تكون مشاعره طيبة وصادقة نحو الطرف الآخر وهي نصف الطريق، وألَّا يشعر أنه أفضل من الطرف الآخر، ويذكر قول سيدنا النبي ﷺ: «**لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى**»[1].

ـ ويجب أن يكون في أعماقه ذليلاً لله سبحانه، وقناعته أن كل شيء بمشيئة الله سبحانه وتعالى، وخاصة قلوب العباد.

ـ أن يحترم أي إنسان ولا يحقر أيّاً كان، وألَّا يفكر أنه أذكى من الطرف الآخر، فإنه يبث موجة تكبّر، يلتقطها الطرف الآخر باللاوعي وتكون سبباً لعدم قبول أفكاره.

ـ يجب أن تكون نفسه متوازنة، وألاّ يأخذه الكبَر والعجب إن حقق أي تقدم مع الآخرين، وشعوره دائماً أنه تحت ألطاف الله تعالى، ونفسه تقول: كلّنا سواء خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ الله، مخلوقون من طين، وهذا شيء هام.

ـ أن يكون ذاكراً لله تعالى حتى تكون له هيبة و احترام عند الطرف الآخر؛ لذا يجب:

أولاً ـ الصلاة على النبي ﷺ؛ ومنها هذه الصيغة:

«اللهم صلِّ على سيدنا محمد صلاةً تفتح لنا بها أبواب الرضا والتيسير، وتغلق بها عنا أبواب الشر والتعسير، وتكون لنا بها ولياً ونصيراً، يا نعم المولى ويا نعم النصير» ثم الأذكار السبعة:

1) استغفار.

2) صلاة على النبي عليه الصلاة والسلام.

3) سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، أستغفر الله.

4) حسبنا الله ونعم الوكيل.

5) سبحان الله، الحمد لله، لا إله إلا الله، الله أكبر (وهو مشرق وسهل وفيه رقي وصعود).

6) لا إله إلا الله الملك الحق المبين.

7) لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(1) أخرجه البخاري برقم: 3395.

2ـ الأمور التقنية:

* يجب على الداعية أن يبني جواً من الثقة بحيث تصبح كلمته مسموعة وهذا لا يكون إلا إن كان طالباً العزة لله سبحانه وتعالى.
* ألَّا يتكلم مع الطرف الآخر إن لم يكن مؤهلاً ومستعداً لذلك.
* أن يعرض الأفكار الجديدة بشكل إيجابي بحيث لا تولد ردة فعل سلبية عند الطرف الآخر لأن أي ردة فعل سلبية تولد مناعة دائمة ضد هذه الأفكار ويصعب بعدها أي تغيير.
* أن يقف عند النقاش مع طرف آخر قبل حد الإشباع، مع ملاحظة أن لكل إنسان مساحة استيعاب معينة.
* أن يشعره أنه ناصحاً وبصدق، وأن يعطيه مجالاً من أجل أن يتكلم؛ حتى يتعرف عليه وعلى قناعاته.
* أن ينصت جيداً لأي كلام يسمعه وربما كلام من شخص عادي جداً يكون مهماً، بينما إنسان آخر مهم قد يكون كلامه عادياً جداً وخطأ، وأن لا يهتم الداعية للشخص الأول ولا يأبه له؛ لأنه إنسان عادي، ويهتم للثاني ويعطي لكلامه الأهمية؛ لأن العبرة ليس بالكلام بل بالشخص نفسه.
* أن يطرح أسئلة للتعرف على القناعات الجديدة للطرف الآخر، وأن يتأكد من الجواب هل هو قناعة أم جواب جاهز؟ أم هو محاولة لإخفاء القناعات الأصلية؟..
* إن نجح في أي أمر من أمور الدعوة إلى الله سبحانه فليعلم أنه وسيلة وأداة مَنَّ بها الله سبحانه على الطرف الآخر.

188 الاستعداد لآخر الزمان

لا بد لآخر الزمان من أمرين:

1) استشعار العبودية والانكسار والذل لله سبحانه وتعالى.

2) العمل لأمة محمد بكل ما يستطيع.

ثم أن يكون:

* دائماً بمستوى عالٍ في أعماقه سراً وعلانية مع الكبير والصغير، أو أي شخص كان لا بد أن يكون في أعماقه دائماً بمستوى عالٍ.

* وأن يعمُر عقله بأمور إيجابية، وأن تكون أوضاعه الداخلية ثابتة ليس فيها صعود وهبوط.

* ويكون دائم الذكر لله سبحانه بحيث يخلق مجالات من الطاقة الإيجابية حوله، وهذه المجالات تؤثر على المجلات الأخرى وتشكل مع الزمن تيارات قوية وإيجابية.

* وأن لا ينطوي بنفسه أبداً، بل أن يعظم الله سبحانه وأسمائه، وأفكاره إيجابية ومصلحة أمة محمد ﷺ والدعاء لها، واستغفار لأمة محمد وعمل وعمل... لأمة محمد دائماً وأبداً.

* وأن يبتعد عن أمور تسخط الله تعالى.

وهذا تهيؤٌ عامٌّ وهذه الأرضية.

189 من ميزات الصلاة على سيدنا النبي ﷺ

وأول طبقة وفائدة في الصلاة على النبي ﷺ: هي الامتثال لأمر الله سبحانه ولرسوله:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: 33/ 56] والأصل في الصلاة على النبي ﷺ: هو التوجه إلى الله سبحانه بعبارة: (**اللَّهُمَّ صَلِّ..**).

وفي الحديث: «**مَنْ صَلَى عَلَيَّ مَرَّةً صَلى اللهُ عَلَيْهِ بِها عَشْراً**»[1] والذي يوصل الصلاة على النبي إليه هو سيدنا جبريل عليه السلام، وليلة الجمعة ويوم الجمعة تصل مباشرة إليه ﷺ.

ثم إن الله سبحانه وتعالى خلقنا من نفسٍ واحدة، والنفوس متصلة بعضها مع الآخر، وكم هو رائع أن تتصل نفوسنا بنفس النبي ﷺ؛ لأن الإنسان يحتاج إلى جهود حتى يصل إلى مراتب عالية، والطريق المختصر لهذه الرحلة هو الصلة بالنبي ﷺ؛ إذ ليس هناك أعظم من نفس النبي، وذلك التحقق الذي كان عنده عليه الصلاة والسلام.

والفكرة: تجربةُ النبيِّ ﷺ تجربةً مختصرةً بالنسبة لنا، والنفس البشرية يجب أن تمر بكل التجارب الممكنة على الأرض، والاتصال بالنبي ﷺ هو اختصار لهذه التجارب.

من ميزات الصلاة على النبي ﷺ أنه قد تظهر في بعض الأذكار تجليات لا يحتملها الشخص إن داوم عليها بشكل دائم. أما الصلاة على النبي ﷺ إن استمر عليها ولو في خلوة فإن الأمور تكون ضمن حدود الأمان والراحة.

(**اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ**).

---

(1) أخرجه مسلم برقم: 384.

190 الحدث الأصغر و الحدث الأكبر

عالم المادة: هو أنواع مختلفة، فهناك إنس وجِنٌّ، وملائكة عليهم السلام.

والمهم: الملائكة الموكلين بالإنسان، ولهم وظائف تجاه البشر.

والملائكة عليهم السلام فيهم قوة حياة وروحانية ومن رؤسائهم سيدنا جبريل عليه السلام ولقبه الروح؛ وهذا دليل أن قمة الملائكة لُقِّبَ بالروح، فيمكن أن نقول: إن الملائكة أكثر ما يمثلهم الروح، وكم هو ملفت للنظر نفخ روح الجنين في بطن أمه.

ومن خلالهم ـ والله أعلم ـ وهو مجرد افتراض هناك... مدد نوراني؛ ولهذا المدد النوراني شروط؛ ومنها: الطهارة؛ لذا لا بد من الوضوء عند الحدث الأصغر.

الفكرة: أنَّ الإنسان عندما يتناول الطعام ويشرب الماء، هذا الماء يحمل السموم، وكل ما يخرج من الإنسان من فضلات ما هي إلا سموم أصلها الأطعمة، والأطعمة من الأرض، والأرض فيها فساد، والله سبحانه وتعالى جعل هناك قِوىً تدفع الضر عن الإنسان، ومثاله: الدعاء الذي ورد عن النبي ﷺ: «**الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي الأَذَى وَعَافَانِي**»[1].

فمثلاً: عندما يطرح الإنسان الفضلات فهو يمثل الحالة السميّة (الضر). وكم هو خطير أن يبقى في جسمه، وكم يحتاج إلى قوىً حياةٍ حتى لا يفسد الإنسان من هذه الفضلات.!

والحدث الأصغر تجسيد لحالة الضر، وعند خروجها هناك نقلات للمادة لا بد بعدها من الوضوء.

كذلك عند الحدث الأكبر (الجنابة) هناك تفاعل معين ينتج عن موجات كهرطيسية، وتُحْدِثُ أشياءَ رهيبة عند الأمور الجنسية. والهنود يعرفون عن هذه الأشياء كثيراً، وتسمى: فلسفة (التناترزم). وتسمى عندهم أيضاً: الثعبان النائم وهو موجود في (الشكرَ): وهي العُقَد الموجودة على عقد العمود الفقري، والعقدة الأخيرة تسمى: السفلى المقدسة، وآخر عقدة هي أعلى الأنف، وتسمى: العين الثالثة، وتطابق الغدة الصنوبرية؛ والتي لا يُعرف عنها إلى الآن أي شيءٍ! وهي بحجم حبة البازلاء الصغيرة، وهذه المراكز كأنها مراكز بث كهرطيسي؛ لذا يجب عندها الاغتسال.

والفكرة: إنه شيء خطير جداً وغير مقبول أبداً أن تمر (24 ساعة) دون أن يغتسل الإنسان بعد الحدث الأكبر؛ لأنه ينقطع شهر قمري كامل عن الملائكة الكرام الذين حوله، ولا أحد ينظر إليه منهم عليهم السلام، إلى أن يعود القمر بعد شهر كامل حيث كان ـ والله أعلم ـ. وهذه مصيبة وخطيرة جداً لمن اعتاد الصلة بالملائكة عليهم السلام.

---

(1) رواه ابن ماجه في سننه، برقم: 301. والنسائي في السنن الكبرى، برقم: 9825.

191 الإبداع قفزة في المجهول

الإبداع: هو قفزة في المجهول، والمبدع: إنسان يصل إلى أفكاره من خلال دخوله إلى المجهول بالحَدْس، ومع أنه قفز في المجهول إلا أنه يصل إلى أفكار إبداعية؛ أي: لم يسبقه إليها غيره، وتصله مباشرة دون المرور عبر التفكير المتسلسل، وهو أسلوب التربية والمَبني على التفكير والاستنتاج خطوة بعد خطوة.

يجب أن يؤسس الإنسان قناعاته على أُسس لا خلاف عليها، ومبنية على الاستنتاج المتسلسل، ولكن هذا لا يمنع أن يقفز في تفكيره خارج قناعاته، ودون المرور بها متجاوزاً هذا التسلسل، وفي حال وصل إلى إبداعٍ ما فهذا لا يعني تغيير ثوابته وقناعاته الأصلية.. ولا يعني أيضاً أن كل ما يصل إليه عند قفزته في المجهول، وكل ما خطر على باله في تلك القفزة هو شيء صحيح وعليه تغيير قناعاته مباشرة على ذلك المجهول؛ بل عليه أن يختار ما يحتاجه وما يناسبه، فمثلا: عندما أريد شراء شيئاً ما، هذا لا يعني أني سأشتري كل شيء.

وهذه الفكرة في تعريف الإبداع ليست للعامة بل لخاصة الخاصة.

192 البداية هي ذاتها النهاية

في العلوم المقدسة البداية هي ذاتها النهاية، والإنسان إن تعمق في أمر ما فإنه يعود إلى بدايته، وحين يصل إلى نهايته يكون قد فهم فهماً نهائياً ولكن في دائرة المعرفة الأولى، إن عاد وتفكر في الأمر نفسه من جديد فقد انتقل إلى دائرة أوسع وأشمل من الأُولى؛ لأن المعطيات قد تغيرت بما علمه من الدائرة الأولى.

وهكذا كلما عاد وبدأ من جديد انتقل إلى دائرة معرفة أوسع، حاملاً معه ما حَصَّلَهُ من دوائر المعرفة التي قبلها.

أما العارفون: فهم عندما يصلون إلى أمر ما في بحثهم فهو بالنسبة لهم مثل نقطة الانطلاق؛ لأنهم يعتبرون أن حُجُباً في النفس قد انجلت؛ لذا وصلت المعرفة إليهم، وكلما انجلت عنهم حُجُب من النفس كلما انتقلوا إلى دائرة معرفة جديدة ودخلوا بشكل أكبر وأوسع في دوائر جديدة للمعرفة.

وعندهم الدخول في المعرفة مثل عملية التقطير وإعادة التقطير، وهو كلام مرهف جداً وميتافيزيقي وعلى أعلى مستوى.

﴿.. تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ..﴾ [البقرة: 2/ 196] **193**

إنه لمن الملفت للنظر أن يبشر النبي ﷺ أن من أصحابه عشرة في الجنة[1].

إن تتبعنا هؤلاء العشرة المبشرين نجد أنهم من السابقين إلى الإسلام وكان لهم الفضل في الصبر مع النبي والاجتماع حوله منذ بداية الدعوة وكأنهم نفس واحدة متفقين تماماً على مبادئ واحدة أخذوها صافية نقية من منبعها الأول وهم مجموعة بشرية كان من بعدهم أمة قوية.

والفكرة أن من خصائص النفوس البشرية أنه سبحانه أودع سِرَ الاجتماع فيها واجتماع الأنفس ضمن مجموعة واحدة عندها رؤية صحيحة فيما بينها لهدف مشترك فإن ذلك يحرك تيار قوياً يجمع حوله أنفساً بشرية أخرى ويوجهها للهدف ذاته وذلك بهمة وقوة اجتماع تلك المجموعة.

القناعة[2] أن أي مجموعة بشرية وليكن عشرة مجتمعون على قلب و احد يحبون الشيء نفسه ويكرهون نفس الشيء، قلب واحد اجتمع على هدف واحد، كلهم يسعون لهذا الهدف تماماً بطريقة تفكير موحدة و كأنهم نفس واحدة، مجموعة ناجحة متفقة على أيديولوجية واحدة لهذا الهدف، وحققت خصائص معينة في أعماقها فإنها تحرك تياراً قوياً لا يلبس إلا ويلتف حوله دوائر جديدة من أنفس بشرية، ثم دوائر أخرى وهكذا حتى تصبح حولها مئات بل وآلاف.

أليست البشرية كلها خلقت من نفس واحدة ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: 4/ 1].

فإن كان هناك إنسان على دراجة من الذكاء متماسك واعي، فعال، قوي، وعنده قدرة على الاتفاق مع الآخرين، إحساسه بالمسؤولية عالي جداً يعرف تماماً ما يجب عليه فعله دون الحاجة لمن يقول له افعل أو لا تفعل هذا الإنسان إن اجتمع منه ثَلَاثَةٌ مثله وهؤلاء الثلاثة اجتمعوا مَعَ سَبْعَةٍ ليكونوا عَشَرَةً كَامِلَةً عندها يمكن أن يكونوا باجتماعهم مثل وفدٍ يتوجه إلى الله سبحانه وبهم قد تتغير الأمور لأن الأمر أولاً وأخيراً هو بيد الله سبحانه ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: 30/ 4].

---

(1) العشرة المبشرون في الجنة: **أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ ، وَطَلْحَةُ، وأبو عُبيدة بن الجراح، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَسَعْدُ ابْنُ مَالِكٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ»**. حسب ما ورد في كتب متون الحديث وسننها، مع اختلاف الصيغة.

(2) وهي قناعة الأستاذ سليمان صاحب هذه الفكرة.

194 صلة ورابطة قوية بين الله سبحانه وتعالى والإنسان

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: 96/ 1-5].

الأمر وثيق بين الله سبحانه وتعالى وهذا الكائن الإنسان، وكم هي علاقةصلة ورابطة قوية بين الإنسان والله سبحانه وتعالى، وكم هناك تكريم وصلة وود وعطاء إلهي، وكم يريد سبحانه للإنسان من خير في هذه الصلة التي تتجلى بما أعطى الله سبحانه الإنسان من علم، فالعلم مرتبط بالله دائماً والعلم المطلق هو الله، والمعلم المطلق هو سبحانه وتعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: 2/ 255]، ولا ننسى أنه سبحانه هو علم الإنسان وهو علم بالقلم وهو الذي قال: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٨٢﴾ [البقرة: 2/ 282] وقال جل وعلا ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥﴾ [الكهف: 18-65].. هذه الآيات عند أخذها بتجرد تعطي صلة قوية جداً بالله سبحانه وترتقي نظرة الإنسان عنه سبحانه لأنه عَلَّمَ الإنسان ما لم يعلم .

صلة ودية بين العبد والرب سبحانه وتعالى شيء مباشر وعميق ومؤثر من خلال ماعلمه سبحانه للإنسان وأحد أبعاد هذا العلم وحقيقته نجدها مثلاً من خلال:

﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤﴾، ﴿نٓ وَالْقَلَمِ﴾، ﴿لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا ...﴾ واستخدام القلم ليس ابتكاراً بشرياً بل ضمن الخطة الإلهية والإلهام الإلهي، ولا يمكن للبشر أن يكتبوا لولا أنه سبحانه علم بالقلم وليس هذا فحسب بل هذه الكتابة نظمها سبحانه بأسطر ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ وسطر أي أن نترك شيئاً منظماً مادياً؛ لذا جاءت (يسطرون) ولم تكن (وما يكتبون).

الكتابة هي ميزة الإنسان عن سائر المخلوقات فهناك أشياء في حياتنا اليومية لها بُعْد ثانٍ في الحقيقة كالكتابة ضمن نظام الأسطر والقلم وهي ترى من جانبين؛ جانب بشري يومي وجانب في الحقيقة. ويساعدنا بالفهم، نون والقلم. والكتابة تحمل أفكار والأفكار موجودة أصلاً في عالم الحقيقة ولكن تجلت في عالمنا بهذا الشكل وليس بالعكس.

حين نريد الكتابة إن تجردنا عن العادة نجد هناك أحرف والكلام من خلال هذه الأحرف يتحول إلى كلمات ثم إلى جمل ثم إلى مواضيع وأفكار، ومن خلال 28 حرفاً نفهم كل كلامنا الذي كان أمراً غير مادي وتحول إلى أمر مادي من خلال هذه الأحرف نطقاً وكتابة وأعلى مثال على ذلك كتاب الله سبحانه وتعالى.

195 رحمته تعالى بمغفرة الذنوب

هناك وحدة زمانية ومكانية للخليقة التي أوجدها الله سبحانه، وأي تغيير في محل يؤثر في المحل الآخر، وأي نقطة تحركت في مكان ما سوف تؤثر على زمان ومكان آخر.

الخليقة بتوازن ودليل التوازن ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [تبارك: 67/ 3] وهناك علاقة بين الجزء والكل وأي تغيير لأي جزء مهما صغر لا بد أن يظهر أثره على باقي الخليقة إما في الحياة الدنيا أو يوم الحساب ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ [الأنبياء: 21/ 47].

مجال موحد للخليقة وكله متصل ويؤثر على بعضه ولا شيء موجود بمكانه صدفة بل ولا وجود لشيء في الخليقة برمتها وجد صدفة.

يقال عن أمر: أنه حدث بالصدفة[1] عندما لا ندرك علاقة سلسلتين من الأحداث مع بعضها البعض والصدفة تتنافى تنافياً تاماً مع المهيمن سبحانه وتعالى ذلك لأن الخلق برمته منضبط ولم يترك له حرية الاختيار لذا فهو غير مكلف أما الإنسان فهو مكلف وترك له حرية الاختيار فهو غير منضبط، كذلك الجن.

أي تصرف للإنسان على الأرض هو تغيير وتبديل لشيء موجود ومنضبط قبل أن يمسه الإنسان، وبعبارة حديثة هو تحول للطاقة من شكل إلى آخر أي أحدث شيء جديداً في كون منضبط.

والفكرة طاقة ذهبت في غير مكانها في الحياة الدنيا يجب أن تعود في الآخرة إلى مكانها ضمن النظام الكلي المنضبط وهذا يحتاج في العالم الآخر إلى طاقة اسمها جهنم.

جهنم ضرورة منطقية وحتمية لتوظيف طاقة في الدنيا وضعت في غير مكانها لتعود إلى مكانها، وطالما أن كل شيء مضبوط بشكل تام عنده سبحانه وتعالى ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن: 72/ 28] عندها نفهم أنه بقدر ما يذهب الإنسان في اتجاه غير سليم في الحياة الدنيا بقدر ما يحتاج إلى طاقة لتصحيح هذا الخلل، ويتم توازن وتصحيح الخطأ وخلل التوازن بما يعادله في الطرف الثاني من نار جهنم والطاقة الموجودة فيها هي توازن و انعكاس لتصحيح ما حدث من خطأ في الحياة الدنيا .

وهنا تصبح فكرة العذاب يوم القيامة ليست اختراعاً، أو كأنه جل وعلا يعتدي علينا ـ معاذ الله ـ بل ضرورة منطقية وتوازن كلي للخليقة لكلٍّ من أساء وأخطأ في تغيير وتبديل أي أمر جعله الخالق سبحانه أصلاً في مكانه المناسب.

---

(1) تعريف الصدفة عند الأستاذ سليمان: هي عبارة اخترعها الإنسان ليعبر فيها عن جهله.

وهنا نفهم أن الذنوب تُحدث خللاً في التوازن الكلي المنضبط، وتعويضه هو رحمته تعالى بمغفرة الذنوب؛ أي: بقدرته تعالى يعيد التوازن بالمغفرة لكلِّ خطأ وإساءة للإنسان على الأرض، والاستغفار جعله سبحانه وتعالى ثمناً لأي خطأ ارتكب في الحياة الدنيا وهو أسهل بكثير من يؤجل إلى الآخرة لأن تعويضه يحتاج إلى طاقة جهنمية .. نعوذ بالله منها.

196 قصة السامري

هناك أمور قد تكون غامضة بالنسبة لنا كمسلمين ولكنها بالنسبة لأهل الكتاب واضحة جداً، وكأنها قصة مختزلة يُخبر بها سبحانه عنهم؛ ومثالها قصة السامري مع سيدنا موسى قال تعالى:

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾ [طه: 20 / 95-98].

هذه القصة غامضة بالنسبة لمن فسر القرآن من المسلمين، ولكنها ـ والله أعلم ـ واضحة بالنسبة لليهود وبني إسرائيل، وخاصة الحاخامات الكبار ويعرفونها تماماً.

قصة السامري والعجل مع سيدنا موسى كأنها قصة مختزلة لتبين لهؤلاء الناس عظمة القرآن، وأنه يكشف حقيقة أمرهم، ويعرف عنهم كل شيء ودليلها قوله تعالى:

﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [الشعراء: 26/ 196-197]؛ لذا نرى أن كثيراً من اليهود الصادقين والباحثين عن الحق، أمثال عبد الله بن سلام[1] يؤمنون بالله تعالى مباشرة وبسرعة عند معرفتهم بالقرآن.

(1) عبد الله بن سلام بن الحارث (أبو يوسف الإسرائيلي) وكنيته: أبو يوسف، من ذُرِّية النبي يوسف من بني إسرائيل، كان يهودياً من يهود بني قينقاع أسلم عند قدوم النبي ﷺ إلى المدينة وأصبح من خواصِّ أصحابه.

197 مفهوم الصبر

تحتاج كلمة «صبر» إلى تطوير في أذهاننا كونه ارتبط بالأذهان دائماً بالمعاناة والألم، وأن نخرج عن المفهوم العام المتعارف عليه ونحن نستهين دائماً في تعميق معنى هذه الكلمة لأن الصبر له أنواع ، فقد أمر سيدنا النبي ﷺ بالصبر أسوة بالرسل أصحاب العزيمة ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 46/ 35].

وطلب المعرفة العليا يحتاج إلى صبر كما قال سيدنا موسى إلى الخضر: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩﴾ [الكهف: 18-69].

وسيدنا يعقوب عليه السلام كان الصبر عنده صبراً جميلاً ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾ [يوسف: 12/ 18].

وأهم معاني الصبر في اسمه تعالى الصبور. (وهو اسم مُلفت جداً للنظر) كونها صفة إلهية، ترى كيف يكون سبحانه وتعالى الصبور، وهل هو يتألم وينزعج...؟! وعلى ما يصبر...؟ سبحانه وتعالى جل وعلا عن كل ذلك، ويفهم معنى الصبر عنده سبحانه مع اتساع عامل الزمن الذي يشمل الزمن كلّه، وكذلك مع النهاية أو الغاية أو الأجل، فهو جل جلاله العالم بالغايات والنهايات و هو صاحب القرار في جميع الآجال!

وهو سبحانه الذي شاء ورتّب أن يكون خلقه على ستة أيام، ليقوده بالنهاية إلى يوم واحد هو يوم القيامة والتفكر في الأمد الشاسع بين الخلق و البعث، وعدم استعجاله سبحانه في شيء، خطوة باتجاه فهم اسمه تعالى الصبور.

وهناك أشياء بديهية كثيرة تحتاج إلى عودة وتفكّر وطلب منه سبحانه: أن يفهمنا إياها ومنها كلمة «صبر».

198 التمسك بالتفاصيل

التمسك بالتفاصيل هي ظاهرة مرضية موجودة عند أغلب الجماعات البشرية وتتجلى بالوقوف عند الأمور الصغيرة والسعي لها وعدم الانتباه للأمور الأساسية والهامة وهناك أنواع وأشكال عديدة لهذه الظاهرة.

عين المسألة: أنه في أي مجموعة بشرية هناك أشخاص عندهم طاقة وقدرة على التصرف وعندهم مبادرة، ليسوا أشخاصاً متفرجين، موقفهم إيجابي وليس سلبياً، بذلوا جهوداً على أنفسهم ليكونوا مثلاً أعلى وقدوة حسنة ويسعون بذلك إلى غيرهم.

هؤلاء الأشخاص يريدون النجاح وإن استطعنا أن ندخل إلى أعماقهم نجد أنهم يريدون أن يغيروا الواقع إلى أفضل وبالنسبة لهم هناك معادلة يجب أن تطبق هي:

إن فعلنا هذه التفاصيل ـ والتي برئيهم هي الأساس في كل شيء ـ عم الخير والسلام أرجاء الأرض، وهي معادلة يسعون إليها دائماً، ولكن هناك حلقة مفقودة عند هؤلاء هي: **الملكات العقلية**.

هم أشخاص عندهم طاقة وبذات الوقت إمكانيات عقلية محدودة .

عندهم طاقة وليس عندهم مؤهلات وملكات عقلية متطورة ليصعدوا فوق أفكار عالمهم المحدود الذي يبعد بضعة سنتيمترات عن أنوفهم.

عندهم ذاكرة قوية وقليل جداً من الذكاء وهناك فرق شاسع بين الذاكرة والذكاء.

المهم أنهم لا يستطيعون الربط بين عدة نقاط من نفس الموضوع وليس لديهم القدرة على استنباط المغزى لأي موضوع يطرح معهم.

ليس عندهم قدرة على إعطاء قرار أو إطار عام لأي عمل يقومون به، بل عملهم أن يطبقوا التفاصيل ظناً منهم أن التفاصيل هي كل شيء.

وأهم أسباب ظاهرة التمسك بالتفاصيل هو غياب الرؤساء والقياديين الذين يتمتعون بذكاء عالي وألمعية متميزة وغياب هؤلاء القياديين فسح المجال للناس البسطاء محدودي التفكير أن يكونوا بموقع القيادة.

ومثالها: شركة عالمية غاب عنها أصحاب الفطنة والذكاء وبقي ذوو الإمكانيات العقلية المحدودة هل يمكن لها النجاح.؟.

199 معرفة الله سبحانه هي أقصر الطرق

الله سبحانه وتعالى عرفنا عن ذاته بالقرآن الكريم وهذه المعرفة هي أقصر طريقٍ للنجاة يوم القيامة.

أكثر سور القرآن الكريم هي تعريف بالخالق جل جلاله بشكل أو بآخر ولا نجد في أي كتاب آخر هذا الوضوح في التعرف على الله سبحانه خالق الكون بأسره.

نقرأ في سورة الحديد قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾

[الحديد: 57/ 4-6].

وكم في هذه الآيات من معلومات قيمة عن الذات الإلهية والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن الإسلام هو النهج الروحي الوحيد الذي يصلح لزمان متسارع مثل زماننا فهو طريق مختصر في معرفة الله سبحانه وهنا نفهم قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: 3/ 19].

200 الناس المحفوفين بالعناية الإلهية لا يتعلقون بغير الله سبحانه

نقطة انطلاق أي شيء هو الله سبحانه، والمدد كله من الله، ونهاية المطاف هو الله.

دائما وأبداً نقطة البداية والنهاية هي منه سبحانه : **(إنا لله وإنا إليه راجعون)**.

هذه النقطة هي الصلة بالله وكل الناس يقولون ذلك ولكن بشكل نظري مثلاً هناك أناس لا يغيبون عن الله بذكرهم الدائم ولكن مفهوم الله في أذهانهم غير متوازن وبدائي لذا ترى صلتهم بالله مزعزعة إن مروا بظروف صعبة وهم قد اعتادوا منه سبحانه لأمورهم التيسير الدائم والتوفيق.

أما الناس المحفوفون بالعناية الإلهية فهم على نفس المستوى أيام التيسير والتوفيق وأيام الصعاب، ومثالها تلك المفارقة أن تؤمر السيدة مريم لكي تأكل أن تهز بجذع النخلة وهي في أحلك الظروف حين قالت: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣﴾ [مريم: 23/ 19] وهي التي من قبل أدهشت سيدنا زكريا كيف يأتيها الرزق:

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٧﴾ [آل عمران: 3/ 37] وهذه المفارقة للنخبة.

وذات المفارقة أن أسري وعرج بسيدنا النبي بالبراق أما عند الهجرة وكم كان معرضاً للخطر كان السفر بشكل عادي.

والعبرة: أن الناس المحفوفين بالعناية الإلهية أيام التيسير والتوفيق وأيام الصعاب في الحالتين لا يتعلقون بسوى الله سبحانه.

201 تأويل الرؤيا

أيُّ قصةٍ مذكورةٍ في القرآن الكريم ليست سرداً لأحداث أو وقائع مثل كتب التاريخ؛ بل هناك حكمة ومقصد إلهي من تلك القصص ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران: 3/ 62] ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: 12/ 3].

هناك موضوع متكامل ذكر مرة واحدة في القرآن الكريم بشكل قصة في سورة يوسف، ومن الأمور الهامة في هذه القصة فكرة الرؤيا ولا بد من حكمة في ذلك.

مثلاً: سيدنا يوسف عليه السلام رأى رؤية قصها على والده سيدنا يعقوب عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف: 12/ 4]، وهي حقيقة ترمز إلى أمه وأباه وأخوته ولم يرَ مباشرة ذلك.

كذلك رؤيا الفتيان في السجن كانت حقيقة ولكن ظهرت بشكل رمزي:

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [يوسف: 12/ 36].

وفي السورة ذاتها رؤية الملك في منامه هي حقيقة ترى للملك بشكل رمزي:

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يوسف: 12/ 43].

هذه العناصر كونها موجودة فهذا يشجع أن ننحو منحى الرمز في فهم تلك السورة.

كذلك فيها فكرة تأويل الرؤيا وهذا ما فعله سيدنا يعقوب عليه السلام من بداية القصة عندما قص سيدنا يوسف عليه رأياه وطلب منه ألا يخبر بها إخوته:

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: 12/ 5]، ثم من بعد كيف فسر سيدنا يوسف رؤيا الفتيين في السجن ورؤيا الملك وأخيراً فسر رؤياه التي رآها لأبيه سيدنا يعقوب:

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: 12/ 100].

202 أي ذرة مادة تسبح بحمد الله

جسد الإنسان هو مادة وهي مصطفاة عبر ملايين السنين وهي ليست كأي مادة أخرى فهناك مواد تدخل هذا الجسد مفيدة وأخرى ضارة، إذاً هناك مواد تدخل يبقى جزء منها والباقي يطرح وهنا سر من أسرار الطاقة وحين انتهاء الحياة تنتهي الطاقة وحياة الإنسان كلها مرتبطة بالطاقة.

ومن أرقى نماذج تحول الطاقة هو جسد الإنسان بما فيه من إرهاف وحساسية وتصل الطاقة بشفافيتها إلى الروح (وهذا يحتاج إلى انتباه شديد).

المادة بكل أشكالها فيها طاقة حياة، وأي ذرة مادة تسبح بحمد الله ولها تسبيحها الخاص بها، ولكن لا نَفْقَهُ تسبيحها. هذا ما يجب أن نعيه وألَّا يغيب عن أذهاننا. سبحانه وتعالى قال ذلك في محكم كتابه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء: 17/ 44].

وبالتالي: المادة التي تصل إلى جسد إنسان هي مادة أوفر حظاً من غيرها، ولكن إن سجدت وركعت ضمن هذا الجسد الإنساني.

كل ذرة في جسد أي كائن لها تسبيحها، وكل إنسان مادة جسده تشكل أمة تسبح خالقها. فكم هي سعادة لهذه المادة أن تكون بانسجام تام مع صاحبها حين تجتمع معه بالصلاة والذكر والطاعة لله سبحانه وتعالى، وعندها كأن الإنسان إمامٌ في صلاة وجسده شعب أو ناس مؤتمون به.

وكم هو ظلم للمادة المكونة لجسد إنسان حين تسير عكس تسبيحها الدائم بكفر صاحبها وجحوده عن الله سبحانه وتعالى؛ لذا كان قتل المسيء والشرير رحمة، لأن المادة تخلصت من نفسه الشريرة، ومثل هذه المادة كطاغية يحكم شعباً وتحرر هذا الشعب من ظلمه.

أي مادة في الكون مؤلفة من ذرات[1]، وكل الكائنات ما هي إلا قنوات تمر عبرها الطاقة ثم تتحول وتتفتت ثم تعاد وهكذا، وكلُّ ما يحدث في الكون ما هو إلا عمليات تحول للطاقة بشكل أو بآخر، وهذا التحول يحتاج إلى زمن.

---

(1) توصل العلماء إلى أن كل شيء في هذا الكون من مواد مكون أساساً من أساس بنائي أولي (Building Blocks) يسمى بالجسيمات الأولية (Elementary Particles)، يربط بين هذه الجسيمات الأولية قوى أولية. ورأي الأستاذ سليمان أن ملائكة موكلين بأي مادة.

المادة في هذا الكون لها وظيفتها وعملها وتعرف أنها ذاهبة إلى مكان شاءه سبحانه وتعالى لها، وكم هو ظلم حين يتدخل إنسان بهذه المادة ويضعها في غير مكانها المناسب. مثلاً: في السرقة والفوضى، أو في مكان كله أذى وضر للآخرين.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: 59/ 6].

203 لا تقنطوا من رحمة الله

أخبرنا سبحانه أن من أسمائه وصفاته: الْغَفَّارُ و الْغَفُورُ و التَّوَّابُ و الْعَفُوُّ.

الْغَفَّارُ سبحانه وتعالى:

وهو القادر على الإحاطة وإيقاف تبعات الأخطاء ونتائج الذنب التي لا تقف عند نقطة محددة واستمرارها على المدى البعيد حتى اللانهاية، ولا أحد يستطيع ذلك إلا الله.

الْغَفُورُ سبحانه وتعالى:

يغفر هذه الذنوب بعد إيقاف تبعاتها وإزالة عواقب تلك الذنوب، وهذه المغفرة هي وداً وحباً ورحمةً منه جل جلاله لعباده ولابد لهذه المغفرة كي تتم من:

التَّوَّابُ أو الْعَفُوُّ:

التَّوَّابُ سبحانه وتعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: 40/ 3].

والتوبة هي مبادرة من الإنسان المذنب وطلب إلى الله سبحانه وتعالى أن يغفر الذنب

الْعَفُوُّ سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: 4/ 99].

والعفو يكون بمحض فضل الله من غير طلب الإنسان، وعفوه سبحانه وتعالى هو المغفرة للإنسان المذنب.

النتيجة: ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: 39/ 53].

كيف لإنسان أن يقنط من رحمة الله سبحانه وهو جل جلاله: غَفَّارٌ غَفُورٌ تَوَّابٌ عَفُوٌّ.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: 39/ 53].

204 لماذا نتوجه إلى غير الله سبحانه؟

﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [الحديد: 57/ 3].

هناك فكرة أساسية مع أسماء الله سبحانه الأربعة: (الأول والآخر والظاهر والباطن).

وهي هامة لضبط العقيدة بحيث توجه تفكير الإنسان بشكل صحيح عند طلبه ودعائه إلى الله سبحانه.

الله سبحانه ﴿...هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣﴾ [البروج: 85/ 13]؛ أيّ شيء يحدث و يظهر ويأخذ معنى له مبدئه هو الله سبحانه.

اسمه تعالى الأول والآخر: الإحاطة التامة بالزمن أي أنه سبحانه وتعالى محيط بالزمان الذي أوجده من البداية.

اسمه تعالى الظاهر والباطن: الإحاطة التامة للجهات أي أنه سبحانه محيط بالمكان الذي من بداية الأمر أوجده، مع العلم واليقين أن الله تعالى منزه عن الزمان والمكان وليس كمثله شيء جل وعلا.

الله تعالى من بداية الخلق والإيجاد عنده إحاطة تامة بالزمان والمكان لذا تتمة الآية ﴿...وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ كم هي بمكانها.

والفكرة: أنه سبحانه هو الأول والآخر والظاهر والباطن ومن بداية الخلق عنده إحاطة تامة بكل طبقات الزمان والمكان وأي إنسان على الأرض هو موجود في زمان ومكان محدد عندها نفهم قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ [الحديد: 57/ 4] فإن كان سبحانه من بداية الخلق حاضر بالزمان والمكان ومعنا حيثما كنا ... فلماذا نتوجه إلى غيره.

205 الأخذ بالأسباب

حتى يصل الإنسان إلى نتائج صحيحة في حياته لا بد أن يسير ضمن السبل التي وضعها الله سبحانه؛ ومنها: الأخذ بالأسباب، ولا يمكن أن يصل إلى نتيجة بغير ذلك.

الله سبحانه وتعالى أعطاك عقلاً يجب استعماله، وليس هناك حركات على البركة لا معنى لها، والأمور لها أسباب وأي خطأ بالأسباب تكون نتيجته، كما حصل في غزوة أحد.

حتى التوكل الصحيح على الله سبحانه إنما يكون مع الأخذ بالأسباب، وبدونه لا يكون التوكل صحيحاً، كما أجاب النبي ﷺ الرجل الذي جاءه وأراد أن يترك ناقته وسأله:

أأعقلها وأتوكل؟ أو أطلقها وأتوكل؟ فقال ﷺ: «**اعقلها وتوكل**» [أخرجه ابن حبان في صحيحه].

و ترك الأخذ بالأسباب خطأ ينبغي الاستغفار منه لما جاء من آيات في ذلك منها:

﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ﴾ [الملك: 67/ 15].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ [النساء: 71/ 4].

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ [الأنفال: 8/ 60].

206 كيف بدأت الحضارة في أوروبا

المسلمون أخذوا القليل عن الحضارات التي قبلهم وأتموها، ثم بنوا منها صرحاً عظيماً، وفي أقلّ من قرن و بعدَ أولى فتوحاتهم، أعطَتِ الحضارة الإسلامية ثِماراً ملموسة وتفوّقت على سائر الحضارات الأخرى المعاصرة لها وهذا لأن هؤلاء المسلمين الذين فتحوا العالم كان في عقولهم القرآن و الحديث.

ما عسى أن تكون عقلية أولئك الفاتحين الذين في عقولهم و قناعاتهم شواهد قرآنية كثيرة تحثُّ على العلم منها قوله تعالى: ﴿... قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ...﴾ [الزمر: ٣٩/ ٩]، أو حديثاً مثل الذي رُوِيَ عن النبي ﷺ عندما سُئِلَ عن العلم؛ إذ قال: «فضلُ العالم على العابد كفضلي على أدناكم» [سنن الترمذي: ٢٦٠٩]. بكلماتٍ كهذه وتأثيرها في عقولهم يمكننا تصور حماس أولئك المسلمين في طلب العلم، بينما حصل العكس تماماً في أوروبا، فقد أخذ الغرب آلاف الكتب الإسلامية وبنوا حضارتهم عليها.

والأمثلة كثيرة؛ منها: تصوّر ابن الشاطر عن المجموعة الشمسية والكون، وكيف سُرقت هذه المعلومة من قِبَلِ «كوبرنيكوس» ونسبها إليه، وذلك في القرن السابع والأمثلة أكثر من أن تحصى في هذا المجال.

هذا قليلٌ وبقي الكثيرُ من أفكار سليمان سامي الجوخدار.

نرجو الله سبحانه أن نتابع ونضعها بين يدي القراء.

والحمد لله رب العالمين.

المحتويات

قصة لقائي الأول مع سليمان سامي الجوخدار . 5
من هو سليمان سامي الجوخدار 7
طريق الملائكة عليهم السلام 13
العبرة في الوعي و الإشكال في الغفلة 15
عبور الحياة الدنيا 16
المجردات والأمور الحسية 19
البحث عن بيت القصيد..... 20
وهو معكم أينما كنتم 21
الحمد لله 21
أرقى حالة لقراءة القرآن 22
المعرفة المقدسة 23
طلب المعرفة المقدسة..... 24
الدخول إلى المعرفة المقدسة..... 25
القرآن الكريم جزء من الحقيقة 26
مفهوم الفرح..... 26
صراط الذين أنعمت عليهم 27
حدوث أمر ما بشكل دائم..... 27
العلم الحقيقي 28
فهم الذكر 28
علم آدم أصل ونهاية العلوم لدى البشر 29
الخروج من نظام إلى نظام آخر..... 29
أتجعل فيها من يفسد فيها 30
كن فيكون 31
نظرة إلى ما قبل بلوغ سن الرشد 31
كلمات من سورة الكهف 32
الحرب النفسية 34
الاستعاذة هي عطاء من الله سبحانه..... 34
تداول العلوم الخاصة عند المسلمين..... 35
الشيخ الناصح المربي..... 36
من مواضع السر في القرآن الكريم 37
التهيؤ الشامل 37
الجسد شيء والنفس شيء آخر 38
مرض الأفكار السلبية..... 38
لا تساهل مع النفس..... 39
لمن أراد أن يسعى إلى العلوم الخاصة 39
طلب علوم الخلافة أو علوم التصريف أو علوم
الخواص 40
الطاعة والعبادة لله لها نمطها الخاص من التفكير . 41
عندما يصبح الإنسان من أهل علوم الخلافة أو
التصريف أو الخواص 42
انظر إلى الأشياء دون العبور من ذاتك 43
ماذا نعمل للأجيال الصاعدة؟..... 43
سؤال: كيف التهيؤ الشامل بشكل مسلكي؟ ... 44
أهمية الذكر وقراءة القرآن والدعاء 44
الدخول في رحاب القرآن الكريم 45
القلب السليم 46
بداية الحكمة 46
عند طرح سؤال..... 47

كيف تكون معرفة النفس؟ 47
سيدنا الخضر 48
عند طرح أفكار ربانية 48
كيف نصل إلى المفاهيم القرآنية ونطبقها 49
الوصول إلى الحقيقة 49
مراقبة النفس 50
الطريق إلى الله 50
أجر الصبر 51
أحوال السالك إلى الله 52
إن واجهت أي مشكلة 53
الأمانة التي حملها الإنسان 54
الداعية إلى الله 55
بين الأداء والخشوع 55
هل أنا مؤمن حقاً 56
الودود هو الله سبحانه 56
منهجية العمل الجماعي 57
الرؤية من خلال شكل بصري 57
الكلام عن شيء خارج عن المألوف 58
لمن يريد أن يذكر الله تعالى؟ 58
السير بالخطى الصحيحة نحو الله سبحانه 59
عليك أن تعرف تماماً ماذا تريد 59
اللانهاية 60
التوجه إلى الكعبة المشرفة شيء مهم 60
لغة الجسد 61
أسماء الله 62
أي فكرة هي موجودة أصلاً 63
لماذا الأبجدية العربية هكذا 63
المسلم لا يمكن أن يتقدم إن أخطأ 64
لا يؤمن أحدكم حتى 64
الإمام في صلاة الجماعة 65
ليست العبادة مقايضة 65
كيف يحاكم الإنسان أموره 66
التفكير الميتافيزيقي 66
طريق مختصر 67
عند طلب العلم لا بد من أسمائه تعالى 68
مفهوم الضرورة 68
الارتقاء إلى المستويات 69
ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء 70
العلم الحقيقي 70
الأقرب إلى النظام الكوني 71
الأبجدية الرقمية 72
مستوى راقٍ من العبادة 72
أهم شيء في الدعوة إلى الله سبحانه 73
بين الظاهر والباطن 74
العلوم التصريفية و فلسفة الحياة 75
الصدق والدقة في الحديث 75
عكس ما يريده الشيطان 76
الفطرة السليمة 76
الناسي ضائع والذاكر ناظر 77
أسرار الأوقات وسر اختيارها للصلاة 77
الدعاء والطلب 78
الرقية هي خاصية كونية 78
المقام لا يطلب 79
الأمور الفقهية 79
الجدل والنقاش 80

اعتبارات لغوية لمن وقف خطيباً 81
مستوى عالي أثناء الصلاة 81
تصور الإنسان عن الله سبحانه وتعالى 82
قراءة الأوراد بشكل حقيقي 83
أحاديث عن الذات الإلهية 83
حول التحضير لليالٍ مهمة مثل ليلة القدر 84
التدين والإيمان 86
أهمية التجربة لفهم القرآن الكريم 87
دعنا نفكر ماذا يريد الله سبحانه منّا 87
ثمرة الدعاء الأعلى والأعظم 88
سؤال وجواب 89
معنى الفن 90
صفات الله سبحانه 91
كم هي نعمة معرفة اسم الله الحقيقي 92
إياك أن تطلب الرضا من غير الله تعالى 93
قوله الحق وله الملك 94
المتع المادية في الجنة 94
امتحان الصعاب والأزمات 95
ما أحوج الإنسان إلى البصيرة 95
العاطفة والصلة بالنبي ﷺ 96
فهم الآيات القرآنية 96
ما لا بد منه لفهم القرآن الكريم 97
القدرة على العمل الجماعي 98
علم ومعلومات 98
عقول وأدمغة متفوقة 99
سر الأرض 100
التحقق من عبودية الله سبحانه 100
الشام ودورها في آخر الزمان 101
فاتحة كتاب الله تعالى 102
الزمن في القرآن الكريم 103
الإخلاص لله سبحانه وتعالى 103
الخشية من الله سبحانه 104
أرقى الدعاء 105
انظر إلى قلبك 106
الثرثرة الدماغية وعلاجها 106
الانزلاق على كلام الله سبحانه 107
من صفات أولي العزم 107
الوهن 108
إن تأخرت إجابة الدعاء 108
الامتحان الإلهي 109
القراءة السريعة 109
قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ...﴾ 110
النظر إلى الكون 110
علاقة الإنسان بالملائكة 111
سؤال: ما هو أهم شيء بالنسبة لي؟! 112
فتن آخر الزمان 113
عقل متطور 113
التركيز 114
المنغصات أو التشويش 114
أدب النظر إلى الناس الآخرين 115
اللحظات الصعبة 116
القرآن الكريم هو المعجزة 116
لـمَنْ لَبِسَ ثوبَ الدَّعوةِ إلى الله سبحانه 117
النقاش الهادف 117
معنى القلب 118
نظرة للعلوم شاملة كلية وكونية 118

الجدل 119
العواطف الإنسانية..... 120
لمن يعمل الإنسان ويتوجه بالعبادة؟! 120
الاعتقاد بكلام الله سبحانه 121
ليس إسلاماً دون تفكر 122
قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ ﴾. 123
مدلول الكلمة..... 124
طرح الأسئلة 124
خلقكم من نفس واحدة 125
قوله تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾ .. 126
المغامرة الكبرى للنفس البشرية 126
الشريعة والتمسك بالأحكام 127
مستوى عالي في الرخاء والشدة..... 127
الصلاة والذكر دون شرود الفِكر أو الذهن .. 128
آلية العلم وطلبه..... 129
نحن الفقراء إلى الله 129
الزمن 130
مفهوم سيدنا آدم 130
الحمد لله فاطر السموات والأرض 131
ليس كمثله شيء جل جلاله 131
المسلم الحق 132
هل يمكن أن نغير حرف واحد من القرآن الكريم؟ 132
مفهوم الإسلام..... 133
إلى محبة الله 133
الأدب مع الله سبحانه 134
المعرفة من مصدر غير المصدر البشري..... 134
تحقيق مستوى فكري عالٍ 135
الطاعة والطاعة المطلقة لله سبحانه 135
الاستعاذة بالله قاعدة وليست للبركة 136
العزم والتوكل على الله سبحانه..... 136
لمن أراد أن يكون داعية إلى الله سبحانه 137
الاستعداد لآخر الزمان 139
من ميزات الصلاة على سيدنا النبي ﷺ..... 140
الحدث الأصغر والحدث الأكبر 141
الإبداع قفزة في المجهول..... 142
البداية هي ذاتها النهاية 142
﴿ ..تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ..﴾ 143
صلة ورابطة قوية بين الله سبحانه وتعالى
والإنسان 144
رحمته تعالى بمغفرة الذنوب 145
قصة السامري..... 146
مفهوم الصبر..... 147
التمسك بالتفاصيل 148
معرفة الله سبحانه هي أقصر الطرق..... 149
الناس المحفوفون بالعناية الإلهية لا يتعلقون بغير الله
سبحانه 150
تأويل الرؤيا 151
أي ذرة مادة تسبح بحمد الله 152
لا تقنطوا من رحمة الله 153
لماذا نتوجه إلى غير الله سبحانه؟..... 154
الأخذ بالأسباب 155
كيف بدأت الحضارة في أوروبا 155